ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

من روائع القرن الهجري الجديد

الشيخ متولي الشعراوي

كتاب الشهر كيف تتغلب على الألم بدون طبيب؟







محمد متولي الشعراوي

الحمد لله حمد الصدق لله للألوهية الحق ، أحمده حمد الشاكرين وأشهد ألا إله إلا الله شهادة شهد بها لنفسه شهادة الذات للذات وشهد بها ملائكته شهادة المشهد . وبعد :

لم تجيء الصيحة بالايمان فى أمة ضعيفة أو قبيلة ضعيفة فقد يقول قائل : لماذا كانت الصيحة الأولى فى مكة والاشعاع الحق فى المدينة ؟ لماذا لم تكن فى المدينة أولا ؟؟ ..

لا .. لابد من نظرة تمحيص وتقييم .

لابد وأن تصدع آذان الفئة الباغية بمنطق الله .. وبمنهج الله .. ولكن لابد أن يكون النصر من غير هذه المنطقة التى لو كان النصر للايمان منها وهى ذات السيادة القرشية لقال قائل : إن العرب قد جاملوا قريشاً فى أن تمسكوا بدين آمنوا به .. وحينئذ تكون العصبية لمحمد هى التى خلقت الايمان بمحمد ولم يخلق ذلك الايمان به عصبية له .

ولذلك فشاء الله أن تجيء النصرة من المدينة لتعلم الدنيا كلها أن الايمان بمحمد هو الذى خلق العصبية له .

وهنا يجب التنبه إلى أن الضعيف مهما كان ضعيفاً يجب أن يكون قوياً بالحق ، لأنه لو صاح فى أذن السيادة وهو ضعيف مشهور له بالضعف أمام السيادة الطاغية المشهورة بالطغيان وهو يعلم بضعفه أمام خصمه ، فان ذلك لابد وأنه مستند إلى ركن رشيد علوى قويم

فليس من العقل أو من العدل مع النفس أن يرمى الانسان نفسه فى التهلكة دون أن يكون له رصيد من قوة يمنعه من الطغاة إذا أرادوه ، وإن لم يضن عنه الطغيان كان على يقين بأنه سيلقى عند الله أضعاف ما فاته فى هذه الحياة .

فاذا انصاع الانسان للمنهج واطمأنت إليه نفسه شعر بالقوة فلا يجد عاطفة قلق ، ولا يجد قلباً متوهجاً بحقد أو غل .

وفى مطلع هذا القرن الهجرى الخامس عشر نشأ فكر اقتصادى معاصر قسم العالم إلى معسكرين وإلى اتباع للمعسكرين .. المعسكر الغربى تمثله الراسمالية والمعسكر الشرقى تمثله الشيوعية . والمعسكران فى بداية أمرهما كانا على طرفى نقيض . يتمثلان فى أن الراسمالية كانت استثماراً حراً واستنباط مال حر ، مصارف حرة ، حرية الفرد فى التملك . حريته فى الاستثمار ، حريته فى مصارفه وهذا لاشك جنى على الطائفة المقابلة وهى أدوات الاستثمار .. العمال .. فكان لابد لفئة مظلومة كهذه أن يؤخذ بناصرها .. وكانت هناك طريقتان للأخذ بالناصر .. أن نحد من غلواء السلطة والسيطرة الفردية فى هذا بحيث يستطرق جزءاً من سيطرتها إلى العمال ، أو نعكس المسألة ونواجه الظلم ، فبعد أن كانت السيطرة لرأس المال نجعلها للعمال .. إذن أنا لم أصنع شيئاً سوى أننى وجهت الطبقة لأنه ما دامت الراسمالية هى التى كانت متحكمة سوف أنقل هذا التحكم إلى العمال .

إذن فقد وجدت فى المجتمع طائفة متحكمة هى العمال .. لا تفرق من هذه عندى عن طائفة متحكمة هى الراسمالية .. والتحكم الثانى أطغى من التحكم الأول .. لماذا ؟ لأن الراسمالية عادة تنحصر فى أفراد .. فاذا كان الطغاة أفراداً قلة يهون الخطب .. لكن إذا انتقلت السلطة للعمال وهم الجمهرة العظمى صار القوى الظالم أخطر وأقوى . إذن فكان من الواجب أن يحدث الاستطراق . لماذا حدث هذا ؟ لكى أحدد فقط طريقة الاستثمار الراسمالى لماله .. وبعد ذلك أحدد مصارفه وأحدد نواحى إنتاجه حتى لا يستنبط المال من وسائل تقضى على المجتمع فى ناحية من نواحيه ، لأشبع بطنه ، وأرفع مادتيه ، وأهدم قيمه لابد وأن أجعل الحضارة أو الرقى منسجمة مع النفس كلها بحيث تصير النفس كلها صاحبة طموح .. لا ينبغى أن أعلى ناحية للنفس وأخفض أخرى وكان هذا يكفى بأن أضمن حقوق العمال . أضمن حياتهم .. أخفف من ساعات العمل . وأعطيهم تأمينات صحية .. لا مانع من أن يشترك العمال الأكفاء فى إدارة المؤسسة لكن الأمر كان غير ذلك فقامت المسألة وانتقل الظلم من الراسمالية إلى العمال .. إذن هناك ظلم .. ظلم طبقة أصبحت قوة خاصة فى مظهرها ومضمونها ، شرسة فى تحكمها فى ايجاد الحاكم .. إذن الراسمالى كان عنده مال يستغله ولم تكن عنده سلطة يحكم بها ، لكن الآن انتقلت إليه ومعه السلطة التى تحكم ومن هنا يجيء الخطر .

* * *

نحن ... واجهزة الاعلام

اجهزة الاعلام فى العالم الاسلامى تسير فى اتجاه واحد مع أى نشاط آخر من نشاطات العالم غير الاسلامى . لأن الفتنة بالغرب جعلت الأجهزة كغيرها تحذو حذوه فى كل شيء ، وتنهض بأى لون من ألوان النشاط على خطته . فكأننا ننقل كل مجالات الحياة هناك .. وإلى هذه المجالات .. مجالات الاعلام والاعلام فى الغرب كله مهمة شركات .. والمهمة الأساسية لأية شركة .. خدمة رأس المال بتحقيق الارباح .. وتحقيق الارباح لا يتأتى إلا بتحقيق الانتاج الكثير المستحيل للمستهلك ، فالغرض الذى من أجله نشأ الاعلام فى الغرب غرض لا يقوم إلا على تحقيق الأرباح والذى لا يتأتى إلا بتعدد المستهلك الذى يحب كل

الهجري الخامس عشر

ما يمتعه ويحقق له غاياته التى يشتهيها والامتاع دائما يكون سائراً مع تحقيق الشهوات ، وبالتالى فان وسائل الاعلام هناك مرغمة لتحقيق اقصى ما يمكن من المتع الاقتصادية ، والالتذاذ بالانحرافات!

وكل تقدم يقاس بقدر ما يتحقق من هذا الغرض الأصيل ولكن العجيب أن وسائل الاعلام فى العالم الاسلامى ملك للدولة فهى ليست شركات استثمار لكنها مجال خدمات ، ومع ذلك لم يفطن الاعلام إلى هذه الحقيقة ، وسار فى منهجه على وفق مناهج الغرب ، لا يهم القائمون فيه على أمر شركات الاعلام بما يهدد من قيم ، بقدر ما يهمهم ما تحققه من ربح ، والمفروض فى وسائل الاعلام الملتزمة بالقيم الا تنزل إلى المستوى الذى تطلبه غوغائية الجماهير . بل من واجبها أن تترفع بهذه الغوغائية لتاخذ بيدها إلى مستوى رفيع من الفضائل والقيم .

والاعلام لو هبط إلى مستوى الناس الفكرى الهابط لكانوا هم الموجهون ويفقد الاعلام بالتالى دور التوجيه لأن مهمته الأعلى دائماً أن ياخذ بيد الأدنى .

* * *

المستشرقون والقرآن

حاول الأعداء أن يتحدوا الاسلام بواسطة التبشير ، وبمسائل التبشير ، وقد انتهينا منه بأنه لم يظفر بطائل ثم بالاستشراق أيضاً ، فلم يظفر الاستشراق بطائل أيضاً لأنه وإن ظفر اولا بانه دخل بخبث ودهاء على بعض العقول فقد قيض الله فى رجال الاسلام من يرد هذه الأشياء . فقلت ثقة المسلمين فى المستشرقين لأنهم كفار سينظر إليهم المؤمن على أنهم ضد دينه . فتكون عنده مناعة من كل ما يقول . إنما الأمة الأصيلة هى أن يردد المستغربون أقوال المستشرقين ، المستغربون هؤلاء لأنهم مسلمون سناخذ كلامهم على أنهم مسلمون . هذه الطائفة التى أخذها الأعداء وصنعوها على أيديهم كل واحد منها تولاه جماعة صاغوه صياغة ، وبعد ذلك بعثوا به إلى بلاده فولى المناصب ، وأصبحت لهم السيطرة على مناهج التعليم ومن هنا جاء الخطر ، ومن هنا جاء الفساد . من ثم نجد عداءهم للاسلام اكبر وعندما نترك تحديهم للقرآن ومعركتهم معه ننتقل الى معركة ثانية اقلقتهم واتعبتهم ، ونلاحظ أن أعداء الاسلام صليبيين او صهيونيين او شرقيين لو وجدوا أن الاسلام منهج تافه ما عادوه .

الأبد من نظرة تقييم مع القرن الهجرى الخامس عشر

● على وسائل الإعلام أن تترفع عن غوغائية الجماهير وتقودها إلى الفضائل والقيم

عداؤهم للاسلام اكثر من عدائهم للهندوكية وعداؤهم للاسلام اكثر من عدائهم للبوذية ، لماذا ؟ لأن هذه لم تدخل معهم فى تجارب السيادة على العالم . فهم لا يريدون للاسلام ان تعود إليه السيادة على العالم ... لابد أن ياتوا إلى عناصر القوة ليحطموها .

ولذلك نجد فلاسفتهم أو مستشرقيهم تخونهم بعض عبارات تعطينا مدلولات لنواياهم بالنسبة للاسلام مثلا (وليم دى فور دى بلجراف) يقول «متى زال القرآن ومكة من بلاد العرب حينئذ يمكننا ان نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها «محمد وكتابه» . صدق .. صحيح القرآن ومكة هما أبعدانا عن هذه الحضارة التى يلقون فيها أو فى زخرفها السموم والانحراف ، فاذا كان القرآن ومكة يحولان بيننا وبين هذه الحضارة فهم يريدوننا أن نتدرج فى سبيلها حتى نتحلل ، وإذا تحللنا أمكن للمبدأ فينا أن يبهت وإذا أمكن للمبدأ أن يبهت ينشا جيل بعد جيل لا شخصية إسلامية له، وحين لا توجد شخصية إسلامية يكون من السهل اليسير ألا تقوم لهذه الدولة قائمة أبداً .

إذن فيجب مع هذا القرن المقبل ان نفهم التحديات ، وان نرد الردود المقنعة وأهمها أننا لم نستقبل ولم نؤمن بالله لأننا آمنا بالمنهج ، إنما نحن آمنا بالمنهج لأننا آمنا بالله وبأنه من الله . ومادمنا آمنا بالمنهج أنه من الله فلا يجب أن نرد على الله أمراً فهمنا علته ، بعقلنا أو لم نفهمه ، وإلا فالبحث فى كل علة حكم معناه أنك رجعت فى القضية الأساسية وهو إيمانك بالله عادلا وإيمانك بالله حكيما وإيمانك بالله قادراً .

محمد متولى الشعراوى

نص المحاضرة التى القاها العالم والكاتب الكبير الدكتور عبد الله عبد الدايم بجامعة قطر فى الشهر الماضى :

د.عبدالله عبدالدايم

التربية العربية أمام تحديات العصر

الحضارة الانسانية فى محنة ، والنظام الاقتصادى والاجتماعى العالمى فى أزمة تشرف على الانتحار ، والوطن العربى – ذو الرسالة العربية والانسانية – يشكو من دائه وداء العالم من حوله .

مشارف القرن الحادى والعشرين لا تحمل له ، كما لا تحمل لسواه ، وعوداً خيرة ، بل تنذر بسوء العاقبة ، ان لم يجهد ويجهد سواه من اجل خلق عالم جديد .

هل تقوى الحضارة العربية ، بما فيها من قيم ومثل وطاقات مادية وروحية ، على الاسهام فى خلق ذلك العالم الجديد وهل تفلح ، من اجل ذلك ، فى توليد طريقها الحضارى الخاص ، وفى التحريض على ولادة طريق حضارى عالمى جديد ؟ .

وأين تقع التربية العربية من هذا كله ؟ وما هى معالمها المنشودة إن ارادت ان يكون لها فى صنع هذا المستقبل العربى والانسانى بلاء وشأن ؟

ذلكم هو السؤال الكبير الذى نطرحه بادىء ذى بداءة والذى نحاول أن نجد بعض الجواب عليه فى حديث هذا المساء .

ونحن إذ نفعل ذلك ننطلق من حقائق أساسية لا بد من توكيدها منذ البداية :

أولها أن التربية العربية لابد أن تكون جزءاً لا يتجزأ من نظرية عربية شاملة فى التنمية عامة ، وأن الفصل بين آفاق التربية وبين آفاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية جملة فصل يؤدى إلى تردى كلتيهما .

وثانيهما أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة للبلدان العربية ، وفى القلب منها تقع التنمية التربوية ، لابد أن يكون مهادها وقوامها نظرة عربية حضارية خاصة وفلسفة اجتماعية أصيلة ، منها تستقى التنمية العربية معناها وأهدافها ومن خلالها ترسم سبلها ووسائلها .

وثالثهما أن هذه النظرة العربية الحضارية الخاصة لابد أن تبنى فى اطار تصور محدث للحضارة العالمية جمعاء .

وفوق هذه الحقائق كلها تنهض حقيقة راسخة وهى أن العرب – بما يملكون من تراث ومن تطلعات – لن يقبلوا أن يكونوا مجرد اتباع لحضارة عالمية تملى عليهم ولعالم يصاغ لهم ، وأن من واجبهم أن يكون لهم فى صنع مستقبلهم ومستقبل الانسانية نصيب . لقد كانت رسالتهم دوماً ، وستظل ، رسالة انسانية شاملة ، ومن التفريط بها ومن التفريط فى مسيرة الانسانية أن يحجب عطاؤها وأن يحرموا ويحرم العالم من تراثها . ومما يمنح لهذا الدور العربى كامل معناه ، ويجعل من جهده لتوليد صيغة حضارية جديدة مطلباً عملياً وواقعياً ، إلى جانب كونه رسالة ومثلاً اعلى ، أن التجربة العالمية كادت تخفق ، وانها تقود الانسانية كلها نحو مصير مجهول بل مرذول ، وأن الصيحة من اجل تصحيح المسيرة وتقويم الدرب غدت صيحة الجمهرة الكبرى من مفكرى الانسانية والمنظرين لها .

لنبدأ إذن بالازمة فهى التى تومىء إلى الداء وتحدد قسمات الحل المنشود .

الازمة العالمية :

لقد قيل الكثير وكتب ما هو اكثر عن



فتيات سوريات داخل المعامل العلمية .

● هل تقوى قيم الحضارة العربية على خلق ذلك العالم الجديد؟

● لابد من انطلاق التربية من نظرية عربية شاملة في التربية

● ٣٠ مليون طفل لقوا حتفهم بسبب نقص الغذاء في عام واحد

الأزمة التى تعصف بعالمنا اليوم . وليس هدفنا فى مثل هذا الحديث القصير ان نقدم وصفا شاملا لها وان ناتى بالشواهد والأرقام التى تفصح عنها .

وحسبنا ان نقول موجزين ان تلك الشواهد والارقام تجمع على ان الانسانية فى شمالها وجنوبها كما يقال اليوم — لم تعرف فى حين من الدهر ازمة مستطيرة كالازمة التى تشكو منها اليوم ، والتى سوف تكون أدهى وأمرفى العقود القادمة ان لم تقم جهود جادة من اجل تجاوزها ، يشترك فيها ابناؤها جميعهم .

وقد يضلل الانظار عن هذه الحقيقة أن هذه الازمة الخطيرة تجار وتبزغ فى فترة وصل فيها العالم — والعالم المتقدم خاصة — إلى مستويات من التقدم العلمى والتكنولوجى لم يعرف لها نظير من قبل .

اما الحديث عن مظاهر هذه الازمة المتصلة بالهوة القائمة والمتزايدة بين الدول المتقدمة والدول النامية أو المتخلفة ، فحديث مكرور ، نجتزىء منه بعض الشواهد القليلة ونكتفى بعرضها عرضا موجزا بل مخلا من خلال لغة أشبه بلغة البرقيات .

لا نغلو اذا وصفنا النظام العالمى بنظام الفاقة والبؤس ما دام ثلاثة ارباع سكان المعمورة ما يزالون يعانون من صروف التخلف الوانا ، وما داموا لا يجنون اكثر من ٥ر٣ ٪ من الدخل العالمى .

ان ما يسمى باسم العالم الثالث يملك ٨٠٪ من المواد الاولية فى العالم ، ومع ذلك لا يتجاوز نصيبه من الانتاج الصناعى الاجمالى ٧ ٪ بينما تستهلك الولايات المتحدة ، التى لا يعدو سكانها ٦ ٪ من سكان الارض ٥٠٪ من الثروات الطبيعية العالمية .

لقد بينت دراسات منظمة الزراعة العالمية أن ١٥٪ من سكان الارض يتوافر لهم من الغذاء ما يفيض عن الحاجة ، ويعيشون فى المشتى ملاء بطونهم كما يقول الشاعر العربى ، بينما يموت ١٠ ٪ من سكان المعمورة بسبب نقص التغذية وثمة واحد من بين ستة اشخاص فى العالم يشكو من نقص الغذاء ، وتشير التنبؤات إلى ان هذه النسبة سوف تصبح عام ٢٠٠٠ خمسة من ستة اشخاص ، اذا ما استمرت الامور على ما هى عليه .

وبهذا الصدد صاحت السيدة «سوزان جورج» قائلة : اذا كانت قراءة كتابى الجديد سوف تستغرق ست ساعات من وقتك ، فاعلم انك عندما تقلب الصفحة الأخيرة منه ، يكون الموت قد قضى على ٢٥٠٠ شخص فى مكان ما فى العالم بسبب الجوع أو بسبب مرض ناجم عن الجوع .

ويطيب لبعض الكتاب أن يقولوا فى سخرية مريرة إن غذاء الحيوان فى البلدان الغنية مقدم على غذاء الانسان فى البلدان المتخلفة ، وان حيوانات تلك البلدان تستهلك ربع الانتاج العالمى من الحبوب . بل ان انتاج الصناعة الغذائية الخاصة بالكلاب فى الولايات المتحدة يمثل تقريبا بالنسبة إلى الكلب الواحد ما يقارب الدخل المتوسط للفرد فى البلدان المتخلفة .

وتبين الاحصاءات التى قدمتها منظمة اليونيسيف أن ٣٠ مليون طفل ممن تقل اعمارهم عن ٥ سنوات لقوا حتفهم عام ١٩٧٨ بسبب نقص الغذاء . ومع ذلك دعى عام ١٩٧٩ باسم عام الطفل .

ولا حاجة إلى القول ان ما ينفق سنويا على التسلح فى العالم يدانى اليوم ٥٠٠ مليار دولار ، بينما لا يتجاوز العون الرسمى الذى يقدم للبلدان المتخلفة كلها ٥ ٪ من هذا الرقم . بل لا حاجة إلى القول ان ثمن طائرة حربية (وهو ثمن يقارب ٢٠ مليون دولار) يكفى لاشادة أربعين الف صيدلية فى المناطق الريفية التى تئن من المرض ، وان توفير ٥ ٪ من نفقات التسلح فى العالم يصل بان يمكن البلدان المتخلفة من شراء سائر المعدات الزراعية اللازمة لرفع الانتاج الغذائى والتغلب على مشكلة الغذاء العالمى .

هذا طرف يسير من الشواهد التى تشير إلى الهوة المتزايدة بين العالم المتقدم والعالم المتخلف ، والتى تبين بان عالمنا ما يزال مجعولا إلى حد كبير للاغنياء من دون الفقراء ، وللدول المتقدمة من دون النامية والمتخلفة والنبوءات المتصلة بحال العالم فى مطلع القرن الجديد افصح قيلا وأعمق تشاؤما لا سيما ان نسبة سكان البلدان المتخلفة إلى سكان البلدان المتقدمة اخذ بالازدياد المطرد ، لأسباب كثيرة ننسى غالبا أهمها : وهو أن التناسل الكبير فى البلدان المتخلفة ليس سببا فى الفقر والتخلف وانما هو نتيجة لهما ، وان الحد من التناسل سبيله الوحيد رفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى والتربوى خاصة فى تلك البلدان .

على أن معالم الأزمة العالمية ليست مقصورة على هذا الجانب وحده ، نعنى هوة التخلف ، بل هى معالم شاملة تصيب البلدان المتقدمة نفسها وتمس النظام العالمى فى البلدان المتطورة تكنولوجيا . وهذا فى نظرنا اجدر بان ينعم النظر فيه ، وهو أفصح دلالة على

عمق الازمة التى تعصف بالعالم كله .

ذلكم أن بنية الحياة فى هذه البلدان المتقدمة نفسها ، أخذت تبدو ، كما أجمعت الدراسات العديدة ، بنية مريضة تقود الانسان إلى حيث لا يدرى ، وتجعله يحيا فى عالم يكاد يخرج عن سلطانه ، ويتجاوز مشيئته وطموحاته . وجملة ما يقال اليوم فى هذه الحضارة التى أفرزها التقدم العلمى والتكنولوجى انها حضارة جعلت الانسان أكثر تقدماً ولكنها لم تجعله بحال من الاحوال اكثر سعادة وانها تحمل فى ثناياها بذور مرضها بل فنائها .

لقد كان الناس حتى حين فخورين بحضارة تشمخ بما حققته من مكاسب علمية وتكنولوجية لم يعرفها الانسان من قبل . غير انهم ما لبثوا حتى ادركوا ان هذا النموذج الحضارى الذى انساقوا إليه دون تبصر وتحسب ، يدفعون ثمنه غاليا ، وانه ادى ويؤدى يوماً بعد يوم إلى توليد مشكلات حياتية وانسانية عميقة : من مثل مشكلات البيئة وتلوثها وفسادها ، ومشكلات الطاقة وقصورها ، ومشكلات التحضر السريع وولادة المدن الكبيرة المهلهلة والمرهقة ، ومشكلات العنف وتزايده ، والتسلح وأخطاره ، والمفاعلات النووية وأخطارها على البيئة والانسان ، وتآكل التربة وانتشار الصحراء ، والبطالة المتزايدة ، ونقص الغذاء ، وتقصير المساكن عن الحاجة ، وسوى ذلك كثير ، هذا فضلا عما هو أدهى وأخطر ، نعنى تدهور القيم الانسانية والخلقية ، وتزايد المشكلات النفسية ، وتفكك الاسرة وانحلالها ، وذوبان الثقافات القومية ، وتزايد العداء بين الافراد والشعوب فى حماة السباق على الاستهلاك الباطل والدعة الموهومة ، إلى غير ذلك .

وفى الجملة لقد انقلب السحر على الساحر ، فاذا بالحضارة التى خلقت من أجل الانسان تخضع الانسان لعنفوانها واذا بالمارد الذى انطلق ، مارد العلم والتكنولوجيا ، يستعبد صاحبه ومبدعه حتى ليصبح قول الصوفى ابن العربى فى فصوصه

فانت عبد وانت رب
لمن له انت عبد

ولنضرب مثالا واحداً على مشكلة من هذه المشكلات ، والأمثلة اكثر من ان تحصى :



تشير بعض الاحصاءات إلى ان الانسان يقضى كل دقيقة على عشرين هكتاراً من الغابات فى العالم . ولا عجب فالورق اللازم لطباعة العدد الاسبوعى من جريدة النيويورك تايمز ، وهو عدد يخصص حوالى ٨٠٪ منه للاعلانات ، يستلزم تقويض ١٥ هكتاراً من غابات كندا ، والعدد اليومى الذى تصدره الجريدة نفسها يتطلب الاطاحة بستة هكتارات .

السؤال الاساسى الذى يطرح اليوم اذن هو السؤال الاتى : هل تقوى الانسانية على الامساك بأعنة مصيرها وزمام قدرها أم أن الاحداث والازمات هى التى ستقودها وتصوغ مستقبلها ؟

طبيعة الازمة وحلولها :

وههنا نخف إلى القول إن جانبا كبيراً من ازمة البلدان المتقدمة مرده إلى الاحجام عن ادراك الصلة العضوية بين هذه الأزمة وأزمة البلدان المتخلفة والنامية . فالعالم المتقدم – رغم مآسيه المتعددة ورغم وصوله إلى طريق يكاد يكون مسدوداً – يحاول ان يصرف بصره عن حقيقة أساسية : وهى أن حل

شباب الغد من الخريجين فى الجامعة القطرية

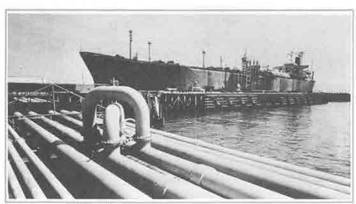
مشكلات العالم المتقدم ومشكلات العالم المتخلف معاً لا يكون الا بخلق نظام عالمى مشترك ، متوازن المصالح ، متضامن الاهداف » ان القيام بجهد عالمى مبتكر تسهم فيه بلدان العالم جميعا من اجل تجاوز النظام القائم ، هو الطريق الوحيد للتغلب على ازمة العالم فى شمالها وجنوبها . ومن عجب أن البلدان المتقدمة لم تدرك أو لا تحاول أن تدرك ان تنمية العالم الثالث هى التى تؤدى إلى حل الازمات الاقتصادية التى يشكو منها العالم المتقدم نفسه ، وهى التى تفتح آفاقا جديدة لتوظيف الطاقات العلمية والتكنولوجية التى يملكها ، ولتوسيع رقعة نشاط ثرواته المادية والبشرية» .

وكما يقول التقرير الحديث الذى وضعته لجنة برئاسة «ولي برانت» مستشار المانيا الاتحادية سابقا : «اننا نعى اليوم بان التنمية السريعة للجنوب (يعنى العالم الثالث) تخدم أيضاً مصالح شعوب الشمال » . ان الغرب ، اذا كان يرغب فى أن تكون له حصة وافية من قطعة الحلوى العالمية ، لابد ان يحرص على جعلها اكبر مما هى عليه الان ، عن طريق اشراك العالم الثالث فى تنميتها .

وكيما ندرك طبيعة العلاقة العضوية بين تنمية العالم المتقدم وتنمية العالم المتخلف لنعد قليلا إلى وراء ، الى تاريخ تطور الحضارة الغربية .

كلنا يعلم أن الانطلاقة الصناعية الكبرى فى الغرب خلال القرن التاسع

● تنمية العالم الثالث هي الحل الأمثل للأزمات الاقتصادية في العالم المتقدم



ناقلة عملاقة فى موانىء السعودية

عشر واوائل القرن العشرين قد تمت على حساب استغلال الثروات الطبيعية لبلدان العالم الثالث التى كانت مستعمرة آنذاك .

بل كلنا يعلم ، وهذا أفصح وابين ، بأن استغلال الموارد البترولية لبلدان العالم الثالث بارخص الاثمان حتى اوائل السبعينات ، هو الذى حقق للغرب هذا النمو الاقتصادى الكبير الذى ولد مجتمع الاستهلاك . وكما قال : «جان جاك سرفان شريبر» فى كتابه الجديد «التحدى العالمى» : «ان البترول الرخيص ومليارات البراميل المستخرجة منه والتى تم شراؤها بثمن بخس وباسعار لم تتغير خلال الخمسينات والستينات وبداية السبعينات ، هى التى مولت تمويلا كاملا انطلاقة المجتمعات الصناعية فى اوربا وامريكا» لقد ظل سعر البترول ثابتا خلال ما يقرب من سبعين عاما ، وبيع باقل من دولارين للبرميل الواحد . فبين عام ١٩٠٠ وعام ١٩٥٠ ارتفع سعره فقط من ١ر٢٠ دولار الى ١ر٧٠ دولار . ومن عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٧٠ ظل ثابتا فى مكانه ، اذ بيع بـ ١ر٨٠ دولار . الامر الذى يبيح لنا ان نسائل مع «شريبر» نفسه : ما هو مجتمع الاستهلاك ان لم يكن مجتمع البترول الزهيد الثمن ، المبذول للغرب فى سخاء ؟ «بل من حقنا ان نقول معه : ان تفسير هذه المغامرة الجنونية التى قادت الغرب دون ما تردد او تفكير الى ان يصبح مستعمرة من مستعمرات البترول ، هو ان هذا البترول ظل خلال سنوات طويلة مجانيا إلى حد كبير .

واليوم ، بعد أن تغيرت بنية العالم ، وبعد أن استقلت بلدان العالم الثالث ، يصحو الغرب من سكرته ويدرك ان الثروات الطبيعية فى العالم الثالث واهمها الثروات البترولية لا يمكن ان تكون نهبا له وان تظل مسخرة لخدمة نظام استهلاكى لا هدف له الا المزيد من الاستهلاك ، ولا هم له الا اذكاء الحاجة الى الاستهلاك لدى الناس واثارة نهمهم ، لا لشىء الا ليستمر مجتمع الاستهلاك فى مسيرته ويسعد القلة من المنتفعين منه .

الحديث فى هذا الشان ذو شجون وهيهات ان نوفيه بعض حقه فى مثل هذا المقام . واية هذا كله أن العالم فى أزمة ، وان مرد هذه الازمة الى عناد الدول المتقدمة واصرارها على ان تعيش الماضى لا الحاضر والمستقبل ، والى ضعف ادراكها للمتغيرات الجديدة التى حدثت فى العالم والتى تدعو الى خلق نظام عالمى جديد ، واهم ما فيه ان يكون مجعولا للعالم كله ، وان يكون محوره تنمية العالم الثالث .

دور العرب :

وحتى يحين ذلك اليوم الموعود ، بل من اجل ان يحين ، يتوجب على الدول النامية ، وعلى رأسها الدول العربية ، ان تدلى بدلوها بدلا من أن تقف متفرجة ، وان تقتحم الميدان صارخة متحدية لا مستخذية ضعيفة ، وأن تكون بالتالى بمثابة الخميرة التى تدفع الى توليد العهد الجديد . لاسيما ان الدول العربية تملك فى هذه الحلبة ورقة اساسية ، يرجى أن تسخرها من اجل خيرها وخير الانسانية ، نعنى ورقة البترول . بل هى تملك ما هو اثمن وأغلى من تلك الورقة ، نعنى قيم تراثها العربى الاسلامى الاصيل التى تقف اليوم من جديد شامخة عزيزة أمام افلاس الايديولوجيات العالمية فى الشرق والغرب .

ومما يدعو إلى الألم ان هذه البلدان العربيةلم تدرك بعد حق الادراك مواطن القوة عندها ، ولم تع حق الوعى دورها العربى والعالمى ، بل ما زالت الى حد بعيد تسير على وجل واستحياء ، تقدم رجلا وتؤخر اخرى ، تلهث وراء الحضارة الغربية دون ان تضعها فى موضعها الصحيح ، تصطنعها حينا وتنكرها حينا اخر ، وتمتاح منها نمط حياتها غالبا ، دون ان تضع ذلك النمط موضع التساؤل كما فعل ابناء الحضارة الغربية أنفسهم

فما السبيل إذن الى توليد رؤية عربية أصيلة تقدم حلولا سليمة للعرب وللعالم ؟

الاجابة على هذا السؤال الضخم الواسع عديدة الجنبات . غير ان اهم ما فيها الربط الوثيق بين معالجة مشكلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومشكلات تنمية الثروة البشرية ، بل ان تنمية الثروة البشرية تقع فى القلب منها ، وبدونها لن يكون العلاج الا سطحيا زائفا عابرا . وفوق هذا وذاك ، لا علاج للأزمة العالمية بتمامها الا عن طريق تجويد الانسان وتجويد تكوينه والارتفاع بطاقاته الخلاقة المبدعة . ان وضع الانسان فى مركز الاهتمامات العالمية هو السبيل لتجاوز ازمة العالم وقلب الوضع العالمى المنحرف عن مجراه ولعل المسالة فى العالم كله لم تعد مسالة الهوة التكنولوجية بل مسالة الهوةالانسانية ، ونعنى بها الهوة القائمة بين نظام اقتصادى اجتماعى

معقد تائه وبين قدرتنا على السيطرة عليه .

دور التربية العربية :

ومن هنا يبرز دور التربية العربية فى خلق الحضارة العربية المنشودة وفى الاسهام فى بناء حضارة عالمية جديدة .

ولن نقدم هنا عرضا مفصلا لواقع التربية فى البلدان العربية ولمشكلاتها ، فمثل هذا العرض تمتلىء به المؤلفات والدراسات . وحسبنا من ذلك كله ان نشير الى جانبين ، قمينين عندنا بان يقدما بعض الجواب على المسألة الأساسية التى دائما نكررها ، نعنى مسألة توليد نظرية حضارية عربية ، جديدة بابنائها مسهمة فى بناء العالم .

أما الجانب الاول فيتصل بالنمو الكمى للتربية فى البلاد العربية واما الثانى فيتصل بالنمو النوعى الكيفى . ولنبدأ باولهما :

كلنا يعلم ان التربية فى البلاد العربية جملة حققت نموا كميا كبيرا ، ولا سيما خلال الستينات والسبعينات . ويكفى ان نذكر ان عدد الطلاب بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٨٠ قد ازداد ثلاث مرات فى التعليم الابتدائى ووصلت نسبته الى ٦٣ ٪ من الطلاب الذين فى سن ذلك التعليم ، وانه تضاعف ست مرات فى التعليم الثانوى ووصلت نسبته إلى ٣٦ ٪ ممن هم فى سنه ، وانه تضاعف ثمانى مرات فى التعليم العالى ووصلت نسبته الى ٧ ٪ ممن هم فى سن ذلك التعليم . أما نسبة الامية لدى السكان دون الخامسة عشرة فقد هبطت من ٨٠٪ عام ١٩٦٠ إلى ٦٩ ٪ عام ١٩٨٠ .

ومع ذلك فما تزال هنالك أشواط كبيرة يتوجب على التعليم فى البلدان العربية أن يقطعها ، اذا هو طمح الى تعميم التعليم الابتدائى بل المتوسط ، واذا هو عزم على التوسع فى التعليم الثانوى والعالى توسعا كافيا ، واذا هو شد الرحال نحو مكافحة الأمية التى ما تزال مستشرية ، فضلا عن التوسع فى التعليم السابق على المرحلة الابتدائية الذى ما يزال هزيلا والتوسع فى التعليم المهنى والفنى الذى ما يزال مقصرا عن الشاو المطلوب .



الانسان العربى وتحديات التصنيع .

وههنا تبرز المشكلة : ان هذا التوسع المطلوب شاق وعسير ، تقصر عنه الامكانات المالية والبشرية للدول العربية بما فى ذلك الدول البترولية نفسها حيث ينافس التوسع فى التعليم الضرورى اللازم فى سائر مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وحسبنا ان نذكر ، برهانا على ذلك ، ان البلدان العربية اليوم تخصص ما يقرب من ٢٠-٢٥ ٪ فى المتوسط من ميزانيتها للتربية ، وتخصص ما يزيد على ٦ ٪ من الناتج القومى العام .

ولاشك أن جانبا من حل هذه الازمة التربوية يكمن فى التعاون العربى الشامل ، وهو تعاون قائم على صور مختلفة ، ويرجى ، أن يتسع ويعزز . على ان هذا الجهد العربى المشترك لا يكفى ولا يجدى الا اذا انطلق من شعار أساسى : هو توليد نظم تربوية قادرة على ان تحقق امثل استخدام ممكن للموارد المالية والبشرية المتاحة ، اى قادرة على أن تقدم تعليماً أفضل لعدد اكبر من الطلاب بنفس الامكانيات المتوافرة

إن مثل هذا المطلوب الجوهرى لا يتحقق الا من خلال تغيير شامل فى أهداف التربية وبنيتها ومحتواها وطرائقها وادارتها والتخطيط لها ، بحيث تولد تقنيات جديدة قادرة على زيادة المردود الاجمالى للعملية التربوية ، أى قادرة على الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة كما قلنا ونقول . ومن المكرر ان نقول ان البديل الوحيد دوما وأبدا عن نقص الموارد الطبيعية والمالية توظيف العقل الانسانى والذكاء الانسانى والابتكار الانسانى من اجل حسن استخدام تلك الموارد أو من أجل ابتداع سواها . ولا حاجة بنا إلى تعداد التقنيات التربوية الجديدة القمينة بان تبلغنا هذه الغاية ، فالادب التربوى العربى والعالمى طافح بالاشارة اليها . انها على سبيل المثال لا الحصر : تغيير اطار التربية التقليدى الذى كاد يصبح أزلياً أبدياً ، اطار الصف المحدود الذى يضم عدداً محدوداً من الطلاب يعلمهم معلم ، التعليم عن طريق الوسائل السمعية البصرية ، القضاء على الهدر والتسرب ، تخفيض كلفة الابنية المدرسية ، اسهام الجماعات المحلية فى بناء المدارس وتمويل التربية ، اللجوء الى المدرسة ذات المعلم الوحيد ، اللجوء الى المدرسة بلا صفوف ، التعليم عن طريق «فريق من المعلمين» ، التعليم الذاتى ، الخ ...

على أن ما يعنينا من هذا كله هو أن تحليل الجانب الكمى للتربية فى البلدان العربية يقودنا حتما ، كما نرى ، الى التاكيد على أهمية الجانب الكيفى النوعى ، فتجويد الكيف والنوع ، فضلا عن قيمته فى ذاته ، هو السبيل الى التغلب على مشكلات الكم .

سوى أن للجانب النوعى بعداً آخر هاماً هو الذى نود أن نتريث عنده لارتباطه الوثيق بالمسألة التى طرحناها . مسألة الرؤية العربية للحضارة . ذلك أن


الثروة النفطية التى نحاول توظيفها فى مشروعات التنمية

المقياس الاساسى عندنا للجودة النوعية فى التربية ، قدرتها على الاسهام فى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبالتالى فى خلق الانسان العربى المرجو من أجل توليد حضارة عربية أصيلة متقدمة .

ولن يقنعنا فى هذا المجال أن نعيد حديثا غدا مكروراً فنقول ان مثل هذا الاسهام للتربية فى التنمية الشاملة للمجتمع يكون أولا وقبل كل شىء بالتوسع فى التعليم المهنى والفنى ويجعل التعليم موجها نحو العمل المثمر والانتاج المجزىء . وفى رأينا ان المسالةتتجاوز هذا الهدف وأنها أعمق منه وأبعد . المسالة كلها عندنا تتلخص فى جملة واحدة : كيف نجعل التربية عندنا – فى شتى أنواعها وأشكالها – أداة للاسهام فى ابداع الحضارة بدلا من الاكتفاء باستهلاكها دون روية أو تبصر ؟ وتلكم مسالة فيها مسائل :

● أولها أن نتساءل هل يقوى التعليم العلمى والمهنى والفنى فى مراحله المختلفة فى بلادنا على أن يكون فعلا مبدعين للعلوم والفنون والتكنولوجيا ، أم أنه لا يعدو ان يكون أتباعا ثانويين لتقدم علمى وتكنولوجى ليس لنا يد فى خلقه ؟

● وثانيها أن نتساءل من وراء ذلك وفوق ذلك هل الهدف الصحيح والسبيل الأهم ان نعنى خاصة بتطوير التعليم العلمى والفنى والتكنولوجى ، أم ان الهدف فوق هذا وقبل هذا أن نكون الانسان المبدع الخلاق فى شتى فنون المعرفة البشرية ، وعلى رأسها العلوم الانسانية ؟ هل صحيح أننا نحتاج إلى فنيين ومهنيين دون ما حاجة الى علماء فى ميدان علم الاجتماع وعلم السياسة والتاريخ والتربية والتراث العربى الاسلامى وسواها من العلوم التى تمس حياة مجتمعاتنا فى صميمها ؟

الحق أن ما نحتاج اليه هو الابداع والأصالة فى شتى المعرفة الانسانية ، فنيها وانسانيها ، واننا فى هذه كلها ما نزال نعيش على فتات الغرب وعلى موائده . أو ليس مما يجار أمام الاعين أن افضل الدراسات عن تراثنا العربى الاسلامى نفسه نستقيها من الغرب ؟ أو ليس مما يبقينا فى مرحلة العجز اننا نتحدث عن مجتمع عربى لا نعرفه وعن انسان عربى لا نعرفه ؟

على اننا حين نؤكد اهمية التربية القادرة على الابداع والعطاء فى شتى المجالات ولا سيما مجالات العلوم الانسانية ، نفعل ذلك انطلاقا من أمور عديدة :

الاول ان الابداع كل لا يتجزأ ، وأن من غير الصحيح القول ان المتخلف فى مجال العلوم الانسانية يمكن ان يكون متقدما فى مجال العلوم الفنية والتكنولوجية والعكس صحيح .

والثانى أن الفضل الاكبر لحضارتنا العربية الاسلامية فى أوج ازدهارها انها جمعت جمعا وثيقا بين العلوم الفنية التطبيقية وبين العلوم الانسانية وخلقت بذلك ما يدعوه فانتيجو «المعجزة العربية»

والثالث أن أزمة الحضارة العالمية ، كما ذكرنا ، أزمة انسانية أولا وقبل كل شىء ، ولن نستطيع أن نسهم بدورنا فى تصويبها الا اذا جعلنا اهتمامنا بالانسان محور فلسفتنا التربوية .

والرابع وهو الأهم ، أن أية حضارة لا يمكن ان تتكون وأن تبدع الا اذا ادركت أولا ذاتها ووعت خصائصها ، وبذلك تصبح قادرة على توليد ثقافة ذاتية أصيلة . ومشكلة المشكلات فى حياتنا العربية أننا معروضون لهجمات حضارية تكاد تنسينا أصولنا وتستلب ثقافتنا الأصلية وتشوه قيمنا الغالية . بل مشكلة المشكلات أن عهودا طويلة من الاستعمار والتخلف خلقت لدى الانسان العربى ضربا من الشعور بالدونية والعجز والانسحاق امام الغرب ، واننا احوج ما نكون ، كيمـا ننطلق فى عزم وايمان ، الى ان نستعيد هويتنا الضائعة وثقتنا المهزوزة .

ولا يفهمن من قولنا اننا نقلل من شان التقدم العلمى والفنى والتكنولوجى ، أن هذا التقدم شئنا أم أبينا روح العصر وقوامه . ولكن كيما نضع هذا التقدم فى اطاره الصحيح ، وكيما نكون فيه مبدعين لا مستهلكين ، وكيما نكيفه وفق حاجاتنا الخاصة ، لابد ان يكون تركيزنا فى التربية العلمية والتكنولوجية التى نقدمها ، فضلا عن أنواع التربية الاخرى ، على مكان التقدم العلمى التكنولوجى فى حضارتنا وحضارة العالم ، وعلى اعادة الثقة بقدرتنا على الابداع فيه ، وعلى جعل جهدنا وبلائنا فى هذا الميدان جزءا لا يتجزأ من نظرة أشمل الى صيغة الحضارة التى ننشدها .

لقد قيل الكثير عن نهضة اليابان السريعة منذ عصر «ميجى» الشهير عام ١٨٦٨ . وظن الكثيرون أنها وليدة البعوث التى أرسلت الى الغرب تسقى من معارفه وتقنياته ، وثمرة عطاء الاختصاصيين الغربيين الذين جاءوا الى اليابان للعمل على تطوير صناعتها . وفى هذا الظن نصف الحقيقة لا الحقيقة كلها . ذلك أن هذه الجهود كلها ما كانت

لتثمر لولا ان اكد القانون الملكى الذى صدر حينذاك على أهمية الانطلاق فى هذا كله من منطلق الاصالة القومية ومن نظام تربوى يضع المهاد العلمى التكنولوجى اللازم جنبا الى جنب مع عنايته الخاصة بتكوين ارادة العمل القومى .

إن تاكيد الاصالة الذاتية والثقافية الذاتية لا يحول ، ولا ينبغى ان يحول ، دون التحديث . ولكن التحديث لا يجد طريقه الى الحياة ولا ياخذ مجراه السليم من دون أصالة وعود الى التراث

وياخذ هذا القول معناه الأعمق اذا نكرنا مرة أخرى أن حضارة العالم فى لزمة ، وعلينا أن نجتنب تقليدها بعد أن آذنت بالخفوت ، وأن تفاعل الثقافات وتضامن الهويات المختلفة للشعوب هما سبيل تصحيحها وتقويمها .

دور الابداع :

وموقد الأصالة ، موقد الذاتية ، تفجير الابداع . ومن هنا ترتد المسالة كلها الى البحث عن تربية عربية تغذى الابداع ، وتستخرج طاقات الابتكار لدى الانسان الى أبعد مدى ممكن .

وتعهد التربية للابداع مطلب ينبغى ان يبدأ منذ نعومة الاظفار ويستمر فى مراحل التربية المختلفة . على أن التربية السابقة على المدرسة والتربية فى مرحلة التعليم الابتدائى تلعبان الدور الاكبر فى رعايته وتفتيقه . أما وسائل ذلك فليس ههنا مجال الحديث عنها . ولعل اهم ما فيها تدريب الطالب على العمل الشخصى والبحث الذاتى المستقل ، وإفساح المجال امام أصحاب المواهب الفذة فى نظام تربوى لا يعنى مع الأسف بالطلاب الذين قد يكونون متوسطى القدرة فى مواد مدرسية عديدة غير انهم أفذاذ مبدعون فى مجال أو مجالين ، وتشجيع سائر أشكال الابداع الحر فى الانشاء والرسم وسواهما ، وتنمية الخيال الخلاق ، وتعريف الصغار منذ ميعة الصبا على عالم العلم والتكنولوجيا واستخراج العقل الذى فى أيديهم والذى يفوق العقل الذى فى رؤوسهم على حد تعبير غاندى ، والافادة

«التحدى العالمى» للكاتب الفرنسى جان سرفان شرايبر .

من فضائل استخدام الاصابع الخمس ، وتنمة روح النقد والتحليل والمناقشة ، وغير ذلك كثير . ولا حاجة الى القول ان تنمية البحث العلمى ووسائلة ولاسيما فى مرحلة التعليم العالى ، جانب هام من جوانب تعهد تربيه الابداع هذه . على انها لا تؤتى ثمارها الا اذا سبقتها ومهدت لها رعاية لهذه القدرة طويلة ومستمرة منذ الصغر . ولقد خطت التربية الحديثة خطوات كبيرة فى طريق تكوين روح الخلق والابداع هذه ، ايمانا منها بان من غير الجائز أن نترك أمر نمو هذه القدرة للصدف وحدها ، وانطلاقا من حقيقة اساسية هى أن الخيال المبدع هو الذى يلعب الدور الاكبر فى اية تنمية ، ولا سيما فى التنمية الصناعية . ومما يقوله «شريبر» نفسه فى كتابه القديم عن «التحدى الاميريكى» : «ان الحرب التى تواجه الدول الاوروبية ، أمام التحدى الاميركى ، لا تسدد الينا ضرباتها عن طريق الدولار او اطنان الفولاذ ، ولا حتى عن طريق الالات الحديثة بل عن طريق الخيال المبدع وموهبة التنظيم» . والقوة الحديثةعنده ثاوية فى القدرة على الابتكار .

وكثير من المربين المحدثين اليوم يرون ان من واجبنا التخلى عن المفهوم العقلى والموسوعى الخالص للثقافة ، وتبنى مفهوم أرهق واشمل للتربية ، قوامه أن ينمى لدى الطفل ـ إلى جانب تذوق المعارف ـ القدرة على التغير والتغيير والابداع ، أن نتيح له السيطرة على العوامل والشروط الاقتصادية والاجتماعية التى تحيط به كيما يحيا غايات ثقافية مستقلة وكيما يسهم إسهاما فعالا فى الحوار الفكرى والعام . ومما يقوله أحد المربين: ان كبت النشاط المبدع لدى الطفل من قبل الآباء والمعلمين هو اولى الأسباب الدالة على كبت النشاطات الخلاقة من قبل المجتمع ولقد ظهرت فى السنوات الاخيرة عشرات المؤلفات التى تعنى بمسالة القدرة على الابداع وأساليب تكوينها لدى الاطفال والشبان . وكلها تؤكد أهمية هذه القدرة ، وتشير الى أن بذورها قائمة لدى كل طفل ، وأن التربية المالوفة هى التى تطفئها غالبا ، حتى ليحق لنا أن نتساءل مع القصاص الفرنسى «الكسندر دوما» : كيف يتاتى أن يكون معظم الاطفال على حظ كبير من الذكاء ، وأن يكون معظم الراشدين على حظ كبير من الغباء؟» ، وأن نجيب معه على هذا السؤال قائلين : «لابد أن تكون التربية هى المسؤولة عن ذلك» . ولنقل عابرين ، خوفا من اى لبس ، ان هذه القدرة على الابداع لا ترتد الى الذكاء ، ولعل الذكاء من دونها أشبه بالثمرة الجافة . انها ملكة تزكو بالرعاية والدربة ، وتحمل وتتثم اذا نحن تعهدناها ، وتغل ثروات فكرية ومادية ليس لانطلاقتها حد . انها الخروج على المالوف ، ومجاوزة الاتباع ، وركوب طريق المبادرة ، وتخيل الطريف

المولد ، وهجران السنة والنوم ، وارتياد المجهول واقتحام المغلق

ويشط بنا الحديث ان نحن مضينا فى الحديث عن هذه القدرة وعن وعودها وآفاقها البعيدة التى حملت شعراءنا العرب على الظن بأن وراء الابداع الشعرى روحا من عبقر الجن . وجملة ما نود أن نصل اليه من وراء هذا كله أن العمل على توليد تربية عربية قادرة على خلق نمط حضارى عربى لا يعنى فقط كما يخيل الينا عادة – أن نصب جهودنا على نشر التعليم وتنويعه وتفريعه وتجويد مناهجه وطرائقه بل يعنى – أولا وقبل كل شىء – أن نجعل الانسان الذى يتلقاه قادراً على التفتح الى أبعد مدى وعلى تجاوز ذاته دوما وأبداً وعلى تغيير مجتمعه وتجديد مجتمعه من خلال نظرة مبدعة خلاقة رعيناها فاحسنا رعايتها . أوليست أزمة التخلف الحضارى فى البلاد العربية أزمة فى النهاية الى ضمور الابداع فى المجتمع العربى قرونا طويلة من الزمن ، بعد انهيار الدولة العربية الاسلامية لأسباب مختلفة ، وبعد أن حل محل حرارة الاسلام ووثبته الحضارية الأولى جمود واتباع وتقليد؟ بل أوليست الوثبة الابداعية التى عرفتها الحضارة العربية الاسلامية والتى تلقفها الغرب هى التى فجرت بذور الحضارة الغربية كلها؟ أو لم يغادر الغرب ، بفضل الحضارة العربية خاصة والحضارة اليونانية الى حد ما أساليب الاتباع والجمود التى عرفوها أيام العهد الوسيط فى أوربا لينطلقوا منذ أيام عصر النهضة نحو حضارة تنضو عنها مخلفات التفكير الاسكلائى الجامد والقياس الارسططالى العقيم ، وتجعل من الاستقلاء فى احضان الطبيعة واستكناه اسرارها شعار حياتها ، بعد أن كانت الطبيعة واديا للدموع ومسرحا للخطيئة ؟ بل أوليست الروح التى عرفت باسم روح «بيكون» والتى فجرت الحضارة الغربية الحديثة هى فى حقيقة الامر روح الحضارة العربية الاسلامية سرت الى الغرب وانتشرت فى شعابه ؟

خاتمة :

وبعد ، لعلنا ندرك فى خاتمة هذا الحديث أن الجهد العربى الذى نرجوه لتوليد نظرة عربية خاصة قادرة على تجنيبنا مخاطر الازمة العالمية وعلى تمكيننا من الاسهام فى بناء الكيان العالمى الجديد ، جهد لابد أن ينطلق أولا من التربية ، ومن تربية مبدعة خلاقة . وقد لا نقوى اليوم على تحديد معالم تلك النظرة الحضارية العربية الخاصة ، لانها بناء لا اكتشاف . انها بناء نشيده من خلال عمل طويل النفس نسلطه على التربية لنجعل منها طاقة جديدة تفجر قوى الانسان العربى وتقده قدا جديدا مبتكرا . وعندما يعى الانسان العربى ذاتهومجتمعه وتراثه والعالم من حوله ، وعندما يغدو مزودا بالخيال الجموح الذى يستشرف رؤى المستقبل ، وعندما ينطلق لديه مارد النقد والمبادرة والعطاء الأصيل ، لابد أن يصبح قادرا على صياغة نظرته الجديدة الى العالم ونظريته العربية المحدثة .

المسالة إذن ليست مسالة وعظ وارشاد ، ليست ان نبين للفتى العربى والطالب العربى ما عليه أن يفعل . انها تزويده فعلا بالقدرة على الفعل ، أى بالقدرة على المبادرة والتغيير والابداع . والمسالة ليست كذلك أن نضع للتربية أجمل الاهداف ، بل أن نقلب تلك الاهداف الى انماط سلوكية ، كما يقول المربون . والمسالة فوق هذا وقبل هذا ليست أن نكون العالم والمهنى والفنى والمؤرخ والمربى وعالم الاجتماع ومن اليهم ، بل أن نكون لدى هؤلاء جميعاً القدرة على الابداع المستمر .

ان الحدود التى تقف امام النمو الاقتصادى والاجتماعى ، لا يتجاوزها الا ما تحمله قدرة الانسان على التعلم والابتكار من امكانات لا حد لها . وأمام قولنا ان للنمو الاقتصادى حدودا ينبغى أن نضع قولا مقابلا : لاحد للتعليم . وفى تراثنا العربى الاسلامى :

يظل المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه علم فقد جهل وفى الحديث الشريف : منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال . والتعليم فى أحدث معانيه يعنى العملية التى تهىء الانسان لمواجهة مواقف جديدة .

تلكم عندنا شروط النهضة التربوية التى تمهد السبيل لولادة حضارة عربية قادرة على الاجابة على التحديات التى تواجه البلدان العربية وعلى الاسهام فى حل الازمة الحضارية العالمية .

لقد زال الى غير رجعة ذلك الحين من الدهر الذى كان يخيل الينا فيه أن التربية دوما وأبداً أداة التقدم ووسيلته . فالتربية التى تؤدى الى التقدم ليست أى نوع من التربية ، بل لابد أن تشتمل فى واقعها وممارستها على الشروط اللازمة للتقدم . وان لم نفعل كانت التربية عبثا قبل أن تكون عوناً ، وكانت اداة لتخريج أدعياء الثقافة وهم أخطر من فاقديها ، وقادت لا محالة الى مجانبة أهداف التنمية والتقدم بل السير فى عكس اتجاههما .

إن الطاقة العربية طاقة كبيرة ولكنها حبيسة ضمور الانسان العربى وركوده . وما نجده من تخلف فى شتى ميادين حياتنا ، الزراعية منها والصناعية والعلمية والتكنولوجية ، وليد هذا الضمور وذلك الركود . كل شىء فى امكاناتنا المادية والبشرية يشير الى أن المتوقع والمأمول أن نكون أفضل حالا مما نحن عليه . فهل نملك حقاً تلك الإمكانات؟ الراجح اننا لا نملكها لاننا لا نملك القدرة على استغلالها أوسع استغلال ممكن ، ولأننا لم نحسن تكوين الانسان القادر على ذلك . ومع ذلك ما نزال نتابع السير نحو سراب هارب ، فنجهد ونجهد لنقل العلم والتكنولوجيا وأدواتها دون أن نكون القدرة الذاتية على ابداعهما ، وننسى وسط الزحام محور المحاور وقطب الرحى ، نعنى الانسان المبدع المجدد .

من أعماق ذلك الانسان ينبغى أن نمتاح القدرة والغنى ، ومن تفجير طاقاته ينبغى أن نرتاد الطرق الجدد ، ومن ايقاظه بعد سبات وتعريفه بذاته وتراثه وعالمه نرجو توليد رؤية عربية أصيلة قمينة بأن نحاور العالم من خلالها .

د. عبد الله عبد الدايم



الشاعر المأساة

إلى الشاعر حمد الحجي .. وحزني

شعر : محمد الفهد العيسى

يصدر خلال هذا الشهر ديوان «الابحار فى ليل الشجن» وهو الديوان الجديد للشاعر السعودى الكبير محمد الفهد العيسى ، وهذه إحدى قصائد الديوان :

الليل تغمره السكينةْ
والمُزنة البيضاء تُبحر
تحت أشرعة القمر
حيرى حزينةْ
حطمتها في ظلام الليل
أمواج المدينةْ

* * *

وعلى شاطئها المهجور ..
أغفت ..
تندب أشلاء شراع وسفينة

الكناري .. الذي أغرق باللحن الوتر
أخرسته - ظلمة راعبة -
مزّقت في نزوة رَعْنا شجونه
ضل فى درب الليالي ..
أيكة حب .. كان يسقيها حنينه
ضاع في درب مَتاهِ القلقِ الحيران
يجرّ - على وهنٍ - سنينه
يتنزّى قلبه من شجَن
صب في أضلاعه الوهنى ظنونه
الأحاسيس التي غنى بها
عربدت ..
تجتاح كالبركان



كالإعصار أفياء غصونه
بعثرت أزهاره
في صحارى اليأس ..
كم أدمت جبينه

* * *

الكناري الذي غنى الليالي
وتغنى بالليالي
أخرسته ..
ـ يا الجور الزمان ـ الليالي
واستباحت سكونه

يا أماسي الحب ..
يا أشواق ..
يا نشوى بلحن البلبل الغريد ..
لن نبكي لحونه
الكناريّ ..
يا أماسي الحب ..
مبحر في قلوع أمينه
سيغني يا رفاقي .. الكناريّ
غداة الفجر أندى لحونه



● أغرب رحلة من سلطنة عمان إلى الصين في سفينة شبيهة بالسفن الخليجية القديمة!

علي عبد الله خليفة

■ سندباد جديد

في عام ١٩٧٨ بنى عالم الأجناس النرويجي «ثور هايردال» قاربا من البوص وابحر به مع مجموعة من الاختصاصين في مجالات مختلفة من العراق إلى البحر الأحمر ليدلل بالتجربة العملية على قدرة مراكب البوص على قطع مسافات طويلة في الألف الثالث قبل الميلاد . وقد حققت رحلته أهدافها العلمية ، واستفاد منها الدارسون والمهتمون .

تذكرت ذلك وانا اتابع باهتمام وإعجاب التجربة العلمية التي يقوم بها العالم الأسكتلندي «تيم سيفرن» للبحث في طرق الملاحة العربية القديمة إلى البقاع البعيدة ، ليثبت عمليا قدرة بحارة الخليج الأوائل على الابحار بقوارب بدائية من سواحل بلادهم إلى الصين . وتذكر كتب التاريخ بأن العمانيين في القرن العاشر الميلادي قد نجحوا في انتزاع الأهمية التجارية من سكان الخليج أيام التنافس على التجارة البحرية بين الموانىء ، فجعلوا من مدينة صحار ميناء مزدهراً تبدأ منه الرحلات إلى الصين . لذلك فقد تبنت هذه التجربة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ، فوفرت كل ما يلزم تحقيق الفكرة من المواد والفنيين لصناعة السفينة إلى تجهيزها بالمعدات والبحارة

وتقضي فكرة «سيفرن» بان تصنع سفينة جديدة بنفس الطريقة التي كانت تصنع بها السفن القديمة في الخليج ، فبدلاً عن المسامير استخدمت الحبال المستخرجة من الياف قشرة جوز الهند المجدولة لتثبيت الألواح وشدها مع بعضها البعض بطريقة التخييط المتوازي ، واستخدام نفس الاشرعة القطنية الكبيرة التي كانت تسير السفن في ذلك الوقت إعتمادا على الريح وعلى مواقع النجوم ، وان تقطع هذه السفينة رحلة طولها حوالي ستة آلاف ميل من مسقط إلى كانتون بالصين .

ولانجاح التجربة وتقريبها من واقع الحال في ذلك الزمان اتبعت في كل خطوة نفس التفاصيل الصغيرة والدقيقة التي كانت تجري ذلك الزمان لاستكمال صناعة السفن ، فقد جلبت أخشاب الساج اللازمة لصنع السفينة من غابات جنوب الهند ، ونفس الحبال للشد وتثبيت الألواح ، ونفس الفتيل لحشو الشقوق المتفرقة ، ونفس الاشرعة القطنية المثلثة الشكل ، ونفس الزيوت والمواد التي كانت تطلى بها المراكب القديمة في الخليج . ولقد قام بصنع هذه السفينة إثنان وثلاثون صانعا اختيروا بدقة من بين النجارين العمانيين المهرة وبلغ طول السفينة ستة وثلاثين قدما وجهزت لتصبح نسخة طبق الأصل من سفن القرن العاشر الميلادي الشراعية .

لقد عاش صاحب التجربة كل تفاصيل العمل ، وقام بملاقاة المعمرين من ربابنة السفن في مدينة صور المشهورة بصناعة ذلك النوع من السفن ليستطلع منهم معالم الطريق البحري الذي سلكه التجار للوصول إلى الصين . ويتناقل الرواة الشعبيون في عمان بأن أول من قام باجتياز هذا الطريق التاجر العماني أبو عبيدة عبد الله بن القاسم الذي وصل الصين من عمان حوالي عام ١٣٣هـ – ٧٥٠م ليشتري الصبار والأخشاب ، كما يتبين من الوثائق الصينية ان مراكب غرب المحيط الهندي كانت تشاهد في ميناء كانتون منذ عام ٥١ هـ – ٦٧١ م . واختيار مدينة صور لتكون منطلقا للرحلة الجديدة جاء لكون المدينة ميناء حيويا شهيراً مطلا على الخليج العربي وأهلها من أشهر صناع السفن وأمهر التجار الذين عملوا في نقل البضائع من وإلى شرق افريقيا والهند .

إن نتائج بعض الأبحاث المعاصرة تؤكد بأن مغامرات السندباد الاسطورية لها علاقة وثيقة بالقصص والروايات الشعبية المتداولة في المنطقة والمبنية حقيقة على معاناة الانسان في الخليج والسواحل القريبة في ركوب المجهول والتغرب عن الأهل والديار في بحر الأهوال والشدائد ، كما انه يحتمل أن تكون صحار بسلطنة عمان هي المدينة التي عاش فيها السندباد قديماً ، ويريد «سيفرن» من مشروعه كذلك ان يثبت بأن لملحمة السندباد جذوراً تاريخية واقعية

وفي أوائل شهر نوفمبر الماضي وبعد نهاية الرياح الموسمية على طول الخط البحري القديم المؤدي إلى الصين ابحرت سفينة السندباد الجديد في



طريقة «الكمال» تدلل العقد والذيول على خطوط العرض لموانئ معينة ترسو فيها المراكب .

● مايقدم لأطفالنا شيء ، والتجريب في الكتابة للطفل شيء آخر !
● هذا الباحث الذي عايش الأغنية الخليجيّة مايقرب من ربع قرن !

احتفال متواضع وعلى ظهرها خمسة وعشرون فرداً ، ومن المتوقع ان تصل إلى نهاية مطافها فى منتصف صيف ١٩٨١ ، وسيسجل هذا العالم تجربته فى كتاب اتفق مسبقاً مع إحدى دور النشر البريطانية على نشره ليطلع العالم على نتيجة بحثه ، مثلما سبق له ان نشر تجربته الاولى عام ١٩٧٧ والتى ابحر فيها عبر المحيط لاطلسى الشمالى ليثبت عملياً بأن كريستوفر كولمبس وجماعات الفايكنغ لم يكونوا أوائل من وصل إلى امريكا من أوربا ، وإنما سبقتهم جماعات الرهبان الايرلنديين التى ابحرت إلى القارة الجديدة فى قوارب مفتوحة مصنوعة من الجلد ، وقد ابحر «سيفرن»



رسم مبدئى افتراضى على طراز المراكب العابرة للمحيطات التى يحتمل أن يكون البحارة العمانيون قد استخدموها فى رحلاتهم أثناء عصر صحار الذهبى .

قياس ارتفاع النجوم بواسطة طريقة «الكمال» وهي الطريقة التقليدية التي كان يستخدمها البحارة العرب في معرفة خطوط العرض .



في ذلك القارب البدائي تلك السنة مع ثلاثة من رفاقه الايرلنديين عن طريق ايسلندا الى ساحل كندا ، ولقد نشرت الصحف الغربية قبل ثلاث سنوات بالتفاصيل كل المخاطر التي واجهتها الرحلة .

عندما يتابع المرء في وطننا العربي مثل هذه التجارب العلمية التي يضحي فيها الانسان بحياته من أجل هدف نبيل يضيف به شيئاً ما الى اي مجال من مجالات المعرفة لا يسعه إلا أن يشعر بالحسرة بمقدار شعوره باحترام وتقدير هذه الأعمال . إنني أتساءل أين جهود مؤسساتنا العلمية والتربوية ورجالها ممن يتخيرون أقصر السبل وأيسرها لنيل الدرجات العلمية وذلك باجتـــرار المواضيع واستهلاك الكلام قابعين على مكاتبهم الوثيرة في الغرف المكيفة ؟ فهذا رجل من أبعد البلاد يأتي ليتحقق بالدليل العلمي كيف كان اباؤنا في الخليج يبحرون الى البعيد ويمدون أنظارهم ويتطاولون بقاماتهم لتحقيق الحلم بينما نحن لاهون الآن بالكرة وحل الكلمات المتقاطعة وتداول الأســـهم والمضاربة بالسندات المالية . ترى فيما لو خرج من بيننا مغامـــــر بالصدفة يريد إثبات حقيقة علمية هل سيجد من بين هذا الضجيج الهائل من يسمعه ويتفهم قصده ويمده بالعون .. هل ؟

محاولات الكتابة للأطفال في الخليج

أدب الأطفال في عالمنا العربي فقير جداً ، وجهود الرواد فيه يتيمة وغير مطورة . وتقصيرنا فيه جزء بسيط من إهمالنا الكبير للأمور الصغيرة التي تكبر لتفاجئنا بضخامتها بين حين وحين . فبعد المحاولات الرومانسية الأولى لكامل كيلاني ، وعثمان جلال ، والمتاثرة بما وفد إلينا من الغرب في هذا المجال أفاق العالم العربي بعد غفوة على محاولات الكتابة الجديدة للاطفال لزكريا تامر وعادل أبو شنب وسليمان العيسى وغيرهم ووصلت إليه انجازات الدول المتقدمة في مجـــال الاهتمام بالطفل واحس ، متأخراً ـ كالعادة ـ بفداحة ما فرط في الأيام الخوالي . فانكبت دور النشر العربية باهداف متضاربة شتى على نشر كل ماله علاقة من بعيد أو قريب بالطفل حتى أنهم عادوا لنبش بطون الكتب التراثية القديمة لاستخراج اية إشارة أو حكاية تخص هذا الطفل المسكين . فامتلات المكتبة العربية بسيل جارف من المطبوعات التي تحتاج إلى فرز صارم قبل أن تصل إلى يد القارىء الطفل حتى لا تظلم النماذج الجيدة ذات الهدف النبيل .

وفي منتصف السبعينات عندما بدأت بواكير الكتابة للطفل في الخليج تطل برأسها خجلة مترددة غمرنا شعور عظيم بالفرح ، واستقبلنا المحاولات الأولى لعبد القادر عقيل ، وخلف احمد خلف ، وفوزية رشيد بحماس وخوف : حماس ، لهذا التوجه الجديد في مسار الحركة الادبية الجديدة في البحرين . وخوف ، على اطفالنا من هذه المحاولات التجريبية الاولى فيما لو وقعت بين ايديهم بعلاتها . ومازلت اذكر تلك المناقشات المحتدمة حول أدق التفاصيل بشأن الكتابة للاطفال ومدى أهمية مزج الابداع الأدبي الغامر برصانة وعلم رجال التربية ودراية الأمهات والآباء القريبين من الطفل اكثر منا . انه لا يمكن لأي كائن بشري مهما ارتقى بثقافته ومشاعره ان يدرك المعنى الدقيق للامومة او الابوة قبل ان يجربها حقيقة ويلمسها بشغاف قلبه وروحه . واذكر اننا كنا نشطح بافكارنا ونقاشنا إلى البعيد وتبقى الحقيقة راسخة امامنا وهي أن ما يقدم إلى الطفل شيء والتجريب في الكتابة للطفل شيء اخر . ولقد صهر جو النقاش والمران والقرب من الطفل بعض تلك التجارب واستطاعت أن تأخذ طريقها بالفعل إلى أطفال الخليج بعد طول معاناة وانتظار . فاصدر عبد القادر عقيل عام ١٩٧٧ في دبي (من سرق قلم ندى) ، وأصدر خلف احمد خلف في قطر (اللعبة) ، ثم توالت إصدارات الكاتبين ، فاصدر كل منها قصتين في قطر كذلك . ولست هنا في مجال تقييم هذه الأعمال ،



أطفال الخليج وبداية القراءة .

فانى اتركها لمختص بعد ان تجاوزت مرحلة القبول او الرفض بالنسبة للمجازفة فى تقديمها إلى الطفل ، لكننى ازاء هذا السيل الجارف الخالى من الابداع ومن ابسط اصول التربية الذى يطفو على السطح من قصص ومسرحيات وأناشيد موجهة للطفل ، ربما يكون من المقبول نشر اية محاولة تجريبية فى مجال الأدب والفن فهى موجهة لراشد لديه قدرة ما على التمييز والفرز ، لكن ان يكون ذلك المتلقى لهذا التجريب هو الطفل فهذا امر خطير يجب ان ننبه إليه لنتدارك اخطاره قبل ان تسوق إلينا الصدف قصصا واناشيد ومسرحيات ضعيفة وركيكة وخالية من الاصول الفنية والتربوية ، كتبها صاحبها مستهينا بهذا الفن الصعب باحثا عن السهل فى لغة التبسيط المفروضة فى الكتابة للاطفال ، اقول امرا خطيرا ، لاننى تابعت عن قرب المحاولات المتهافتة لنشر قصص ضعيفة فنيا وتربويا يصر اصحابها على نشرها وليصالها للطفل باية وسيلة .

ان استمرار الحوار حول ادب الاطفال ظاهرة صحية مطالبين جميعا بالاسهام فيها ودفعها لتحقيق اهدافها البعيدة من اجل فرز الابداعات الاصيلة الناضجة فى هذا المجال واعطائها حقها من فرص النشر والوصول كاملا والوقوف بصرامة امام كل ما هو غث يحاول التسلل باسم الجديد إلى عقل الطفل .

الموسيقى والغناء في الكويت

حركة نشر الكتب الناشطة فى الكويت هذه الأيام تدعو إلى الاغتباط فهناك اكثر من كتاب غير عادى صدر خلال الستة شهور الماضية . كديوان الأستاذ العدوانى وديوان منصور الخرقاوى وغيرهما ، وهو مؤشر لحيوية النشاط الثقافى فى الكويت الشقيق الذى تساهم فيه بفاعلية المؤسسات الاهلية المتخصصة إلى جانب نشاط الافراد من ادباء وفنانين . فبقدر حاجة الناشر الجاد إلى دعم القارىء فيما ينشره من كتب يحتاج مناخا ثقافيا متسامحا تتفاعل فيه المواهب والطاقات المبدعة وتنشط من خلاله عملية البحث والتأليف لنوع هذا الناشر مايقدمه للقارىء ويشده إلى المتابعة ويشده إلى القراءة وقد اصدرت دار الربيعان للنشر والتوزيع كتاب «الموسيقى والغناء» للاستاذ احمد على احد الموسيقيين العرب الذين عايشوا الأغنية الخليجية ما يقرب من ربع قرن .

يقع الكتاب فى مئة وواحد وعشرين صفحة من القطع الكبير ويبحث فى فن «الصوت» الخليجى الذى ظل لفترة طويلة بعدا عن اهتمام الدارسين والباحثين حتى من ابناء المنطقة انفسهم واهمية هذا العمل الفنى الذى سد نقصا كبيرا فى المكتبة الموسيقية خصوصا والعربية عموما تاتى اولا من تمكن الباحث من مادته تمكن العارف الخبير بها وسيطرته على موضوعه بحكم ما توفرت بين يديه من تسجيلات غنائية قديمة ونادرة كالالحان الاولى للفنان عبد الله الفرج الذى تعتبر اسهاماته : اليوم تقنينا وتطويرا لهذا الفن بالاضافة إلى تسجيلات الفنانين ابراهيم بن يعقوب ، خالد البكر ويوسف البكر من الكويت وهو من الرعيل الخليجى الاول الذى ابدع فى اداء فن الصوت . امثال الفنانين محمد بن فارس وضاحى بن وليد من البحرين وغيرهم . ولقد استمتعت حقا بقراءة هذا الكتاب وتمنيت لو ان المؤلف لم يقصر بحثه على الكويت وحدها ، فالصوت فن خليجى لا يمكن تجزئته عند الدراسة حسب المناطق . فالبلاد التى ازدهر فيها مع بداية انتشاره وشيوعه محدوده ، ونماذجه الاولى التى حملتها الينا الاسطوانات القديمة مازال اغلبها متوفرا ومحفوظا لدى اكثر من جهة . وأمل ان يستمر جهد هذا الباحث فيقدم فى الأيام القادمة دراسة شاملة عن الصوت الخليجى تضاف إلى جهده الرائع هذا .

علي عبد الله خليفه

أين المسلمون من الاسلام ؟!

إن من المبادىء التى ميزت الاسلام التوحيد وهو سبيل القوة والاخاء وهو سبيل التعاون والمساواة ، وهى سبيل العدل والحرية وهى سبيل الكرامة والبر ، وهو سبيل المحبة والسلام وهو سبيل الرخاء . وكل هذه المبادىء معلومة من القران بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتاويل او تحميل او تعسف . وهى كما ترى تضمن افضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية ، واجمل ما فى المدنية . فهى حرية ان تصلح ما فسد من امور الناس ، وان تقيم ما اعوج من نظام الدنيا . وقد كانت كذلك يوم كان لحماتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتقديها يقين .

اين المسلمون اليوم من اسلام عمر وخالد فى الحجاز ، والرشيد والمامون فى العراق ، والناصر والحكم فى الأندلس ، والعزيز والحاكم فى مصر ؟ الم يبلغ هؤلاء بفتح الجيش وفتوح الدين وفتوح العلم وفتوح الخلق من السلطان والعمران ما لم تبلغه امة من قبل . فنزل على حكمهم الدهر . ودخل فى فلكهم العالم ؟

احمد حسن الزيات يونيو ١٩٥٢

المستشرقون وهواة القراد

د. عبدالسلام العجيلي

صدر منذ فترة باللغة الانجليزية كتاب «قصص عربية حديثة» فى منشورات جامعة اكسفورد ، وهو الكتاب الذى نوهت به وبمترجمه المستشرق الانكليزى دنيس جونسون ديفيس ، مجلات ادبية فى الفترة الأخيرة .

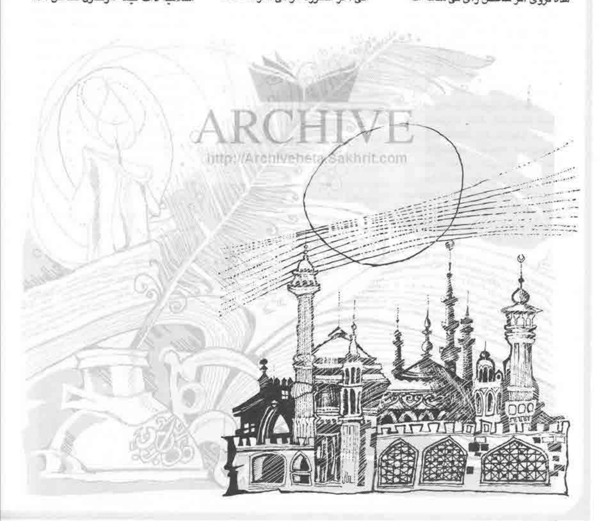
هذا الكتاب يحتوى فيما يحتويه قصة لكاتب هذه السطور اسمها «الرؤيا» . ولهذه القصة بالذات ، او لترجمتها من قبل المستر دنيس جونسون ديفيس ، حكاية اورويها اليوم هنا . قصة «الرؤيا» هذه تروى امر شخص رأى فى منامه انه كان يصلى ، وانه قرأ فى الركعة الأولى من صلاته سورة قصيرة من سور القرآن ، وانه جاء فى الصباح الى شيخ قريته يسأله عن تفسير تلك الرؤيا ، وان الشيخ قال له :

ــ هل انت واثق من انك كنت تقرأ سورة الفتح ؟

فيقول الرجل : ــ كل الوثوق . قرأتها بكاملها : اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ...

الى آخر السورة . والى آخر القصة .

وكنت كتبت هذه القصة منذ نحو اثنتى عشر سنة لاحدى محطات الاذاعة العالمية ، فاذيعت فى حينها من تلك المحطة ومن اذاعتين عربيتين اخريين . ثم نشرت فى مجلة عربية ذائعة الصيت ، معروف صاحبها بعنايته فى اخراج ما ينشر فى مجلته ودقة تحقيقه فيه . وبعد ذلك ظهرت هذه القصة مع قصص اخرى لى فى كتاب أصدرته دار نشر صاحبها يحمل الى جانب شهادته الجامعية الفرنسية شهادة دينية اسلامية ذات قيمة . وتناول قصص هذا



الكتاب بالدراسة والنقد نقاد كثيرون كان بعضهم يفتش فيه عن المآخذ يعدها علي ، وبعضهم كان يختلق تلك المآخذ اختلاقا . هذا عدا عن دراسة هذه القصة في ثلاث اطروحات جامعية قدمها اصحابها في القاهرة ودمشق .

تحت كل هذه الأضواء ، ومن خلال كل هذه الغرابيل ، مرت قصتي هذه دون ان يفطن احد الى الخطيئة التي ارتكبتها في تسمية السورة القرآنية في سياق الحكاية . الى ان جاءتني في ذات يوم رسالة من دنيس جونسون ديفيس يستاذنني فيها بترجمة قصة «الرؤيا» الى الانكليزية ، ويشير بتهذيب الى ان السورة التي اوردتها في القصة هي سورة النصر ، وليست كما سميتها سورة الفتح ...

إذن فما اخطات انا فيه ، عن غفلة او عجلة ، وما فات النقاد المخلصين والمتسقطين للزلات وسيئي النية ، وما فات حتى «أبا محمد» ، وهو المرحوم مارون عبود الذي ختم مديحه لقصصي بتنبيهي الى غلطة مطبعية وردت في احداها .. ما فات كل هؤلاء الكتاب العرب والمسلمين في موضوع معروف وكثير الطرق قد تنبه اليه المستر جونسون ديفيس ونبه اليه في رقة وتهذيب !

انها واحدة لهؤلاء المستشرقين تعد لحساب دقتهم وجدهم ونموذجيتهم في العمل . او انها واحدة علينا تعد على حساب لا مبالاتنا او قصورنا في التتبع او عدم جديتنا فيما نتصدى له من اعمال او ما نتحمل مسئوليته من اقوال .

حين يتجمد الحبر

لقد قيلت في المستشرقين ، ولا سيما القدماء منهم ، أقوال كثيرة واخذت عليهم مآخذ متعددة ليس بينها الخفة والتهاون وضعف الاهتمام بما درسوا وحققوا او الفوا . بل ان انكبابهم على دراسة آداب اللغة العربية وتاريخها قد اوصلهم احيانا الى درجة تقرب من عشق الصوفية في التعلق بما يدرسون . ومن يريد صورة حية لهذا الذي اقوله فليقرأ كتاب كراتشكوفسكي المسمى «مع


دنيس جونسون

المخطوطات العربية» في ترجمته التي أصدرتها دار التقدم في موسكو .

في كتاب كراتشكوفسكي هذا نرى الى اية درجة يبلغ تعلق هؤلاء البعيدين عن العرب لغة ودينا وظروفا اجتماعية بمؤلفات العرب البالية المكتوبة بحروف ممحوة عسيرة الفهم على رق او بردى او كاغد غليظ . ونرى كيف ينسى المستعربون ، في بتروغراد ، في أواخر الحرب العالمية الأولى ، الجوع والظلام والبرد الذي به يتجمد الحبر في المحابر ، فيعيدون فرحا حين يقيمون على مخطوطة من كتاب «المنازل والديار» كتبها بخط يده الأمير أسامة بن منقذ وهو في الثانية والستين من عمره . ونرى كيف أن كراتشكوفسكي الغى رحلته التي حجز مكانه لها في احدى البواخر لأنه تعلق في آخر لحظة بمخطوطة أعجبه منها بيت شعر في أولها ، ثم كيف عاد الى السفر بعد أن روى غليله من قراءة تلك المخطوطة ونسخها ، جذلان يردد ذلك البيت الذي خلب لبه من شعر سلامة بن جندل :

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب
لو كان يدركه ركض اليعاقيـــــب

الجنون والعقل

ولكن اهم المستشرقين ، من شيوخ قدماء مثل كراتشكوفسكي أو شباب معاصرين مثل دنيس جونسون ديفيس ، وحدهم من أهل الغرب الذين يأخذون جدا عملهم الذين انصرفوا اليه من أعمال الحياة ؟

اظننا كلنا نعرف الجواب ونسلم بأن الجدية صفة من صفات الانسان الغربي، في القرون الأخيرة من تاريخ العالم ، في أخذ الحياة والتصرف أثناءها . يستوي في هذا الباحثون في آداب اللغة العربية من علماء الاستشراق والباحثون عن القراد من علماء الحشرات أو من طلاب الكليات البيطرية .

لماذا اسمي هنا الباحثين عن القراد دون بقية انواع الحشرات او الحيوانات الأخرى ؟ ذاك لأني لا ازال اذكر زيارة ثلاثة من الفتية الألمان لي منذ عامين ، وقد جاؤوا الى شمال سورية من هانوفر ، في سيارة احدهم ، سعياً وراء دراسة حشرة القراد في الشرق الأوسط . كان اثنان منهم في سبيل اعداد اطروحتين جامعيتين في الموضوع . وكان حديثهم عن تلك الحشرة ، وعن صنوفها وتوالدها وما تنقله من امراض وما تستضيفه من حيوانات ، حديث الذي يعتقد مخلصا ان القراد هو مركز الدنيا وسر الكون . وكان احدهم يطير فرحاً لأنه وجد في ذلك الصباح ، على شاطىء الفرات ، سلحفاة قد حط عليها القراد ، فاخذ بعضه واضافه الى مجموعته ...

كان أولئك الفتية الثلاثة يحدثونني عن رحلتهم التي ستستمر بهم من شمالي سورية الى الموصل ، ثم تنحدر بهم الى بغداد فالبصرة ، وقد تنتهي بهم الى بومباي في الهند . فترجمت هذا لصديق كان معي فقال : كل هذا من اجل القراد ؟ أليسوا مجانين ؟

قلت : بلى .. لعلهم من أولئك الذين قالوا عنهم انهم «مجانين إلا أن سر جنونهم .. عظيم على اعتابه سجد العقل !» .

د. عبد السلام العجيلي

ثورة الجراح

شعر: سعيد تيم

الشوق افناني وليس بفاني
لو كان لي في العمر عمر ثاني
فمساحة الأحداق لا تسع الرؤى
والحلم اكبر من ضمير زماني
تتوالد الأشواق بين اضالعي
كتوالد الأمواج في الشطان
مهما تراخت فى السنين اعنتي
فعصية ليلى على النسيان
ليلاي يا عشقي القديم وصبوتي
حتام قيس في هواك يعاني
فلطالما عبر المفارق واكتوى
بجذى الحنين وغلة الظمان
كم ذا ترحل في العصور مشردا
كم ضل فى الرمضاء والقيعان
ينداح في درب القوافل جرحه
يستف رمل الحزن والنكران
حتى تغضن في الزمان جبينه
وهواك حرز لم تنله يدان

* * * * *

يا قوم معذرة فبين جوانحي
وقد اللهيب وثورة البركان
وطني الكبير احبه واحبه
لكنما ليلى تهز كياني
سكنت مساماتي وغاصت في دمي
وتجذرت في العمق من وجداني
في اعين الأطفال المح رسمها
في خضرة الزيتون بالأغصان
في حبة الليمون تؤسر عنوة
حتى تطوف أبحراً وموانى
في شهقة الموال في وجع الصدى
في ليل منفي عن الأوطان
في زفرة الشيخ الوقور تعلة
ورؤى الديار خوافق ودواني
تلك المنازل والكروم تحفها
وعلى مساحبها الظلال حواني
حفرت خريطتها على احلامنا
رسمت ملامحها على الاجفان
بمراقد الشهداء يزهر نبتها
متضوعاً بالروح والريحان
في سورة الاسراء يعبق طهرها
في قبة الأقصى وفي الأركان

في مهد عيسى في شذى افيائه
في عهدة الفاروق للرهبان
في موكب التاريخ يعبر خاشعاً
وعلى منائرها نداء أذان
في دمدمات الريح فوق جبالها
في حمحمات الخيل والفرسان
في سهل حطين وفي شطانها
في عين جالوت وفي الوديان
هل للتتار على ثراها مورد
هل للصليبيين من سلطان ؟

* * * * *

ما للصهاينة الغزاة تجبروا
وعلوا علو الحاقد الشنان
نبشوا عظام الخالدين تشفياً
سرقوا وميض العز من اجفاني
واستوطنوا ارضي على مرأى الدنا
زرعوا معاقلهم على شطاني
بعتاد امريكا بدولاراتها
بسلاح الاستعمار والأعوان
بتخاذل الكبراء باستسلامهم
بتواطؤ الأذناب والخوان
أسفاً فامتنا العريقة قد حنت
هاماتها للذل والاذعان
أسفاً فقادتنا استباحوا قهرنا
حذقوا فنون السجن والسجان
من يسلم العملاء مقود ركبه
لا يجتني ثمراً سوى الخذلان

* * * * *

غمست في جرحي المدفق ريشتي
لا تعجبوا فالحرف احمر قاني
الشعر عندي لن يكون عطارة
تذكي مع البخور والعيدان
الشعر عندي لن يكون مهرجاً
ومطبلا في جوقة السلطان
الشعر عندي جذوة مصداقة
قد تكتوى من نارها الكفان
دعني افجرها دوياً هادراً
في وجه كل مراوغ وجبان
قومي مسيل النفط من شريانهم
يجري الى مدنية الانسان

قومي بلايين الالـوف تكدست
بخزائن الغرب الأثيم الجانـي
لترد للأعـداد طعنـات لنـا
وقنابلا فتاكـة النيـران
قومي جموع الطيبيـن تبعثـروا
فالوحـدة الكبرى سراب امانـي
تلك الشعارات المفرغـة النـوى
كم ذا تثير نـوازع الغثيـان
هذي قبائلنـا مفككة العـرى
يا بعـد عبس عن بني ذبيـان

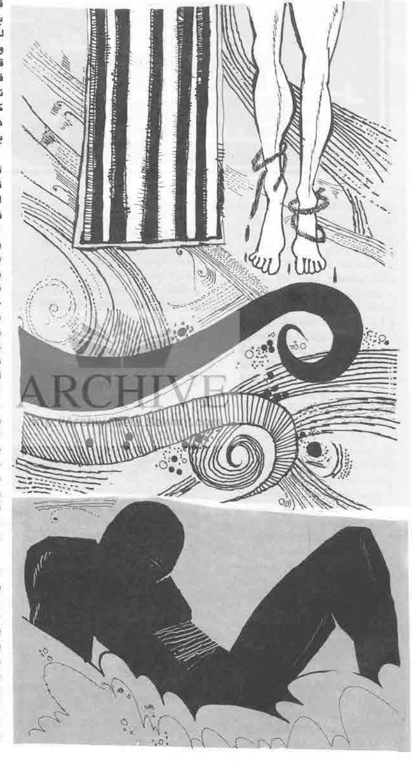
* * * * *

قومي شروق الشـمس ثم غروبهـا
قومي امتداد البحـر والخلجان
لكنما الاحباط يطفىء شـعلتي
فانا من الغربـاء في اوطانـي
ابداً كـلاب الصيد تتبع خطوتي
والمخبرون يهمهم عنوانـي
في خانة الممنوع تلصق صورتـي
وعلى الحـدود منيعة جدرانـي
في الظهر من طعن النصـال مغاور
جرح الأخوة جمـرة بلسـاني
فلكم ذبحت على ماقي امتـي
ولطالما صار القتيـل الجانـي
بدمـي شهور العام ويحي خضبت
في كل شهر تغتلـي اشجانـي
لكنني انبت من جرحـي الوفـا
اطلعت زنبقة من الاحـزان
عانقت موطني الكبيـر ضممتـه
وزرعت فيه حدائقـا ومجانـي
الثورة الشماء من وجعـي نمت
من صرخة الجوعى من الحرمـان
من لهفة الغيـاب من تعذيبهـم
من انة المسجون فى القضبـان
ورايت احلام الغداة تماوجـت
في اعيـن الاشـبال والفتيـان
ادركت معنى ان اثـور مقاتـلا
كم في البنادق منطـق ومعانـي

* * * * *

غمست في جرحي الغضوب براعتي
وعلى السـجون كتبت والحيطان
انا من فلسـطين اليها انتمـي
عربيـة التاريـخ والانسـان
وبصقت في وجـه الغزاة تحدياً
ورميتهم بحجارتـي ودخانـي
ووقفت في وجـه الدروع تدوسني
وسقيت ارضي من دمـا شريانـي
وعلى جبال النـار دوت صيحتي
فتجاوبت في السـهل والوديـان
ولرب ماسورين احـرار النمـا
ومسودين هـم من العبـدان

سعيد تيم



تأملات في محنة شاعر انتهى منتحراً!

رجــاء النقــاش

اعود فى هذا المقال الى ماساة الشاعر احمد العاصي وهى الماساة التى تناولت جانبا منها بالدراسة والتحليل فى عدد يوليو ١٩٧٩ من الدوحة ، «العدد ٤٣» وكنت قد وعدت القارىء الكريم بمواصلة الحديث عن هذه الماساة ، فى جوانبها المختلفة ، ولكن بعض الظروف احاطت بي ، فانقطعت عن الدوحة وعن قرائها الأعزاء عاما أو يزيد ، ولعل هذا الانقطاع كان جزءاً مما أصيب به الشاعر احمد العاصى من سوء حظ ، فقد عاش هذا الشاعر حياته حزينا تعيسا ، ثم انتحر محترقا سنة ١٩٣٠ ، وكان فى السابعة والعشرين من عمره انذاك ، واصدر ديوانا واحداً هو «ديوان العاصي» ورواية واحدة هى «غادة لبنان» ، وعاش العاصى حياته وهو لا يشعر بالثقة او الاطمئنان الى الحياة والناس ، وكان يحس ان الدنيا لا تقدم له الخير ، وإنما تقدم الشر والحزن والأسى والتعاسة . وها هو العاصى يصاب حتى بعد رحيله عن الدنيا باهمال الناس له ، وكما اشرت فى مقالى السابق عنه فانه منذ وفاته منتحراً الى اليوم ، اى بعد خمسين عاماً ، وهو يحتل فى حياتنا الادبية هامشا صغيراً تافه الشان ، حتى لا يكاد يحس به احد او يعرفه انسان ، ولا شك أن من سوء الحظ ان ابدأ فى الكتابة عن هذا الشاعر الحساس ثم انقطع عن ذلك فترة طويلة دون ان ادرى متى أعود الى الشاعر وشعره وماساته ، وربما كانت روح الشاعر نفسه غير مبالية بي أو بغيرى من الناس ، فهذه الروح لم تكن تتوقع من الآخرين اهتماما بالشاعر فى حياته او فى موته ، ولم تكن تنتظر إنصافا او كلمة طيبة من اهل هذه الدنيا التى اعتبرها الشاعر دائما دنيا قاسية لا تعرف الرحمة .

اعود اليوم لمواصلة الحديث عن الشاعر «العاصي» وماساته ، بعد ان تحدثت فى مقالى السابق عن جذور محنته التى نبعت من فقده لأمه وهو صغير ، ثم من زواج ابيه بامراة اخرى ، ثم من دراسته للفلسفة بعد ان ترك دراسة الطب ، وهو فى السنة الثالثة من «كلية الطب» بالقاهرة ، وقد حاولت فى مقالى السابق ان اكشف جذور محنة الشاعر التى ادت به الى الانتحار ، وذلك بدراسة الأسباب العديدة السابقة .

مأساة جيل

وأود هنا ان اواصل الكشف عن سر ماساة الشاعر «العاصي» وانها كانت ولا شك ماساة جيل باكمله من المثقفين والأدباء والفنانين العرب يمكننا ان نسميهم جيل «ما بين الحربين» «١٩١٤ ـ ١٩٣٩» . ففى سنة ١٩٣٠ ، وهى السنة التى انتحر فيها العاصى كانت مصر تمر بازمة كبيرة لعلها من اقسى الأزمات التى مرت بها مصر فى حياتها الحديثة ، وكان جانب من هذه الأزمة مرتبطا بالأزمة الاقتصادية التى شملت العالم كله سنة ١٩٢٩ وامتد اثرها حتى سنة ١٩٣٣ . حيث كانت الصورة فى اوروبا وامريكا بالغة القتامة وكانت هذه الصورة القائمة تنبىء بكارثة كبرى ، وقد وقعت الكارثة بالفعل بعد ذلك عندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ، اى بعد سنوات قليلة من بداية تلك الأزمة العالمية الكبيرة ، ولكى نتصور حجم هذه الأزمة العالمية فى سنة ١٩٢٩ وما بعدها يكفى ان نعلم ان عدد العاطلين فى تلك السنوات وصل الى ٧ ملايين عاطل فى المانيا و ١١ مليونا فى امريكا و ٤ ملايين فى انجلترا . ويحدثنا الكاتب «جان بيجى» فى دراسة له عن ازمة ١٩٢٩ فيقول : «إن الامريكيين لم ينسوا يوم «الخميس» الأسود ، والذى كان يوافق ٢٥ اكتوبر ١٩٢٩ حيث استيقظوا على الصحف وقد حملت صفحاتها اسماء رجال الأعمال الذين انتحروا ، فمنهم من القى بنفسه من مكتبه فى الطابق الحادى عشر من احــــد الابنية فى شارع «وول ستريت» ، شارع بورصة نيويورك الشهير ، ومنهم من شنق نفسه فى غرفته فى احد الفنادق ، ومنهم من فضل الموت بالقاء نفسه فى البحر . لقد اجتمعت جماهير غفيرة فى الطرقات حول الراديو الذى كان اختراعا حديثا يعيش اوج اهميته وقيمته وتاثيره ـ لمتابعة اخر الانباء واخر اسماء المنتحرين» .

ويعطينا الكاتب صورة اخرى من واقع الأزمة او الكارثة التى شملت العالم باكمله ، وإن كانت الصورة مستمدة من واقع المجتمع الامريكى ايضا ، فيقول : «إن صفوفا طويلة من الامريكيين وقفت امام البنوك فى حركة جنونية ، وإذا بمسئول فى احد البنوك يصرخ : لم يبق فى خزينة البنك دولار واحد ، وطغى هلع شديد على الجميع ، وارتفعت الصرخات واختلطت بالتنهد والبكاء المسموع : إنها الكارثة» .

تلك صورة حية للازمة التى ملات العالم الغربى ، وقد انعكست هذه الازمة على البلدان المرتبطة بالعالم الراسمالى فى ذلك الحين ، وكانت مصر فى مقدمة هذه البلدان التى انعكست عليها هذه الأزمة العالمية الضخمة ، فامتلات مصر بالبطالة ، وانتشرت اعداد كبيرة من العاطلين فى كافة الفئات والطبقات ، وعلى راس الذين تعرضوا لهذه الازمة الشباب المتعلم المتخرج من الجامعة ،

● إنها مأساة جيل كامل من المثقفين والأدباء والفنانين العرب يمكننا أن نسميهم جيل "ما بين الحربين"

● كانت الصورة في أوروبا وأمريكا بالغة القتامة تنبئ بكارثة كبرى.. وقد وقعت الكارثة عندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩

اسماعيل صدقى

ويحدثنا الدكتور عبد العظيم رمضان عن جانب من جوانب الأزمة الاقتصادية العنيفة فى مصر فى تلك الفترة وذلك فى كتابه عن «تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ الى ١٩٣٦» «ص ٧٣٣» فيقول :

«كان من الطبيعى ان تتاثر مصر بالكارثة الاقتصادية العالمية ، فاخذت أسعار القطن «وهو الثروة الكبرى للبلاد فى ذلك الحين» فى النزول بدرجة مخيفة فبيع محصول ١٩٢٩ بسعر ٢٠ جنيها استرلينيا للقنطار مقابل ٢٦ فى العام السابق ، وبيع محصول ١٩٣٠ بسعر ١٢ جنيها ، ومحصول ١٩٣١ بسعر ١٠ جنيهات ، وحتى بهذه الأسعار الرخيصة لم يكن يتيسر الحصول على شار للقطن ولذلك كانت كميات القطن تتكدس عاما بعد عام حتى بلغ المجموع فى عام ١٩٣١ اكثر من أربعة ملايين قنطار ، وقد تهددت هذه الأزمة الاقتصادية مصالح الجماهير ، واستثارت فيهم الغضب ، فانقلبوا على الحكومة يقاومونها بعنف شديد ، وقابلتهم الحكومة بالحديد والنار فتحولت المعركة الى شبه حرب أهلية» .

وكانت الحكومة التى يشير اليها الدكتور رمضان هى حكومة «اسماعيل صدقى باشا» الذى كان مكروها من الشعب الى ابعد الحدود كما سنشير الى ذلك بعد قليل .

الانتحار مرض العصر

وهذه الصورة المباشرة التى يرسمها الدكتور عبد العظيم رمضان عن أزمة ١٩٣٠ ، وهى السنة التى انتحر فيها الشاعر احمد العاصى ، موضوع هذه الدراسة ، نجد لها تصويرا فنيا فى روايتين هامتين هى رواية «القاهرة الجديدة» لنجيب محفوظ ، وهى اول رواية اجتماعية كتبها بعد رواياته الفرعونية الأولى ، وفى رواية «القاهرة الجديدة» تصوير للأزمة الاقتصادية العنيفة كما انعكست على الطبقة الوسطى فى مصر فى سنة ١٩٣٠ ، اما انعكاسات هذه الأزمة فى الريف فنجد تصويرا فنيا دقيقا لها فى رواية «الارض» لعبد الرحمن الشرقاوى .

● مشكلة الشاعر أحمد العاصي هي مشكلة الفنان الذي يتأثر بما حوله من تجارب ومشكلات حتى ولو كانت بعيدة عنه لا تمسه بصورة مباشرة

ومن الواضح ان هذه الأزمة الاقتصادية التى عمت العالم وتركت اثرها على مصر سنة ١٩٣٠ ، قد نتج عنها فكرة الضيق بالحياة فى مصر والعالم على السواء ، فكثرت حوادث الانتحار بين الذين خسروا اموالهم ، ووجدوا طريق المستقبل امامهم مسدودا ، وبين العاطلين الذين لم يفتح لهم المجتمع باب العمل او الأمل ، حتى الطلبة الصغار ، كانوا فى هذا الجو العام يتخلصون من مشاكلهم بالانتحار ، إذا رسبوا فى الامتحانات ، او اصابتهم اية صدمة من صدمات الحياة ، وقد كتب «شوقى» فى هذه الفترة تقريبا قصيدته التى يتحدث فيها عن انتحار الطلبة حيث يقول :

كل يوم خبر عن حدث سئم العيش ومن يسام يذر
عاف بالدنيا بناء بعدما خطب الدنيا واهدى ومهر
ضاق بالعيشة ذرعا فهوى عن شفا الياس وبئس المنحدر
ذاهبا فى مثل آجال الزهر هاربا من ساحة العيش وما
شارف الغمرة منها والغدر لا أرى الأيام إلا معركا
ولا أرى الصنديد فيه من صبر

وفى قلب هذه الأزمة المحلية والعالمية عاش الشاعر احمد العاصى ، ولا شك انه التقط فكرة الانتحار من الجو المحيط به ، ومن قراءاته المتعددة ، وهو الشاعر المثقف الذى يتابع حركة الفكر فى عصره ولم يكن احمد العاصى عاطلا بلا عمل ، فقد تخرج من الجامعة «كلية الآداب قسم الفلسفة» سنة ١٩٢٩ ، ثم عمل فى مكتبة الجامعة ، ولم يكن فقيرا الى الحد الذى يتاثر فيه تاثرا شخصيا بالأزمة الاقتصادية التى عمت العالم واصابت مصر فى نفس الوقت ، ولكن مشكلة «احمد العاصى» هى مشكلة الفنان الحساس الذى يتاثر بما حوله من تجارب ومشكلات ، حتى ولو كانت هذه التجارب والمشكلات بعيدة عنه ، وبعيدة عن ان تمسه بصورة مباشرة ، فالواقع الاجتماعى والاقتصادى والنفسى فى مصر سنة ١٩٣٠ كان واقعا شديد المرارة والتعاسة ، وكان الناس يتاثرون بهذا الواقع اشد التاثر ، ويعانون منه معاناة كبيرة، ومن المؤكد ان هذا كله قد اصاب الشاعر احمد العاصى بالم كبير واشعل فيه استعداده للياس ونزعته المتشائمة فى النظر الى الحياة والناس ، كما اشعل فيه ذلك القلق الكامن فى داخله والذى

تأملات في محنة شاعر انتهى منتحرًا!

كان يسيطر عليه منذ البداية حتى فى الظروف العادية ، التى لم يكن فيها من التعقيدات العامة ما قد يثير الاحساس باليأس والمرارة وعدم جدوى الحياة .

ولعل مما جعل احمد العاصى ، يزداد شعوراً بعمق الأزمة التى سيطرت على الحياة فى مصر ، ان والده كان تاجراً ، ولا شك ان التجار تأثروا تأثراً مباشراً بالأزمة الاقتصادية التى تعرضت لها البلاد ، فكثير من التجار قد اصابتهم الأزمة الاقتصادية بالخسائر الفادحة والارتباكات العنيفة ، ولا شك ان الشاعر احمد العاصى كان على علاقة غير طيبة بوالده ، بسبب ما اشرنا اليه من زواج الوالد بامرأة اخرى غير والدته بعد وفاتها ، مع اسباب اخرى يمكننا ان نتصورها مثل التناقض الذى ينشأ بصورة طبيعية بين «الابن الشاعر» الذى يمتلىء عقله وقلبه بالقلق والاضطراب ، وبين الأب «التاجر» الذى ينظر الى الحياة نظرة «مادية» دقيقة منظمة .. لا شك أن العاصى كان على علاقة غير سليمة بوالده ، لكل هذه الأسباب ، ورغم ذلك كله فمن الطبيعى أن يتأثر الابن الشاعر بمحنة والده التاجر ، مهما كان بينهما من خلافات ، ولابد أن تكون هذه الأزمة قد زادت من هم الابن الفنان وقلقه واضطرابه واحساسه بالغربة بين الحياة والناس .

موقف من الحياة

وإذا بحثنا فى ديوان العاصى عن اثر الأزمة الاقتصادية التى تعرضت لها مصر ابتداء من سنة ١٩٢٩ اى قبل انتحار الشاعر بعام واحد ، لم نجد لهذه الازمة اى اثر مباشر فى قصائد الديوان ، اى انه لم يتحدث عن الفقر والبطالة او المأساة الاقتصادية التى اصابت المجتمع كله فى ذلك العام ، ولكننا نجد فى الديوان تعبيرا عن اليأس والنقمة والأسى ، وكل هذه المشاعر هى احدى النتائج الطبيعية للأزمة التى هزت المجتمع واثرت عليه اشد التأثير ، ولنقف لحظة امام احدى قصائد العاصى وعنوانها «حقيقة الانسان» فاذا بالانسان كما يراه الشاعر مجرد كائن ضعيف ضائع لا قيمة له فى الحياة ، ولا شك ان مثل هذه الصورة للانسان لا يمكن إلا ان تكون ثمرة للامتزاج بين الواقع «المأزوم» والنفس الحساسة المتألمة ، فالواقع فى أزمته تلك لا يعطى للانسان قيمة ولا وضعا كريماً ، ولا يجعل لحياته معنى ، والنفس الحساسة تلتقط هذه الصورة ، وتسجلها كما سجلها العاصى بطريقته الشعرية المباشرة حيث يقول فى هذه القصيدة :

ذرة ما بيـــن ارض وســـماء
هـذه النـاس رجـــال ونســـاء
لفظتهـــا الأرض لكـــن ما لهـــا
اثقلت بالحمـــق ارجـاء الفضـاء
واثارت هـــذه الدنيـــا ولم
تر مخلوقـــا لها فيهـــا كفـــاء
بعض رأس غص بالحمـــق يرى
انه رب الحجا رب الذكـــاء
ما هـــى الدنيـــا ومـــا اسرارها
كلنـــا بالجهـــل عن هـــذا سواء
بعض وحسن مدنـــوه ساعة
ثم صاغـــوا منه بعض العلمـــاء
اصغر الدنيـــا ولم يرصـــد بها
وتمنـــى منزلا فـــوق السمـــاء

ثم يقول فى نهاية القصيدة نفسها :

إن دائى العيش فى الدنيـــا ومـــا
غير صُرف المـــوت من هـــذا دواء
سخرونى فى حياتـــى دون ان
يفهمونى اهى نعمـــى ام شـــقاء
عشت فى الدنيـــا وما من لـــذة
لـــي فى الدنيـــا وما بـــي من رجـــاء
اقطع العمـــر ولا خيـــر ارى
فى بقاء فى حيـــاة او فنـــاء
افعل الخيـــر ولا ارجـــو على
ذلك الخيـــر من النـــاس جـــزاء

فالشاعر هنا يرى الانسان ضائعاً ويفسر هذا الضياع بالغرور والحمق ، والشاعر يعيش بين الناس بلا امل ولا رجـــاء ولا يجد معنى للحياة مع الآخرين ، وهذه كلها «صور» لمجتمع مضطرب لا يعكس لنا الشاعر اسباب اضطرابه ، وإنما يعكس هذا الاضطراب نفسه ويجسده فى عدم ثقته بالحياة او بالناس ، او باى أمل آخر فى هذه الدنيا.

اغتراب الشاعر

وقد ادى هذا الشعور بانعدام الثقة فى الحياة والناس الى شعور آخر عميق بالاغتراب ، حيث اصبح هذا الاغتراب وجهة نظر يأخذ بها الشاعر فى حياته وينصح بها الآخرين ، وها هو «العاصى» يقول فى قصيدة اخرى عنوانها «نصح» :

عش غريبـــاً وارتحل عنها غريبـــا
لن ترى فى عيشها إلا عجيبـــا
لا يـــرى مستنبىء عـــن سرها
بين كل الناس فى الدنيـــا مجيبا
رب امـــر خلتـــه حمقـــاً وقـــد
خالـــه الناس حكيمـــاً ومصيبـــا
رب فعـــل انت تأتيـــه لكـــى
تطرب الغيـــر فتلقـــاه غضوبـــا
رب رأى كان عـــذبا ناضجـــا
عد من يأتيـــه خداعا كذوبـــا
فلتخل الناس يحيـــون كمـــا
قد ارادوا ولتعش فيهم غريبـــا
ليست العزلـــة عنهم وحشـــة
انت بالعزلـــة قد تحيـــا طروبـــا
إن من اكثـــر من اصحابـــه
لا يرى يومـــاً من الدنيـــا رطيبـــا
إن سوءاً مـــن اخ او صاحـــب
منهض ما بين الاثنيـــن الحروبـــا

تلك هى الصورة التى ارتسمت للحياة فى ذهن الشاعر وفى قلبه ووجدانه ، وهى صورة تعيش فى اطار من الحزن والأسى والاغتراب والصراع الذى لا رحمة منه ، كما انها تمثل تعبيراً مباشراً عن رؤية الشاعر وتجربته الواقعية والروحية معاً ، فى مجتمع «مصر» الذى كان يعانى ازمة شملت كل جوانبه ومست معظم طبقاته الاجتماعية .

الأزمة السياسية

على أن ازمة مصر فى عام ١٩٣٠ الذى انتحر فيه الشاعر أحمد العاصى لم تتوقف عند حدود الأزمة الاقتصادية بل امتدت هذه الأزمة الى الواقع السياسى ، فقد تولى الحكم فى ذلك العام اسماعيل صدقى باشا ، بعد استقالة وزارة الأغلبية الشعبية وهى وزارة حزب الوفد التى كان يرأسها مصطفى النحاس باشا ، وكانت وزارة اسماعيل صدقى من أسوأ الوزارات التى مرت بتاريخ البلاد فيما بين ١٩١٩ و ١٩٥٢ ، وكان الشعب فى معظمه يعارض هذه الوزارة ، ويرفضها أشد الرفض ، فقد الغى اسماعيل صدقى دستور ١٩٢٣ الذى كان

عندما يحيا الشاعر بين الناس بلا أمل ولا رجاء ولا يجد معنى لحياته مع الآخرين !

ثمرة لثورة ١٩١٩ الشعبية ، وفرض على البلاد دستوراً جديداً هو الدستور المعروف باسم دستور ١٩٣٠ ، وقامت المظاهرات فى شتى انحاء البلاد ضد حكم «صدقى» وقابل «صدقى» موقف الشعب بالعنف ، فسقط عدد كبير من القتلى فى معظم المدن المصرية نتيجة للاشتباكات بين رجال الجيش وبين المظاهرات الشعبية ، وكانت قمة الاشتباكات العنيفة فى الاسكندرية يوم ١٥ يوليو سنة ١٩٣٠ ، حيث بلغ عدد القتلى عشرين ، وبلغ عدد الجرحى خمسمائة ، وكانت هذه الأحداث فى الاسكندرية وغيرها من المدن المصرية نتيجة للصراع بين السلطة والقوى الشعبية الرافضة للحكومة التى كانت قائمة فى ذلك الوقت ، والتى كانت ــ بحق ــ فى نظر الشعب كله حكومة غير وطنية ، لا تراعى مصالح الجماهير ، ولا تعمل على توفير الأمن أو الرخاء أو الحرية لهذه الجماهير ، بل كانت حكومة تقوم على الاستغلال الاقتصادى والاستبداد السياسى .

وفى اليوم التالى لحوادث الاسكندرية أى فى يوم ١٦ يوليو ١٩٣٠ ، ألقى «سفرى ماكدونالد» رئيس وزراء إنجلترا خطاباً فى مجلس العموم البريطانى تعليقاً على هذه الأحداث ، وكانت انجلترا تحتل مصر فى ذلك الحين ، وجاء فى خطاب «ماكدونالد» ان الحكومة الانجليزية رأت «نظراً لما يتهدد أرواح الأجانب وممتلكاتهم من الخطر فى الاسكندرية أن تصدر أوامرها إلى بارجتين حربيتين بالسفر إلى مياه ذلك الثغر» ، وهذا ما حدث ، بالفعل جاءت إلى الاسكندرية بارجتان حربيتان انجليزيتان ، على أساس تلك الحجة التى رددها الانجليز وكرروها منذ اليوم الأول لاحتلالهم لمصر سنة ١٨٨٢ وهى حجةحماية أرواح الأجانب ، والتى كانت انجلترا تتخذ منها ستاراً لتبرير الاحتلال

ألوان من المقاومة

وهكذا يتضح لنا أن سنة ١٩٣٠ لم تكن فقط سنة أزمة اقتصادية عنيفة فى مصر ، بل كانت أيضاً سنة اشتعال وطنى ضد الاحتلال والاستبداد والاستغلال ،



مصطفى النحاس

وكانت من السنوات المشهورة بالنسبة للحركة الشعبية فى مصر من أجل الحرية والدستور والاستقلال ، والحرب الحقيقية على المحتلين وأعوانهم من أنصار الاستبداد السياسى والاستغلال الاقتصادى ، وهؤلاء الذين كان يمثلهم إسماعيل صدقى باشا رئيس الحكومة ، والذى فرضه الانجليز والملك فؤاد على البلاد بقوة السلاح ، وقد اشترك الكتاب والأدباء والشعراء فى مقاومة هذه الأوضاع اشتراكاً فعالاً ، وكتب الشاعر المعروف حافظ ابراهيم قصيدة يهجو فيها صدقى باشا وحكمه ، وهى القصيدة التى قال فيها بيته المشهور :

ودعا عليك الله فى محرابه ... الشيخ والقسيس والحاخام

كذلك وقف عباس العقاد فى تلك السنة موقفاً مشهوداً ، حيث كان عضواً فى مجلس النواب الذى حله صدقى باشا ، وفى آخر جلسة من جلسات هذا المجلس قام العقاد ، ليقول فى شجاعة ومسئولية وطنية عالية : الا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد لأن يسحق أكبر رأس فى البلاد فى سبيل صيانة الدستور وحمايته » وكان العقاد فى هذه الكلمة يهاجم الملك فؤاد الذى كان أساساً من أسس الفساد فى مصر وكان عوناً للاستعمار وأنصاره ، وحامياً للحكم الاستبدادى الذى جسده رئيس حكومته أبشع تجسيد ، وقد دفع العقاد ثمن جرأته وشجاعته ودفاعه عن وطنه ومواطنيه ، فقدمته السلطة للمحاكمة ، وحكمت المحكمة ضده بالسجن تسعة أشهر ابتداء من ٨ ديسمبر ١٩٣٠ ، وحتى يوليو ١٩٣١ .

المصير الشخصى والمصير الوطنى

أين كان شاعرنا أحمد العاصى من هذه الحركة المشتعلة ؟ لقد انتحر العاصى فى نفس العام الذى تعرضت فيه مصر للأزمة الاقتصادية العنيفة ، وتعرضت للأزمة السياسية الكبرى التى أدت الى اشتعال الحركة الوطنية ضد الاستعمار وأعوانه ، ولو أن أحمد العاصى كان مرتبطاً بهذه الحركة الوطنية ، لوجد فيها الخلاص أو بعض الخلاص من أزمته الخاصة ، ومحنته الذاتية ، ولاستطاع أن يربط مصيره الشخصى مع المصير الوطنى العام ، فقد كان الناس يموتون فى الشوارع برصاص الانجليز والسلطة المساندة لهم وكان هذا الموت نوعاً من الاستشهاد الوطنى يدل على قوة أصحابه واندفاعهم فى الحماس لوطنهم ، وامتلاء نفوسهم بالرفض للأوضاع الخاطئة فى المجتمع والحياة ، وفى نفس الوقت الذى كان الشهداء فيه يتساقطون وهم يقاومون الظلم ، كان شاعرنا أحمد العاصى يفكر فى الموت عن طريق الانتحار ، حتى نفذ فكرته بالفعل ، وأحرق نفسه فى حجرته الخاصة بعيداً عن ميدان المعركة المشتعلة فى البلاد .

وهنا نستطيع أن نخرج بالنتيجة المنطقية من هذا كله ، وهى أن «العاصى» كان يفكر تفكيراً فردياً ذاتياً خاصاً ، وأنه نظر الى نفسه ككائن مستقل عن بقية أفراد مجتمعه وعن الظروف التى تحيط به ، وأحس بأن المحنة التى يتعرض لها هى محنة خاصة ، ليس لها جذور اجتماعية ، بل هى محنة نابعة من فساد الحياة بطبيعتها وفساد الوضع الانسانى كله ، وقد كانت هذه النظرة الفلسفية العامة غير الواقعية وغير

تأملات في محنة شاعر انتهى منتحرًا!



طه حسين



حافظ ابراهيم

المحددة والتى يمكن أن نسميها باسم «النظرة الميتافيزيقية» اى التى لا تفكر فى الواقع وإنما تفكر فيما هو وراء الواقع .. هذه النظرة «الميتافيزيقية» المضطربة هى سبب رئيسى من أسباب المأساة التى تعرض لها العاصى ، فلو أن العاصى ربط نفسه بمجتمعه وأدرك ما فى هذا المجتمع من صراعات وتطورات ، واتخذ موقفا الى جانب الحق الوطنى العام ، كما فعل العقاد مثلا ، لامتلأت نفسه بالأمل ، ولأدرك أن فى هذه الدنيا رسالة عليه أن يتحملها الانسان ويحتمل من أجلها العذاب والتعب ، ويحس فى كل ذلك بنوع من التفاؤل والأمل فى المستقبل ، لأن الحياة السيئة ليست سيئة بصورة نهائية ، وليست سيئة بغير أسباب ، فهنالك أسباب عديدة تشوه وجه الحياة ولابد من إزالة هذه الأسباب ، وبذل الجهد فى سبيل القضاء عليها ، وبعد ذلك يمكن القضاء على الصورة المشوهة القبيحة للحياة ، ويمكن أن نرى وجه الدنيا وقد أصبح جميلا مشرقا يعطى للانسان مصدرا يمكن أن يجد فيه السعادة والبهجة .

حقا لقد أحس العاصى أن ما أصابه من بلاء نفسى كان محنة خاصة من ناحية وكان محنة مطلقة عامة غامضة الأسباب من ناحية أخرى ، ذلك لأن الذى يقول إن الحياة بطبيعتها شقية وتعيسة ، فانه كمن يقول : إن الشقاء والتعاسة فى هذه الدنيا لا تفسير لهما ولا أمل فى تغييرهما على الاطلاق ، لأنه لا يعترف بأن لهذه التعاسة وهذا الشقاء أسبابا يمكن مقاومتها أو العمل على ازالتها ، وبذلك ينتهى الأمر الى هذه الصورة القاتمة للحياة . إن العاصى من أصحاب النظرة المطلقة لتعاسة الحياة ، بمعنى أنه لا يرى أسبابا واضحة لهذه التعاسة ولا يرى أملا فى التغيير ، ولذلك كان المرض الذى أصاب نفسه باليأس والأسى ، مرضا لا شفاء منه لأنه مرض غامض ونهائى ولا أمل فيه .

الشعر والوعى السياسى

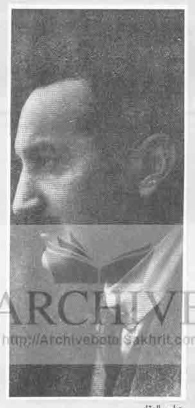
ولو أن العاصى كان على وعى سياسى أو كان قد سلح نفسه ببعض الثقافة السياسية ، لتغيرت نظرته المتشائمة الى الحياة ، ولأدرك أن الشقاء والتعاسة لهما بعض الأسباب الواضحة ، ولو نظرنا الى الواقع المؤلم فى مصر ، سنة ١٩٣٠ ، وهى السنة التى انتحر فيها العاصى لوجدنا أسباب الشقاء والتعاسة بالنسبة للناس والحياة كامنة فى جزء أساسى منها فى تلك الأزمة

● لو أنه كان على قدر من الوعي السياسي لتغيرت نظرته المتشائمة للحياة ولأدرك أسباب التعاسة


ابو القاسم الشابي

الاقتصادية التى اصابت الناس بالكساد وعرضتهم للمشاكل الكثيرة المعقدة ، وكانت كامنة ايضاً فى تلك الأزمة السياسية التى شملت كل شىء فى البلاد ، وتفجرت من خلالها معركة كبرى بين الشعب من جانب وبين الاستعمار واعوانه من جانب اخر ، ولو ان العاصى خرج من برجه العاجى او قوقعته الذاتية ، وفتح فى ذهنه وقلبه مجالا للثقافة السياسية ، الى جانب ثقافته الأدبية والفلسفية ، لادرك ابعاد المأســاة ، واستطاع ان يحسن بان محنته ، هى فى جانب كبير منها ، جزء من المحنة العامة التى يتعرض لها المجتمع والناس والوطن ، ولا شك ان مثل هذه الرؤية كانت كفيلة بان تخفف عن الشاعر ذلك الكابوس الذى سيطر عليه ، وجعل منه عاجزاً عن رؤية اى شعاع من النور ، بحيث لم يعد يحس بان هناك طريقاً للخلاص غير الانتحار .

إن العاصى ، كما تدل سيرة حياته ، وكما يكشف لنا ديوانه الوحيد وروايته الوحيدة ، لم يدرك الواقع السياسى لبلاده ، ولم يسمح لنفسه بالانتماء السياسى الى الحركة الشعبية التى كان يمثلها حزب الوفد فى ذلك الحين ، والتى كان ينتمى اليها الكثيرون من كبار المثقفين مثل العقاد ، والتى انتمى اليها


عباس العقاد

بعد قليل من ذلك التاريخ طه حسين وظل مرتبطاً بها حتى نهاية حياته .

بين شاعرين

ولو اننا قارنا مقارنة سريعة بين الشاعر العاصى وبين شاعر كبير اخر من جيله ومعاصر له هو ابو القاسم الشابى لوجدنا الفرق واضحا كل الوضوح فى هذا المجال ، فقد كان الشابى مثل العاصى يحس بالمأساة العميقة الكامنة فى الحياة ، ولكن الشابى لم يفسر هذه المأساة بانها ماساة فلسفية غامضة نهائية لا يمكن فهمها او تغييرها كما فعل العاصى ، بل لقد احس الشابى ان ماساة الحياة لها جانبها الغامض حقاً ، ولكن هناك جانباً اخر كبيراً يمكن فهمه ويمكن تغييره ، وقد وضع الشابى يده على الأسباب المفهومة والتى يمكن مقاومتها وتغييرها ، وذلك بسبب ثقافته المتنوعة التى لم تقتصر على الجانب الأدبى والفلسفى ، بل امتدت الى الجانب الاجتماعى والسياسى ، وقد ادرك الشابى امرين أساسيين : اولهما ان الانسان لا يمكن ان يكون سعيداً فى مجتمع تعيس وشقى ، ذلك لان الانسان ليس مجرد كائن منعزل عما حوله ، بل هو كائن مرتبط بالجماعة التى يعيش فيها ، وبظروفها المختلفة . اما الأمر الثانى الذى ادركه الشابى ، فهو ان الانسان إذا استسلم لليأس والحزن وصدمات الحياة قهرته الدنيا وقضت عليه ، ولذلك فقد اكد الشابى على دور الارادة الانسانية ، واعتبرها اداة أساسية لمواجهة الحياة وتغيير الواقع ، ونظر اليها على انها اداة لا يمكن التخلى عنها بحال من الاحوال ، وإلا انهار الانسان وأصيب بالكثير من النكسات ، وادركته خيبة الأمل النهائية التى قد يندفع الانسان بعدها الى التخلص من الحياة نفسها ، ومن هنا بدت روح المقاومة العامة والشخصية فى شعر الشابى ، فى مقابل روح الاستسلام واليأس والعجز فى شعر العاصى ، رغم ان العصر كان واحداً ، وكانت المشاكل واحدة على التقريب ، ولذلك ايضاً انتشر شعر الشابى واتسعت الآفاق أمامه ، بينما ضاق المجال امام العاصى ، فى الشعر والحياة معاً ، ولا شك هنا ان الثقافة السياسية الواسعة للشابى قد لعبت دوراً كبيراً فى تطوير شعره وموقفه من الحياة ، بينما كان ضعف الثقافة السياسية عند العاصى سبباً جوهرياً كبيراً فى تعميق احساسه بان ماساة الحياة ، وماساته الشخصية لا حل لهما ولا خلاص منهما على الاطلاق .

على ان المقارنة بين الشاعرين تحتاج الى المزيد من التفصيل لانها مقارنة بين موقفين من الحياة ، موقف اليأس والعجز وقلة الحيلة ، وموقف التمرد والرغبة فى التغيير والايمان العميق بالارادة الانسانية ، وهذا ما نرجو ان نعود اليه فى مقال جديد .

رجاء النقاش

نعمان عاشور

الرصافي
شاعر البداوة والحداثة

لا تقتصر أهمية الرصافي على شاعريته وانما يتميز الرصافي بانطلاقته كمفكر حر ومناضل من أصلب الذين خاضوا معترك الكفاح في سبيل الاستقلال الوطني للعراق والنهوض القومي للامة العربية جمعاء ..

من هو الرصافي

هو نبت أصيل من أبناء الشعب العراقي .. كان والده عبد الغني أفندي جنديا في الجندرمة وكانت أمه فاطمة بنت جاسم امرأة عربية من احدى قبائل البدو .. ولد في النصف الشرقي من بغداد الذي يعرف بالرصافة عام ١٨٧٣ .. وشهد وهو طفل ولاية مدحت باشا على العراق من قبل السلطان عبد العزيز .. وهكذا تنسم في صباه هبات الحرية التي حملها أبو الدستور الى كافة ولايات آل عثمان . فلقد كان مدحت من أكثر الولاة الذين عرفهم تاريخ المنطقة تحررا .. فلما شب به الطوق دخل الكتاب في بغداد اذ تفتحت ملكاته على دراسة الدين والفقه وأدب اللغة العربية .. لكنه سرعان ما تحول عن دراسته الدينية الى الدراسة المدنية فالتحق باحدى المدارس العسكرية حتى يجد الوظيفة التي تضمن له الرزق .. ذلك أنه كان يعيش كل صباه مع أمه بينما والده يجوب القفار جنديا .. فأصبح بحكم هذا الوضع المسئول عن اعالة الاسرة ..

الرصافي اذن صاحب نشأة متواضعة لا سبيل فيها أو معها الى الفخر بحسب أو نسب ولذلك كان لا يعتد بشيء قدر اعتداده بشاعريته وحدها .. وقد تأثر الرصافي بأمه تأثرا كبيرا في جميع مراحل حياته . واليها يرجع الفضل في تشبعه للعروبة والبداوة وتلك العزلة التي كان يختارها دائما لنفسه كبدوي يلازم الصحراء في ضجر من المدينة رغم أنه كان من أكثر الناس حبا للحياة واستغراقا في مفاتن المجتمع الحديث واستمتاعا بمباهجه ..

موهبة الشعر

وحين اكتشف الرصافي موهبته في الشعر ترك المدرسة العسكرية واتجه لدراسة الفقه من جديد .. وانكب يلتهم كتب الادب في نهم حتى استوفى حظه من التراث الشعري الشامخ .. ولم يكن أمامه لكي يكسب قوته الا أن يمتهن تدريس اللغة العربية فاستمر على هذه الوظيفة حتى عام ١٩٠٨ .. وطوال هذه الفترة عاش يقرض الشعر ويراسل الصحف العربية في القاهرة ودمشق ولكنه كان يعيش في عناء وعسر شديدين وهو ينهض بأعباء مالية ثقال في سبيل أسرته .. وبلغ الخامسة والثلاثين وهو يدرس في اعدادية بغداد وقد بدأ اسمه يعرف بين الشعراء المرموقين ..

النظرة الفلسفية

ولكن على أي أساس أقام الرصافي شعره ؟! ومن أي نبع كان يستقي فلسفته ؟! ان ذلك ما قد يميزه حقا عن بعض الشعراء المحدثين .. فقد نشأ على عكس شوقي نشأة شعبية خالصة .. ولهذا غلب عليه الجنوح للواقعية كما غلبت على طبيعته الروح الثائرة وتدرج على عكس حافظ ابراهيم .. في بيئة لا تتيح له أدنى سبيل الى الاعتدال .. ولذلك كان عقلانيا لا يعول في حكمه الا على منطق الواقع بقدر ما كان ثائرا لا يطيق الصمت .. وقد أخذ عن ثقافته العربية الاعتداد بالنفس والكبرياء الذي يبلغ حد الصلف .. كما أخذ عن ثقافته الغربية الايمان بالعلم والتقدم المادي والاستقلال بالرأي الى حد مخالفة العرف السائد والتقاليد المقررة والمجاهرة بمعتقده في وجه كل مقدس مهما كانت قداسته ..

أحب صراحتي قولا وفعلا

واكره أن أميل الى الرياء

على أن هذه الطلاقة كلفته الكثير. فقد بلغ به الحال في بعض هفواته ان كان يبرر المجون تبريرا فلسفيا على انه وسيلة للتحرر العقلي ومقاومة الرياء والنفاق .. لكن الحق الذي يجب أن يقال ان الرصافي كان سابقا لزمانه في كثير من معتقداته بقدر ما كان معبرا عن بيئته في تصويره لهذه النظرات .. من ذلك أنه لم يقف عند حد الدعوة الى مقاومة الاستبداد .. ولا عند المحاجاه العقلية في التمسك بأمجاد الماضي ومفاخره .

ولكن ايها العربي اني
أراك بغير ما يجدي مريدا
فشر العالمين ذوو خمول
اذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم
أقامه لنفسه حسبا جديدا
توجه وجه عزمك نحو آت
ولا تلفت الى الماضين جيدا
ارى مستقبل الايام اولى

الرصافي صاحب نشأة متواضعة لا سبيل فيها أو معها إلى الفخر بحسب أو نسب ولذلك جاء اعتداده بشاعريته فقط

● أحب صراحتي قولا وفعلا — وأكره أن أميل إلى الرياء

● أيها الناس هذا العصر عصر العلم و الجد و العلا في الجهاد

لصالح من يحاول ان يسودا

كان الرصافي اذن مستقبليا في نظرته وتطلعاته ·· ولا غرو فهو القائل ·· « العصر الحاضر عصر مدنية راقية وعلم واسع وآثار باهرة ومخترعات عجيبة ومستكشفات غريبة كما انه عصر نفوس محررة وافكار طلقه ومدارك عالية » ··

أيها الناس هذا العصر عصر العلم
والجد في العلا والجهاد

عصر حكم البخار والكهرباء
والماكينات والمنطاد ·

الجنوح الاجتماعي

أما بالنسبة للمجتمع ·· فقد كان من أكثر شعراء عصره اهتماما بالمجتمع الذي عاش فيه · ويقول من ذلك « سمعت بعض ادباء الترك يقولون ان الادب لا غاية له ويتوسعون في القول حتى يعمموا به ما يسمونه بالفنون الجميلة أي الشعر والموسيقى والرسم والنحت ·· ولقد تأملت هذا القول فلم أجد فيه ما ينطبق على المعقول اذ لا ريب أن الغاية هي ما يكون لاجله وجود الشيء ·· وغاية الشاعر من شعره اثارة العواطف والتأثير في النفوس وبهذا فانه لا يسعه بحال من الاحوال ان يقول الشعر صنعة للصنعة بل يقوله لخدمة المجتمع » ·

قضية فصل فيها الرصافي من زمن لانه كان شديد الاحساس بحياة الناس وآلامهم لالتصاقه بالجموع الشعبية ·· يقول هو نفسه ان مشاهد البؤس في حياة الناس كانت أشد دوافعه الى نظم الشعر ·· « لا تحركني الى القصيد تلك النزوات الكاذبة من


الرصافي

أجل وردة نضرة أو ليل مقمر أو غزال شارد نافر ·· » وهذه أبيات من قصيد نظمه عن أرملة لقيها ومعها ابنتها تسيران في الطريق ·· تنم عن انسانيته ··

لقيتها ·· ليتني ما كنت القاها
تمشي وقد اثقل الاملاق ممشاها
أثوابها رثة والرجل حافية
والدمع تذرفه في الخد عيناها ··
مات الذي كان يحميها ويسعدها
فالدهر من بعده بالفقر اشقاها ··

الى ان يقول ··

حتى دنوت اليها وهي ماشية
وادمعي أوسعت في الخد مجراها
وقلت : يا اخت مهلا انني رجل
أشارك الناس طرا في بلاياها

لا غرابة بعد هذا أن يكون موضوعه المفضل دائما الدفاع عن المرأة ·· وله في ذلك قصائد عدة نادى فيها بتحرير المرأة ·· وتعليمها وتركها لتعمل ومساواتها التامة بالرجل وفي ذلك كان الرصافي أسبق واشجع من كافة معاصريه ·· بل ومن بعض من تلوه ··

كم في بيوت القوم من حره
تبكي من البؤس بعيني أمه
عاب عليها قومها ضله
ان تكسب القوت وان تطعمه

وفي قصيدة أخرى ··

هل يعلم الشرقي ان حياته
تعلو اذا ربى البنات وهذبا
والشرق ليس بناهض الا اذا
ادنى النساء من الرجال وقربا
فاذا ادعيت تقدما لرجاله
جاء التاخر في النساء مكذبا
من اين ينهض قائما من نصفه
يشكو السقام بفالج متوضبا

الكفاح السياسي

والى جانب هذا الوعي الاجتماعي البعيد الغور ·· كان الرصافي بالدرجة الاولى سياسي العقلية يفسر ذلك قوله « يجب أن يملك العرب امرهم في السياسة حتى يمكنهم ان يترقوا لان جميع الشئون الحيوية علمية واجتماعية واقتصادية لا تدور في هذا العصر الا على محور السياسة ·· ويستحيل على أمة أن تتقدم في هذه الشئون وهي غير مالكة لأمرها في السياسة » ·· وكذلك لم يسعه يوم دعى عام ١٩٠٨ للاشتراك في تحرير احدى الجرائد السياسية التركية الى أن يخف الى الاستانة ليلحق بقرينة الشاعر العراقي جميل الزهاوي ويشايع

الاتحاديين في دعوتهم من أجل الحرية والدستور حتى اذا أغلقت الجـريدة بعد قليل استمر في تركيـا وراح يطنب في تمجيد الهية التى قاموا بها وانحاز الى صفوفهم بشـكل جارف فعينوه عضـوا في البرلمـان التركي (مجلسي المبعوثان) ••

وأقام الرصافي في الاستانة طوال الحرب العالميـة الاولى الى أن انتهت وادرك أخيرا أن حركة الاتحاديين لـم تكن الا دعوة القصد منها احياء مجد تركيا على حساب ولاياتها المستعبدة تحت ستار الحرية والدستور فانقلب يندد بالاتراك ويحنو على وطنه ••

أأمنع عيني ان تجود بدمعهـا
على وطني اني اذن لبخيـل

ثم راح يقرع أهله على تقاعسهم عن الانقضاض على الاتراك بعد أن تكشفت له حقيقة الحكم التركي سواء عن طريق آل عثمان أو عن طريق المخادعين من الاتحاديين •

برئت الى الاحـرار من شر أمـة
أسـيرة حـكام ثقـال قيودهـا

عجبت لقـوم يخضـعون لدولـة
يسوسهم بالموبقـات عميـدها

واعجب من ذا انهـم يرهبونهـا
وأموالها منهـم ومنهـم جنـودها

وفي طريقه الى العراق نزل فـي سوريا حيث قامت حركة الجامعـة العربية الرامية الى الاستقلال التـام عن تركيا •• وسرعان ما اندفـع الرصافي يقظا الى أحداث العـالم العربي فانطوى تحت لواء هذا الشعور العربي العام وراح يدعو الى الوحدة والتضامن •

بني العـروبة هبـوا من مراقدكم
الى متى نحن نشكو صـولة النـوب

فقـد لعمري افترقنـا شر مفترق
وقـد لعمري انقلبنا شـر منقلب

بل انهضوا للمعالي خـير نهضتكم
واستعصموا باتحـاد محكم السبب

المواقف الوطنية

والى هذه المرحلة من حياته أصبح الرصافي يتطلع الى مكانته كسياسي لا كشاعر • وعلى قدر ما انقلب على الاتراك راح يندد بدول الاستعمار فـي محاولتها السيطرة عـلى ركب التحرر العربي يوم أرادت انجلتـرا وحليفتها فرنسا اقتسـام البـلاد العربية فيما بينهما بعد انهيـار الحكم العثماني ••

وكم قـد سمعنا ساعة الضرب تدعى
باشياء من بطـلانها ضـحك الحق

فهـم منعـوا رق الاسير وانمـا
اجازوا لهم ان يشـمل الامم الرق

وقد اضطر أن يقيم في سوريا وهو في حالة يرثى لها من البؤس والاملاق حتى لقد باع معظم مؤلفاته بأبخس الاثمان ليأكل من عائدها الضئيل •• وحين عرضت عليه الوظيفة للتدريس في فلسطين ذهب الى هناك وأقام فيها الى أن استتب الامر بعض الشيء في العراق •• وأثناءها كان الرصـافي قـد خلع العمامة وارتـدى الزي الافرنجي ••

عـلى انه اضطر قبـل وفاته أن يدافع عن نفسه في وصـية رسمية بعثها الى اخوانه في الدين يقـول فيها •• « أراهم يهيجون على العوام باسم الدين وما أظنهم يتركونني حتى يعدموني الحياة •• ان كل ما كتبت من نثر ونظم لم أجعل هدفي منـه منفعتي الشخصية وانما قصدت بـه نفـع المجتمع الـذي عشت فيـه والقوم الذين أنا منهم •• وأنا ولله الحمد مسلم مؤمن بالله ورسـوله ايمانا صادقا الا اني أخالف هـؤلاء فيما أراهم عليه من أمور يرونها من الدين وليست هي منه في شيء •• ولا يهمني من الـدين الا جوهـره الخـالص وغايته المطلوبة التي هي الوصول الى شيء من السعادة في الحياة الدنيوية الاجتماعية والحياة الأخروية كذلك » •

في داخل وطنه

وفي عـام ١٩٢١ كان حتما أن

كان مجنوناً بالحرية ولا يعرف حداً لطلاقته وصراحته

يعود الى أرض الرافدين ·· فلما ارتد بعد هجرته الطويلة الى أحضان دجله ·· طمع -وهو عضو المبعوثان السابق أن يوفق الى مركز سياسي مرموق ·· لكنهم عينوه نائبا لرئيس لجنة الترجمة والتاليف فاضطر الى قبول المنصب لحاجته ·· ثم ما لبث أن استقال مغاضبا « أولى الامر » ·· في قصيدة جريئة بهذا الاسم ··

وان أبيتم سوى من عرضه دنس
فلست معكم على شيء بمتفق
لا أبعد الله غيري من مناصبكم
اني بتدنيس عرضي غير مرتزق

وسافر الى الاستانة من جديد ·· لم تعد في طاقته الاقامة بالعراق بعد أن ضيقوا عليه الخناق من كل جانب حتى لقد فرضوا عليه الجوع ·· ورحل وهو يهجوهم ويهجو وطنه ··

انا ابن دجلة معروفا بها ادبي
وان يك الماء منها ليس يرويني
ويل لبغداد مما سوف تذكره
عني وعنها الليالي في الدواوين

لكنه لم يقم طويلا في تركيا · فما كان يطيق صبرا على البعد عن العراق ··

ان جفتنا بلادنا فهي حب
ومن الحب يستلذ الجفاء
لم نحل عن عهودنا مذ جفتنا
بل لها الود عندنا والوفاء
قد بكينا شجوا عليها ومنها
وعنانا سقامها والشفاء

وكانت عودة سريعة الى العراق اشتغل بعدها في المعارف حتى عام ١٩٣٠ حين بدىء في تشكيل المجلس النيابي الاول فانتخب عضوا عن لواء العمارة ·· ولانه كان من أبرز المعارضين للمعاهدة الانجليزية العراقية فقد أعيد انتخابه للنيابة من الامة مرات رغم صلابته وصراحته ومجابهته الشجاعة للانجليز وعملائهم في البلاد ··

ان الوزارة لا أبالك عندنا
ثوب يفصل في معامل لندنا
لايرتديه سوى امرىء أضحى له
طبعا وداد الانجليز ودينا

وكان من المحال أن يسكت بعد ذلك ·· بل كان من المحال أن يقول غير ما يعتقد حتى اتهمه المشفقون عليه ذاتهم باللغو ·· فرد عليهم صارخا ··

انا بالحكومة والسياسة أعرف
االام في تفنيدها واعنف
ساقول فيها ما اقول ولم اخف
من أن يقولوا ·· شاعر متطرف

وقال الكثير الذي استحال نشره · ذلك انه كان مجنونا بالحرية ولا يعرف حدا لطلاقته وصراحته ·· ولذا سرعان ما أبعده « أولو الامر » عن حظيرتهم فاعتزل ميدان السياسة وارتدي العباءة وراح يعيش في الصحراء وهو بعد بدوي عريق في بداوته ·· وبلغ به الامر في أخريات أيامه انه كان لا يجد القوت رغم معاونة الكثيرين ومنهم السيد مظهر الشادي أحد وجهاء العراق الذي كان يعجب به حتى آمده بالملبس والمسكن وأجرى عليه راتبا شهريا منتظما الى أن مات في ١٦ مارس عام ١٩٤٥ تاركا وراءه ثمانية عشر كتابا في مجموعة محاضراته وتعليقاته ونظراته وشعره ·· ومن بينها كتابين عن اللغة العراقية العامية ·· لغة الشعب ·· مع انه كان من أكثر معاصريه تضلعا في عربيته الفصحى ·· يشهد بذلك شعره ونثره معا ·

نعمان عاشور

وقف الممثلان المبتدئان يؤديان دورهما فى احد مشاهد المسرحية فارتج عليهما مما دفع الملقن إلى ترديد الحوار المطلوب لذلك الموقف ولكن الممثلين ظلا صامتين ، وبعد ان كرر الملقن الحوار مرتين بصوت مرتفع ، تقدم نحوه احدهم وصاح باعلى صوته :
« لقد سمعناك منذ الوهلة الاولى ولكننا لا نعرف اى منا هو المطلوب منه ترديد ما تقول »

ظل الكلب يضايق الضيف اثناء تقديم وجبة العشاء مما حدا بالضيف إلى التعليق على ذلك قائلا :
« يبدو ان كلبكم معجب بي »
فرد عليه المضيف :
قد يكون ذلك صحيحا ولكنك تاكل من الصحن المخصص له .

الممثل :
هو الشخص الذى لا يستطيع ان ينصت لاى حديث لا يكون نفسه محوره.

جاء فى احد الصحف الاقليمية البريطانية مايلى :
« اثناء تشييع جنازة المستر وليام جونسون الذى مات عن الثمانين سنة وقع زميل صباه المستر جون جيمسون البالغ من العمر سبعة وسبعون سنة ميتا ... مما اضفى مسحة حزن على مراسيم الدفن »

السياسى :
هو الشخص الذى لا يستطيع ان ينصت لاى حديث مالم يكن هو نفسه المتكلم .

بعد ان القى الكاتب المعروف مارك توين خطبة قصيرة مليئة بالانفعالات فى احدى الحفلات جاءته احدى المستمعات المعجبات به مهنئة ثم سالته إذا كان يزمع ان يجمع خطبه التى القاها فى مناسبات مختلفة وينشرها فى كتاب حاصر اثاره الادبية .. فاجابها بانه يفكر بنشرها بعد وفاته .. فعلقت المعجبة قائلة :
« فكرة رائعة ولكن الا ترى انه من الاحسن ان تعجل بذلك ؟ »

المنفلوطي
ودعاة الواقعية

عباس خضر

● اختلفوا معه في عصره، وهاجموا أدبه بحجة أنه لا يصور البيئة بأسلوب واقعي!

فى الوقت الذى بدأت فيه القراءة الأدبية كانت كتب المنفلوطى هى الرائجة المنتشرة ، وما اظن احداً من ادباء جيلنا إلا تتلمذ على المنفلوطى فى كتاباته واخذ عنه وتأثر به ، بل كان ذلك فى الجيل الذى سبقنا وكان معاصراً لذلك الكاتب العظيم الذى شغل الحياة الأدبية العربية فى حياته وبعد وفاته ..

حدثنا الأستاذ احمد حسن الزيات انه وطه حسين وثالث كان زميلا لهما فى الأزهر ، هو محمود زناتى ، كانوا وهم طلاب ناشؤون تمتد ابصارهم إلى خارج الجامع الأزهر ـ كانوا يجتمعون عند «الرواق العباسى» بالجامع العتيد عصر كل يوم خميس ويقرأون مقالات المنفلوطى فى جريدة «المؤيد» باعجاب شديد ،وكانت تنشر فى أيام الخميس من كل اسبوع ، وقد ظهر بعد ذلك تأثر الزيات بالمنفلوطى فى كتابته الأنيقة .

كتابة جادة

ظل مصطفى المنفلوطى على زيه الأزهرى الانيق حتى وفاته ، اما الزيات وطه حسين فقد استبدلا بذلك الزى الحلة الافرنجية ، كما هو معروف ، ويحدثنا الذين رأوا الزيات فى حاليه بانه كان اكثر اناقته فى الزى الأول . أما طه حسين فهو على العكس : شاب كفيف البصر جاء من الصعيد يطلب العلم فى الأزهر ، يلبس أى شىء ، واكبر الظن انه كان «مبهدلا ..» وتناولته باريس التى سافر إليها مبعوثا من الجامعة المصرية القديمة ، تناولته باريس هى والفتاة


احمد حسن الزيات — محمود تيمور — طه حسين — محمود لاشين

الباريسية التى تزوجها ـ بالعناية حتى صار انيقا فى حلته الافرنجية وعلى عينيه منظار أسود يحجبهما .

بعد هذا الاستطراد نعود إلى كتب المنفلوطى ، فى الحقيقة أن ذلك الذى قلته عن الزى انما هو فى الموضوع ، فان كتابة المنفلوطى انيقة جميلة ذات عبق عربى اسلامى اصيل ، تترقرق على الصفحات كما يترقرق الماء الصافى فى الجداول .. وفيها سهولة جذابة خرج بها من ربقة الأساليب القديمة المتكلفة .

اذا كنا الآن نعد كتابة المنفلوطى من القديم ، فقد كانت فى أوانها جديداً متحرراً ، بل كانت ثورة على القديم الذى يرسف فى اغلال المحسنات والتكلف .

انهمكت فى قراءة المنفلوطى بكل مشاعرى ، وفتنت بعباراته وجمله الموسيقية حتىانني كنت اكتب ما يطربني منها فى مذكرة جيب . اضعها فى جيبى كأنها محفظة نقود انفق منها .. وفى اى الوجوه انفق ؟ فى موضوعات الانشاء التى نكلف بكتابتها ، وكم اكون معتزاً منتشيا وانا اقوم فى حجرة الدراسة واقرأ الموضوع الذى أعجب الأستاذ ومنحه درجة كبيرة قد تكون «عشرة على عشرة» وقد طلب منى ان اقوم واقرأه حتى يكون نموذجا لباقى الطلاب .. والبركة فى المنفلوطى !

فيما بعد ، وخاصة عند دراستى للمنفلوطى فى كتاب «القصة القصيرة فى مصر» ـ وقفت عند مسألة الترجمة المتصرفة التى زاولها المنفلوطى فى روايات مثل «ماجدولين» و «الفضيلة» و «الشاعر» وبعض القصص القصيرة فى العبرات والنظرات إنه لا يعرف لغة اجنبية ، قيل إنها كانت تترجم له ترجمة حرفية وهو يصوغها بقلمه العربى الأصيل .

هل هى ترجمة «بتصرف» وأى تصرف هذا ؟ . كلمة «بتصرف» كانت متداولة كثيراً اذ ذاك ، ولكن ما صنعه المنفلوطى شىء آخر .. انه إضافة إلى الأصل ، والناتج مزيج من قريحة أديبين عظيمين ، وهو اقرب إلى التاليف منه إلى الترجمة . ولو فرضنا ان آخر قام بترجمة تلك القصص ، ولم يكن فى مستوى المنفلوطى ، ما كانت مركز الجذب الذى وقع فى كتابة المنفلوطى وشد إليه جيلا من الادباء فى مصر وفى سائر الوطن العربى .

المدرسة الحديثة

لقد ثار على المنفلوطى شبان فى عصره وأرادوا أن ينتزعوا الراية منه ، وكانوا عصبة قوية ولكن تأثيرهم كان محدوداً فى ذلك الوقت ، هم اعضاء «المدرسة الحديثة» الذين ارتادوا فن القصة القصيرة العربية الحديثة ، مثل محمد تيمور واخيه محمود ، وعيسى عبيد واخيه شحاته ، وحسن فوزى واحمد خيرى سعيد ومحمود طاهر لاشين

ويحيى حقى . قالوا : هذا ادب لا يمثل الواقع ونحن نريد ادبا قوميا يعبر عن البيئة باسلوب واقعى ، يصور شخصيات واقعنا ويضع الايدى على ادواء مجتمعنا ، وفعلا قاموا هم بذلك فى قصصهم القصيرة . وبدانا نلتفت إليهم ونقرا لهم ، ولكن من نحن ؟ نحن قلة ، والكثرة لا تزال مشدودة إلى المنفلوطى .

. كانت «المدرسة الحديثة» فى الأدب مثل سيد درويش فى الموسيقى والغناء ، قلة تفهم وتقدر دور كل منهما فى التعبير والالتصاق بالواقع ، ولكن الكثر تعشق المتعة والطرب وتمعن فى طلبهما غير عابئة بما «يتفلسف به المتفلسفون» انصار التعبير والواقع ..

ووقعت فى يدى مجموعة قصص قصيرة لمحمود طاهر لاشين عنوانها «يحكى ان» شىء جديد ولون اخر غير لون المنفلوطى .

انبهرت بقصص لاشين ، ولكنها لم تصرفنى عن قراءة المنفلوطى . احيانا اجد الظرف فى الأولى، وذلك الظرف المنبعث من خلال تصوير الشخصيات التى تعيش فى المجتمع فعلا ونرى امثالها فى الواقع ، اضحك من تصرفاتها ، واعجب بسخرية المؤلف من غطرسة الموظفين وعقليات بعض المواطنين وسوء اعمالهم .. الخ ، ثم احن إلى البكاء مع المنفلوطى في شطحاته الرومانسية او قل فى تعاطفه مع البؤساء والأيتام والثكالى

كنا فى مجتمع مغلوب على امره فنبكى مع المنفلوطى ، ويلوح لنا بصيص من نور التخلص مع الداعين إلى الأفكار الجديدة المتحمسة للتعبير عن البيئة وتصوير الواقع ، فتعلق انظارنا بـه وتجذبنا جواذبه نحو التطلع إلى مستقبل احسن . كان اولئك الرواد الواقعيون ملتزمين بالاصلاح الاجتماعى

ومما جذبنى إلى قصص «المدرسة الحديثة» انها من نوع جديد يحاكى فن الغرب فى الشكل ويجاهد كى يؤصله بمضمون محلى .. واقول «يجاهد» فلم يكن المضمون خالصا من الملامح الاوربية فكان كثير من تلك القصص تمصيرا ماخوذا عن قصص أوربية يصرح الكاتب المصرى فى بعضها بانه مقتبس ، والبعض الآخر يؤخذ فى خفاء ..

لم اكن فى البداية اعبا بتلك النظرات



مصطفى لطفى المنفلوطى

الناقدة او الدراسة ، وإنما كنت اغترف والتهم عملا بالقول المأثور : «العق العسل ولا تسل» .

واعود إلى المنفلوطى ، فتستاثر بى المتعة الأدبية النابعة من الاسلوب الجميل والنغمة الحزينة التى تتسق مع الهموم الشخصية والهموم العامة .

كانت الهموم الشخصية تتمثل فى حزن عام يمتزج بالمراهقة .. منه ما يتعلق بحب من لا تنال ! ومنه ما هو ناشىء من شظف العيش ، ومنه ثورة مكبوتة على سوء المعاملة من الاهل من حيث عدم الاقتناع بالأوامر والنواهى التى يفرضونها فرضا ، وصراع بين افكار جدت وبين افكار قديمة يتشبثون بها ..

اما الهموم العامة فكانت غامضة ، احيانا تظهر بملامحها من مقال وطنى اقرؤه فى جريـدة ، او مقال من خلال مظاهرة اشترك فيها مع الطلبة ، او من رؤية جندى من جنود المستعمرين فى القاهرة ..

واجد متنفسا لكل ذلك وانا اقرا كتب المنفلوطى .. كامراة ثكلى تذهب لتعزى فى ماتم نساء فتنوح على ولدها الفقيد بهذه المناسبة !

والويل كل الويل للدهر الغادر الذى ينزل بنا كل تلك النكبات ، وما ابلغ الكاتب وهو يشن الغارة الكلامية على الدهر ! واقع فى صراع بين الكتاب الرومانسيين فى سبهم للدهر ، وبين ما نتلقاه من علم دينى يقول : لا تسبوا الدهر ..

وبرغم كل ذلك اجد المتعة كل المتعة الادبية فى قراءة المنفلوطى ، وقد غرست هذه القراءة فى نفسى مثلا وفضائل ورقة للضعيف ، ومن ذا الذى يقرا قصة «اليتيم» للمنفلوطى ولا يستشعر هذه الرقة .. ؟

وصرت اقرا كل ما تقع عليه يدى . وتارجحت بين قراءة المنفلوطى وسائر الأدب الرومانسى المفرط فى تصوير العواطف والسابح فى خيال لا يكون مثله عادة فى الحياة الواقعية ، بين الادب الواقعى الجديد الثائر على الرومانسية حتى تغلب هذا الأخير علي وهجرت الرومانسية .

بين الادب والذوق

وكثير من الدارسين إن لم يكونوا كلهم يجتهدون فى شرح الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وبيان ما اقتضته من تغير فى المذاهب الادبية .

ولا ارى كلامهم كله حقائق .. فالادب يتبع الذوق .. والاذواق لا تعلل وكثير من الاشياء يمكن التنبؤ فيها بما سيحدث ، ولكن الادب ــ وهو مرتبط بالاذواق-لا يصح التنبؤ فيه .. قرات فى العشرينات من هذا القرن فى مقدمة كتبها محمود تيمور لاحدى مجموعاته القصصية الأولى اننا داخلون على عصر السرعة ، فلن يكون ثمة مجال للقصص الطويلة ، انما المستقبل كله للقصة القصيرة ..

وظهرت بعد ذلك روايات كثيرة طويلة جدا .. ونالت اقبالا عظيما ، ولم يمنع عصر السرعة من ذلك .. ظهرت «عودة الروح» لتوفيق الحكيم وتلتها «عصفور من الشرق» كجزء ثان لعودة الروح ، وظهرت لنجيب محفوظ الثلاثية المشهورة فى ثلاثة مجلدات ، وظهرت رواية «رد قلبى» ليوسف السباعى فى مجلدين ، وغير ذلك كثير ، لم تستطع «السرعة» أن تقف فى طريقه ..

والفن على وجه عام يرتبط بالأذواق ، وليس الأدب فحسب ، مثلا : كنت فى زمن مضى مشغوفا بسماع ام كلثوم .. استعد للسهر معها إلى قرب الفجر كل ليلة اذ كانت تحيى هذه الليلة كل اسبوع . ثم بعد ذلك فتر هذا الشغف حتى انى احيانا اغلق الراديو او انقل إلى محطة اخرى وهى تغنى .. وصرت احب أصواتا اخرى ، لا جديدة فقط ، انما احب ايضا سماع عبد الوهاب .

لماذا اى شىء من ذاك ؟ لست ادرى .

عباس خضر

محمود شيت خطاب

إنتاج السلاح في الوطن العربي

محاذير استيراد السلاح والعتاد من الدول الخارجية

●

الشروط القاسية التي يفرضونها علينا، رغم أننا نقتطع ثمن السلاح من لقمة العيش

الجيش الذى لايكتفى ذاتياً بالسلاح الذى يصنعه فى معامله الوطنية، لا يستطيع ان يخوض حرباً طويلة الامد، لان الحرب تعطب السلاح وتبتلع الذخيرة. وتحطم الدروع والطائرات ووسائط النقل، وتستهلك وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية.

والتسليح الجيد له اثر حاسم فى الجيش من الناحيتين المادية والمعنوية، فبالاضافة إلى انه قوة مادية للجيش، لأنه من اهم اقسام إعداد الجيش للحرب فهو فى الوقت ذاته يرفع معنويات الجيش، لأنه لا معنويات عالية لجيش قليل السلاح او فاسده او رديئه، ولا معنويات عالية لجيش لا يثق بسلاحه ولا يعتمد عليه، ولا معنويات عالية لجيش يعتقد ان سلاحه محدود إذا لم ينفد اليوم فسينفد غداً.

ولاهمية السلاح بالنسبة لكل جيش حديث، دابت الحكومات على تصنيع سلاحها فى بلادها، لتضمن لجيشها ما يحتاج إليه من سلاح وعتاد، ولا اعرف جيشاً قادراً على خوض حرب طويلة الامد، تعتمد حكومته على استيراد السلاح من الدول الأجنبية، وربما تفرض الدولة التقشف فى نفقاتها الحكومية عدا ما يختص بتسليح جيشها فانها تستثنى التسليح من التقشف، لأن تزويد الجيش بالسلاح من القضايا المصيرية التى لا تحتمل الاقتصاد فى النفقات فى أى بلد له مكان ومكانة بين الدول الأخرى، وبخاصة فى أيام الحرب او توقع الحرب.

إن استيراد السلاح والعتاد من الخارج له محاذير كثيرة، ولعل من أهم تلك المحاذير، هى ان سياسة الدول تتبدل من حين إلى اخر، خضوعاً لمصالحها اولا، ورضوخاً لتيارات خارجية قد لا تكون فى الحسبان.

فاذا كانت الدولة او الدول الاجنبية التى تصدر السلاح إلى العرب مثلا مع العرب لسبب او لاخر، فقد تصبح غدا مع اعداء العرب، كما حدث ذلك فى كثير من الاحيان.

كما ان ظروف الحرب ظروف متغيرة غير مستقرة ولا ثابتة، فقد تكون الطرق التى تمر عبرها البواخر والعجلات التى تحمل ما يستورد من سلاح، مفتوحة اليوم، ثم تصبح مقفلة غدا.

وقد تمنع الدول مرور سابلة السلاح المستورد عبر بلادها إرضاء للعدو او تطبيقاً لمبادىء القانون الدولى فى الحياد او لأسباب اخرى.

وقد تؤدى ظروف الحرب إلى خسائر فادحة فى السلاح والعتاد بشكل غير متوقع، كما حدث فى السلاح الجوى المصرى فى حرب حزيران (يونيو) من سنة ١٩٦٧، وتعويض هذه الخسائر يحتاج إلى وقت طويل.

تلك هى امثلة قليلة مما يمكن ان يحدث فى الحرب، وحينذاك يبقى الجيش الذى يعتمد استيراد السلاح والعتاد من الخارج مهدداً بالاستسلام.

من تاريخ الحرب

فى تاريخ الحرب قديماً وحديثاً، امثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى، تثبت ان الجيش الذى لا يكتفى ذاتياً بما يحتاج إليه من سلاح وعتاد فى السلام والحرب لا يمكن ان ينتصر ابداً.

وقد كانت الجيوش القديمة تكدس السلاح فى مستودعاتها، وكان لكل مقاتل من المجاهدين والمرتزقة العرب والمسلمين سلاحه الخاص، وكانت الدولة توزع السلاح على من لا يمتلك الكمية الكافية منه من المقاتلين، وكان للعرب والمسلمين فى ايام الفتح وبعده مستودعات ضخمة للسلاح، لها امناء يحفظونها فى المشاجب نظيفة سليمة صالحة للاستعمال فى أيام الحرب، حتى تضمن للجيش إحراز النصر.

اما الجيوش الحديثة، فلا تنتصر على عدوها إذا لم تكن مكتفية بذاتها فى إنتاج السلاح والعتاد، وبخاصة بعد ظهور العلوم التطبيقية واثرها المباشر فى إنتاج السلاح والعتاد المتطور، وبهذا أصبحت نتيجة الحرب خاضعة إلى حد بعيد للتفوق العلمى.

وقد كانت الدول العربية تستورد السلاح والعتاد من الدول الغربية قبل سنة ١٩٤٨.

وكانت الدول الغربية تضع العراقيل التى لا مسوغ لها فى طرق استيراد السلاح والعتاد للدول العربية.

وكان ثمن السلاح والعتاد المستورد غالياً، ولكن عراقيل الغرب كانت افدح من الغلاء الفاحش.

تسويف فى مواعيد تسليم السلاح والعتاد، وتفكير طويل مفتعل قبل الموافقة على بيع السلاح والعتاد.

وأخيراً، حين يصل السلاح والعتاد إلى الجيوش العربية لا يصل إليها كاملا



السلاح .. متى يصنع فى بلادنا ؟

بل لابد من وجود نقص مهم فى الكميات التى وصلت ، يفسد هذا النقص المتعمد الصفقة كلها ، ويجعلها ليست ذات جدوى !! مثلا ، تصل المدافع .... بلا عتاد .... أو يصل العتاد .... بلا مدافع .... أو تصل الدروع .... بلا ادوات احتياطية .

والحاصل يبدأ الرد والبدل ، بين الدولة العربية والدولة الغربية ، ويمضى الوقت ثقيلا طويلا بالانتظار ، حتى يستهلك السلاح قبل ان تصل ادواته الاحتياطية !

ولكن الدول الغربية المصدرة للسلاح والعتاد إلى الدول العربية المستوردة له ضاقت من تلك العراقيل بعد مولد الكيان الصهيونى فى الأرض المقدسة سنة ١٩٤٨ ، فظهرت إلى الوجود (احبولة) : توازن القوى بين العرب والعدو الصهيونى ، و (احبولة) شروط الاستعمار بعدم استعمال السلاح والعتاد المستورد من الغرب إلا للأغراض الدفاعية ، و (احبولة) عدم استعمال السلاح والعتاد المستورد من الغرب المستعمر فى الأغراض الهجومية

ومن الواضح أن هذه العراقيل الجديدة التى لفقها الاستعماريون هدفها : حماية العدو الصهيونى ، وإبقاء العرب عزلا من السلاح والعتاد ! وضمان استمرارية التفوق الصهيونى على العرب بالسلاح !

فاذا كان العرب يبذلون كل هذا الجهد والعرق والدموع لاستيراد السلاح والعتاد .

واذا كان العرب يقتطعون ثمن ما يستوردونه من لقمة العيش وعلى حساب مشاريع التنمية والاعمار ، ثم لا يستعملونه ضد العدو الصهيونى ، فضد من ياترى يستعملونه !!

إن الدول العربية التى كانت تستورد سلاحها وعتادها من الدول الغربية قبل سنة ١٩٤٨ ، كانت تحتاج إلى صبر أيوب لتتسلم كميات محدودة من السلاح والذخيرة بأثمان غالية جدا وباسعار خيالية .

اما الدول العربية التى ظلت تستورد السلاح من الغرب بعد خلق الكيان الصهيونى ، فكانت تحتاج إلى صبر أيوب وذل الجبان لتتسلم كميات محدودة من السلاح والعتاد مقابل اثمان وشروط قاسية مجحفة لا يتحملها كريم .

وللتاريخ اذكر ان الدول الغربية ، هى التى اجبرت العرب إجباراً على كسر احتكار السلاح ، وذلك بانحيازها الأحمق للعدو الصهيونى وتماديها اللامعقول فى هذا الانحياز ، مما جعل العرب مكرهين على كسر احتكار السلاح واللجوء إلى الشرق لاستيراده ، لأن الجيوش العربية كان تسليحها غربيا ، وتبديل السلاح فى نوعيته له مشاكل تدريبية ومشاكل قطع الغيار ومشاكل تنوع الأسلحة فى الجيش الواحد ، ولكن حماقة الغرب اضطرت العرب على اقتحام هذه المشاكل وتحمل اعباء تذليلها .

وللتاريخ ايضا اذكر للذين ويتجاهلون لسبب او لآخر ، أن السلاح الشرقى لم يدفع مجاناً بل بثمنه الغالى ، وان استيراده لم يكن بدون شروط ، بل بشروط صعبة فى بعض الأحيان ، وقاسية فى أحيان ، ولكن العرب اضطروا على ركوب الأسنة ، إذا لم تكن لديهم حيلة إلا ركوبها .

ولعل من تلك الشروط ، استيراد الخبراء الشرقيين مع اسلحتهم ، وكان العرب قد تخلصوا بشق الأنفس من الخبراء الغربيين فابتلوا من جديد بخبراء شرقيين ، فاذا كان الخبراء الغربيون قد لقنوا الولاء للغرب للذين دربوهم فى الجيوش العربية ، فان الخبراء الشرقيين لقنوا الولاء للشرق لمبادىء الشرق للذين دربوهم فى الجيوش العربية ، والكفر ملة واحدة كما يقول المثل العربى القديم .

وما نريدها (غربية ، ولا نريدها (شرقية) ، بل نريدها عربية ولاؤها واحد وليس مزدوجا .

محاذير خطيرة فى الاستيراد

إن السلاح والذخيرة المستوردة تكون غالية التكاليف ، بالنسبة إلى تكاليفها إذا تم انتاجها محليا .

والدول التى تصدر السلاح والعتاد ، تستأثر لنفسها بالجيد من إنتاجها ، إذ لا يمكن وليس من المعقول ان تؤثر غيرها من الدول المستوردة بالأنواع المتميزة من سلاحها وعتادها وتفضل غيرها من الجيوش على جيشها الوطنى .

كما ان السلاح والذخيرة المصدرة تكون – اعتياديا – من الأنواع غير السرية لا من الأنواع السرية .

اما الأنواع غير المعروفة والسرية والمخترعات الجديدة ، فلا تعرض فى الأسواق ولا تصدر للخارج ، حتى لا ينكشف أمرها .

وقد تسلمت الدول العربية سلاحاً وعتاداً قديما ، مر بمعامل الصيانة للدول المصدرة ، وجرى تصليح المعطوب منه وإعادة صبغه ، وصدر باعتباره سلاحاً وعتاداً جديداً .

ويسود سوق تصدير السلاح والعتاد طائفة من الافاقين والمضاربين ، همهم الكسب الحرام ، فيقع فى حبائلهم قسم من المغفلين العرب عن قصد أو عن غير قصد .

وقد تسلمت دول عربية سلاحاً فاسداً وعتاداً معطوبا ، وكان للأفاقين والمضاربين فى الخارج والداخل دور فى

إنتاج السلاح في الوطن العربي



إن كسر احتكار السلاح مطلب قومي

هذا الدور المريب . ولكن الأخطر من كل تلك المخاطر ، تتلخص فى دور التجسس الصهيونى فى كشف أو احباط صفقات الأسلحة المستوردة .

إن كثيراً من معامل الأسلحة والاعتدة الغربية ، تعمل برءوس أموال صهيونية ويسيطر عليها العدو الصهيونى وعملاؤه فى المخابرات الصهيونية (الموساد) ، وهذا يؤدى إلى وصول تفاصيل الكميات المصدرة للعرب إلى مخابرات العدو الصهيونى قبل ان تصل تلك الكميات إلى العرب . وهذه المعامل تؤثر العدو الصهيونى بالأنواع الجيدة من السلاح والعتاد ، وتعطى العرب الأنواع الرديئة منها .

والجواسيس الصهاينة وعملاء (الموساد) ، متغلغلون فى المعامل الحربية ، مهمتهم الأولى مراقبة ما يستورده العرب منها .

ووسائط النقل البرى والبحرى والجوى فى الغرب ، اكثرها شركات خاضعة لأخطبوط رأس المال الصهيونى وفيها موظفون صهاينة، وهى تعج بجواسيس العدو الصهيونى .

ومن المعلوم أن التسليح العسكرى خاضع لأعلى درجات السرية واقصى درجات الكتمان . واستيراد السلاح والذخيرة تحت هذه الظروف ـ والعرب فى حرب مصيرية ضد العدو الصهيونى ـ على طرفى نقيض من السرية والكتمان فليس من المعقول ولا من المنطق ، ان يبقى العرب يستوردون اسلحتهم وعتادهم تحت ظل مثل هذه الظروف الخطيرة ولا ينتجون فى بلادهم ما يحتاجون إليه من سلاح وعتاد .

وليس سراً أن الأموال الطائلة التى يدفعها العرب ثمنا للسلاح والعتاد المستورد من الدول الأجنبية ، قد تتحول إلى أسلحة وذخيرة تصوب الى صدور العرب !! أهذا ممكن ؟! أهذا يصير ؟!

طريق النصر

إن كسر احتكار السلاح والذخيرة ، على الرغم من انه سهل للعرب امر استيراد الكميات التى يريدونها فى المكان والزمان اللذين يريدونهما ، وقد كان لذلك فائدة لاشك فيها للعرب ، ولكنه ومع ذلك علاج وقتى يخدر الداء ولا يشفى منه . والعلاج الجذرى الوحيد لمشكلة تسليح الجيوش العربية ـ خاصة فى ظروف الحرب العربية الصهيونية ـ هو انتاج السلاح العربى فى المعامل الحربية وبالسواعد العربية وهذا العلاج الناجع ، هو بمقدور العرب . وبخاصة الدول المنتجة للنفط ، التى تستطيع إنتاج شتى انواع الأسلحة التقليدية والمتطورة التى لها صلة مباشرة بالعلوم التطبيقة إذ لم يبق إنتاج تلك الأسلحة المتطورة سراً من الاسرار ، والمال العربى ـ إذا عزم العرب على الاكتفاء الذاتى بالسلاح والعتاد الذى ينتجونه ـ كفيل بتحقيق ما يصبون اليه .

ولست اجهل ان قسما من الدول العربية وجدت طريقها السليم فى الانتاج الحربى محليا ، فانتجت جزءاً مما تحتاج اليه . ولكن هذا الجهد غير كاف على كل حال ، ويحتاج الى مؤتمر لتنسيق إنتاج السلاح والعتاد العربى ، حتى يوزع الانتاج على الدول العربية ، ويتم التعاون بين الدول العربية فى هذا المجال .

لقد انتج العدو الصهيونى محليا معظم اسلحته التى هو بحاجة إليها ، للحفاظ على الأرض العربية التى اغتصبها ، وللتوسع على حساب الدول العربية لتكوين : اسرائيل الكبرى ، من النيل الى الفرات .

بل اصبح العدو الصهيونى إحدى الدول المصدرة للسلاح ، وهناك دول افريقية واسيوية وأمريكية تستورد السلاح الصهيونى ، كما أن هذا العدو يزود بالسلاح الشراذم التى تريد هدم البلاد العربية وتقويض اركانها ، كما يجرى فى شرذمة سعد حداد الخائنة فى جنوبى لبنان مثلا ، كما جرى فى تسليح القائمين بالفتن والاضطرابات الداخلية فى بعض البلاد العربية ـ كما هو معروف .

فلماذا يحرص العدو الصهيونى على الحرص العظيم على تحقيق باطله ، ولا يحرص العرب مثل هذا الحرص على الدفاع عن حقهم !!!

إن التاريخ لا يرحم ، وما عند الله ادهى واعظم للمقصرين بحق بلادهم .. ولا ازيد ..

وتسالنى : ما دلائل عزم العرب الأكيد بالأعمال لا بالاقوال ، على استرداد حقوقهم المغتصبة فى الأرض المقدسة فلسطين ، وكل ذرات ترابها من دماء شهداء الصحابة والتابعين والصالحين والمجاهدين ؟!

وجوابى من دون تردد وبثقة عالية اول تلك الدلائل هو : انتاج السلاح والعتاد التقليدى والمتطور فى البلاد العربية الى درجة الاكتفاء الذاتى بانتاجهم المحلى عربيا .

وحينذاك يبدأ دور العمل ، وينتهى دور الكلام !

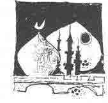
محمود شيت خطاب

فضل العلم

أوصى الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه كميل النخعى فقال له :

يا كميل إن هذه القلوب اوعية فاحفظ عنى ما اقول :

الناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم عنده نجاة ، وهمج رعاع اتباع كل ناعق مع كل ريح يميلون ، لم يستضيئوا بالعلم ولم يركنوا الى ركن وثيق . يا كميل العلم خير من المال . العلم يحرسك وانت تحرس المال . والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق . يا كميل محبة العلم دين يدان به ، تكسب المرء الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته . ومنفعة المال تزول بزواله . والعلم حاكم والمال محكوم عليه . يا كميل مات خزان المال وهم احياء .. والعلماء باقون ما بقى الدهر .



نتائج الغدر

قال الحسن بن عبد الله يذم الغدر :

إن الغدر نتائجه وخيمة ، وعواقبه ذميمة ، من ارتقى فى سلمه كان السقوط اليه اقرب ، ومن توصل بسهولته وقع فى الأشد الأصعب ، به تبخس الحقوق ، وتتفرق ، وتتضعضع النفوس وتضمحل المروءة وتذهب الأمانات .



المرء مجزى بما أسلف

أوصى امير المؤمنين علي بن ابى طالب احد عماله يوماً فقال :

دع الاسراف مقتصداً . واذكر في اليوم غداً . وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك . اترجو ان يعطيك الله اجر المتواضعين وانت عنده من المتكبرين ، وتطمع وانت متمرغ فى نعيم تمنعه الضعيف والارملة وإنما المرء مجزى بما اسلف وقادم على ما قدم .



الأمان لمن ؟

خاطب عمر بن عبد العزيز يوماً المسلمين فقال :

اعلموا ان الأمان غداً لمن خاف الله اليوم ، وباع قليلا بكثير وفانيا بباق . الا ترون انكم فى اسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون ، كذلك ترد الى خير الوارثين . ثم انتم فى كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً قد قضى لله نحبه وبلغ اجله ثم تغيبونه فى صدع من الأرض ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وباشر التراب وواجه الحساب . غنياً عما ترك فقيراً الى ما قدم .

إلا الأمين !

حدث عبد الله بن علي عن الزهرى قال : قال عمر رضى الله عنه : لا تعترض فيما لا يعنيك ، واعتزل عدوك ، واحتفظ من خليلك إلا الأمين فان الأمين من القوم لا يعدله شيء ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش اليه سرك ، واستشر فى امرك الذين يخشون الله .

أربعة ... وأربعة

قال حكيم : اربعة تؤدى الى اربعة : الصمت يؤدى الى السلامة ، والبر يؤدى الى الكرامة ، والجود يؤدى الى السيادة، والشكر يؤدى الى الزيادة .

لا حسد إلا فى اثنتين !

روي عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال : «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار .



أفضل من الحق

وقع نزاع بين حيين من قريش فاقبل ابو سفيان عليهم ، وأراد أن يمنعهم من القتال . فما بقي احد واضع راسه إلا رفعه . ليسمع ما سيقوله لهم . فقال : يا معشر قريش . هل لكم فى الحق او فيما هو افضل من الحق ؟

قالوا : وهل شيء افضل من الحق ؟

قال : نعم . العفو .

فتهادن القوم واصطلحوا .

عصام شريح

كهانا..

قصة الحاخام الذي أقسم أن يهدم المسجد الأقصى

إنه واحد من الشخصيات العديدة المندفعة في طريق الإرهاب والعداء

ظاهرة الحاخام كهانا ليست فريدة في تاريخ الحركة الصهيونية

افرزت الحركة الصهيونية خلال تاريخها شخصيات تمثل ظواهر لها خصوصية فريدة فى شوفينيتها وعنصريتها ، ومن هذه الشخصيات او الظواهر على سبيل المثال مؤسس الحركة تيودور هرتزل ، ودافيد بن غوريون ، ثم مناحيم بيغن ، الذين عرف عنهم تمسكهم «بحلم» «اسرائيل الكبرى» بشكل او باخر ، واندماجهم فى مقولات التوراة والتلمود الاسطورية .

اما الشخصية التى نحن بصددها هنا فهى اقل قيمة من الناحية السياسية ربما لكنها تمثل تسيطا للمفاهيم الصهيونية إياها التى امن بها هرتزل وبن غوريون وبيغن وموشي دايان ، ومع ذلك فلن هذه الشخصية لا تقل خطورة فى نموذجيتها عن الشخصيات السابقة ، إذ لا يستبعد لن نسمع فى المستقبل ان الحاخام مئير كهانا ـ وهو الشخصية الصهيونية التى نعني ـ وقد اصبح راس السلطة فى الكيان الصهيونى ، تماما كما حدث لمناحيم بيغن ، الذى كان ايام بن غوريون شبه معزول او مغمور او مرفوض .

وتاريخ الحاخام كهانا برغم حداثته مفعم بالممارسات الفاشية ضد العرب ، وملىء «بالنظريات» العنصرية والتطرف العرقى الى درجة الهلوسة . وفى الواقع فان افكار الحاخام مئير كهانا وشخصيته تنبىء ان هذا الرجل يمثل الأصالة فى الفكر الصهيونى الذى يرفض الابتعاد عن منهل الصهيونية التوراتى والتلمودى ، والانجرار وراء احابيل السياسة وتكتيكاتها .

وظاهرة الحاخام كهانا ليست فريدة على أي حال فى تاريخ الحركة الصهيونية ، فتاريخ مناحيم بيغن وآراؤه ـ وخاصة قبل تسلمه الحكم فى الكيان الصهيونى قبل ثلاثة اعوام ـ كانت شبيهة الى حد كبير بآراء كهانا ، بل ان الحاخام القادم من بروكلين بالولايات المتحدة لا يخفى إعجابه ببيغن (الأمس) وامتعاضه من بيغن (اليوم) الذى خضع لمقاييس السياسة وتكتيكاتها على حد قوله .

ولأن الحاخام مئير كهانا يمثل الأصالة فى الفكر الصهيونى ـ وبخاصة الفكر اليمينى الصهيونى ـ ولانه كذلك يمثل نموذجا للشخصية الارهابية بكل معنى الكلمة التى افرزتها الحركة الصهيونية العنصرية ، فان من المهم والطريف معاً ان نقدم آراء هذا الرجل ، ونسلط الاضواء على مفاهيمه :

البداية

كان والد الحاخام مئير كهانا قد ولد فى مدينة صفد بفلسطين المحتلة بعد ان هاجرت اسرته من بولندا الى فلسطين فى عام ١٨٧٣ ، وحسب تعبير كهانا هاجرت بدون مساعدة الوكالة اليهودية ، وقد اصبح الوالد حاخاما فيما بعد وارتحل الى الولايات المتحدة الامريكية فى العشرينات من هذا القرن ، اما والدة كهانا فهى تعيش الآن فى الكيان الصهيونى ، وكانت اسرتها قد هاجرت من ليثوانيا حينما استولى الثوار البولشفيون عليها .

وقد ولد مئير كهانا فى بروكلين بمدينة نيويورك فى عام ١٩٣٢ ، وله شقيق واحد يعيش فى الكيان الصهيونى آنذاك ، وتشير سنوات حياته فى الولايات المتحدة الى ان الحاخام مئير كهانا لم يصادف اية مشاق مالية او اضطهاد عرقى او دينى او اى تمييز لأى سبب ، ويقول هو عن تلك السنوات : «لقد تمتعت بحياة بالغة السعادة» .

لكن نقطة الانعطاف الحاسمة فى حياته كانت لدى اتجاهه الى دراسة اللاهوت اليهودى ، فقد انخرط فى سلك الطلاب الذين يدرسون ويعدون انفسهم ليرسموا بعد انتهاء الدراسة حاخامات .

وقد تركزت دراسته فى بروكلين على التوراة اكثر منها على التلمود ، حيث استحوذ التاريخ التوراتى ـ وخاصة حياة الملك داوود ـ على عقل كهانا ، ولعل مما ساعده فى الانغماس فى هذا الحقل من اللاهوت اليهودى ، أن والده كان يحثه باستمرار على الانضمام الى تنظيم «بيتار» ـ وهو جناح الشباب فى الحركة الصهيونية التصحيحية التى تؤمن «بالقومية التوراتية» كتعبير عن الصهيونية السياسية .

المهم ان مئير كهانا رسم حاخاماً فى اواخر الخمسينات وفى تلك الفترة ايضاً حصل على اجازة فى الحقوق من جامعة نيويورك ، ثم نال درجة الماجستير فى القانون الدولى من نفس الجامعة . وقد تزوج كهانا فى عام ١٩٥٨ ، وبدا بممارسة مهامه كحاخام فى كنيس «هوارد بيتش» بمنطقة كومينز بمدينة نيويورك ، لكنه فصل من وظيفته هذه بسبب خلاف مع رئيسه فى الكنيس . ويقول كهانا عن هذه الحادثة : لم يبال كثيراً بفصله من عمله ، لأنه كان يتطلع الى العمل كحاخام غير عادى ! ويضيف انه كان «يكره اليهود محدثى النعمة ، أولئك الذين يمتلكون بيوتا تكلف اكثر من مائة الف دولار ، لكن ليس فيها قطعة اثاث واحدة» .

كهانا وخوربا

بعد ذلك اسس مع صديقه (اليهودى ايضاً) جوزيف خوربا (الذى كان قد رسم حاخاما قبل ان يطرد من وزارة الدفاع) اسسا معاً مكتبا اطلقا عليه اسم «مكتب البحث الاستشارى المتحد» ، لكن خوربا ترك المكتب فى عام ١٩٧٦ ليعمل مستشاراً لرئيس جهاز الاستخبارات فى سلاح الجو الأمريكى ، وهو يعمل حاليا كاحد اهم المستشارين للشؤون



مئير كهانا يصرخ : اطردوا العرب !

الخارجية للرئيس الأمريكى الجديد رونالد ريغان .

اما كهانا فقد اختفى خلال هذه الفترة لمدة ثلاث سنوات (١٩٦٣ ــ ١٩٦٥) حيث انخرط فى سلك مكتب التحقيقات الفدرالى ــ إف ــ بى ــ اي ــ . وقام بمهمة الكشف عن أهداف ومصادر تمويل «جماعة جون بيرش» ــ وهى جماعة اميركية يمينية متطرفة ، وقد تمكن كهانا بعد تنكره ، من التغلغل فى صفوف الجماعة وكشف اهدافها المتمثلة فى إثارة الاضطرابات العنصرية فى الولايات المتحدة والاتجار بالمخدرات ....

وعندما رجع كهانا الى الحياة العلنية فى عام ١٩٦٥ ، أسس مع صديقه خوربا «حركة الرابع من تموز (يوليو)» ، وقد قامت هذه الحركة بتنظيم الخلايا فى المناطق الجامعية ، لكسب التأييد لحرب فيتنام ، والتورط الأميركى فى تلك البلاد. وفى عام ١٩٦٨ أصدرا كتاباً بعنوان «شريحة اللحم اليهودى فى فيتنام» قالا فيه انه فى حال تخلى الولايات المتحدة عن التزاماتها فى فيتنام الجنوبية ، فانها سوف تتخلى عن اسرائيل . وبناء لذلك اخذ كهانا وخوربا يحثان اليهود الاميركيين بحماس شديد على تأييد التدخل العسكرى الأميركى فى فيتنام .

لكن بعد هزيمة الولايات المتحدة فى فيتنام ، انهارت احلام الحاخام كهانا ، فكتب يقول : «لقد عرفت ان أيام اليهود فى الولايات المتحدة ، قد أصبحت معدودة» ، وان «أميركا كانت نمراً من ورق وهى لن تحارب من أجل اسرائيل» .

عصبة الدفاع اليهودية

وهنا بدأ كهانا يخطط لتأسيس عصبة الدفاع اليهودية ، وقد ساعده عمله كمحرر فى «الصحافة اليهودية» التى كانت تطبع فى بروكلين وتعتبر اكبر صحيفة يهودية فى الولايات المتحدة فى اواخر الستينات ، ساعده أن يطلع عن كثب على أخبار اليهود الأميركيين واحوالهم فى مختلف الولايات ، ففى تلك الفترة وردت الى الصحيفة عشرات الأنباء التى تتحدث عن اعمال «معادية للسامية» ــ اى لليهود فى الولايات المتحدة ، وبصورة خاصة للفقراء والمسنين منهم ، بهدف إرغامهم على ترك المدن الداخلية . وهنا قام كهانا بتقديم هذه المعلومات الى زعماء المنظمات اليهودية الرئيسية بهدف تحريضهم على اتخاذ اية خطوة مضادة ، لكن هؤلاء طالبوه بعدم نشرها تجنباً لمزيد من التوتر ، وإزاء هذا الموقف اتجه تفكير كهانا الى تشكيل عصابة من اليهود فى إحدى ضواحى بروكلين اطلق عليه اسم «رابطة الدفاع اليهودية» ، وزعم فى أول الأمر ان هدف الرابطة هو حماية اليهود من اعتداءات السود والبورتوريكيين . ثم ترك عمله فى الصحافة ليتفرغ لأعمال الرابطة ــ العصابة ، التى اجتذب بعض شبان اليهود اليافعى السن اليها عن طريق شحن مخيلاتهم بما اسماه «الكبرياء والقوة اليهوديتين» . ثم اقام كهانا معسكرات لتدريب اعضاء عصابته على استخدام السلاح فى جبال كاتسكيل بولاية نيويورك ، واتخذ شعاراً له «البندقية والتوراة» . وقد نفذ كهانا عدة عمليات ارهابية ضد مؤسسات وسفارات عربية وسوفييتية. وكان يبرر هجماته على الدبلوماسيين العرب فى نيويورك مدعياً انها رد على هجمات الفلسطينيين ضد اسرائيل . اما تبريره لهجمات عصابته على المؤسسات السوفييتية فى تلك المدينة فيقوم على ان استخدام العنف ضد اهداف سوفييتية سيرغم القيادة السوفييتية على السماح لليهود الروس بالهجرة الى اسرائيل وبالفعل فان «رابطة الدفاع اليهودية» نفذت العديد من عمليات الارهاب هذه ، ففى يوم واحد ، هو يوم ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٦٩ (على سبيل المثال) ، هاجمت الرابطة مكاتب كل من وكالة تاس السوفييتية للانباء ، ومكتب السياحة السوفييتى ، ومكتب الخطوط الجوية السوفييتية (ايروفلوت) فى نيويورك ، كما اقتحم اعضاء فى الرابطة طائرة ركاب سوفييتية كانت رابضة فى مطار كينيدى ، وكتبوا على جدرانها عبارات معادية للسوفييت .

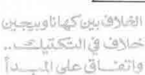
وفى عام ١٩٧٠ هاجم اعضاء فى الرابطة مكتب «إيروفلوت» بنيويورك بالقنابل . وفى عام ١٩٧١ اطلقوا أربع طلقات على دبلوماسى سوفييتى لدى الأمم المتحدة ، واقتحموا مكاتب لجنة الاعلام العربى وهاجموا الموظفين العرب بالعصى . ومن المفارقات هنا ، أن رابطة الدفاع اليهودية تعاونت مع بعض زعماء المافيا فى الولايات المتحدة ، وفى طليعتهم جوزيف كولومبو الذى قتل فى أوائل السبعينات ، وكان كولومبو هذا قد نظم تظاهرة فى واشنطن فى عام ١٩٧١ للاحتجاج على منع اليهود السوفييت من مغادرة وطنهم الأصلى الى اسرائيل . وكثيراً ما كان يشاهد كهانا وكولومبو معاً ، وعندما قتل كولومبو رثاه كهانا بقوله : «لقد كان رجلا رائعاً ، وصديقاً للشعب اليهودى» .

ويزعم كهانا أن رابطة الدفاع اليهودية ساعدت فى هجرة ١٥٠٠ يهودى سوفييتى ، ويقول إنه فى الوقت الذى كان ينظم فيه الحملات «لتحرير» اليهود الروس ، فان المنظمات الاميركية الأخرى ، لم تكن تجد ما تفعله سوى التحسر عليهم ، وحينما يئس من مستقبل يهود أميركا ، هاجر كهانا الى اسرائيل فى عام ١٩٧١ ، وقام بتنظيم عدة رحلات متوالية بين اسرائيل والولايات المتحدة ، مخططاً للمزيد من العمليات الدولية الكبيرة ، ثم اهمل رابطة الدفاع اليهودية ، وتخلى عنها نهائياً فى عام ١٩٧٤ . ومع أن الرابطة واصلت عملها بعد هجره إياها ، إلا أنها عملت «بقلب مريض» على حد تعبيره ، ويعترف كهانا بأن فشله الاكبر كان فى عدم قدرته على خلق البديل القيادى للرابطة قبل رحيله الى الكيان الصهيونى .

وفى نيسان (ابريل) الماضى ، وضع كهانا فى السجن فى فلسطين المحتلة بسبب قيادته تظاهرة يهودية بمدينة رام الله بالضفة الغربية المحتلة ، وذلك احتجاجاً على اعتقال اربعة من اعضاء حزبه «كاش : هذا هو الطريق» ، وكانوا قد حطموا عدداً من نوافذ البيوت والمتاجر فى المدينة ، وقد سجن كهانا ثلاثة ايام بسبب اثارته شغباً فى رام الله واعتدائـه على سكانها العرب ، لكن افرج عنه فيما بعد ، بحجة إتاحة الفرصة أمامه للمشاركة فى جنازة احد اعضاء حزبه الذى قتل مع خمسة اخرين فى مدينة الخليل فى ايار (مايو) الماضى على أيدى مجموعة فدائية .

وفى ١٢ أيار (مايو) المنصرم أمر وزير الحرب السابق عيزر وايزمن بالزج بكهانا فى السجن ، تحسباً لأعمال عنف كان يخطط لارتكابها ضد العرب فى الضفة






جابوتنسكى


بسام الشكعة



مناحيم بيجين

الغربية المحتلة ، ويرى كهانا فى السجن متعة ما بعدها متعة لانه يوفر له قراءة التوراة اكثر من مرة .

كهانا ويهود امريكا

يعلن كهانا ان معظم اليهود الاميركيين هم اسوا حالا من العميان ، وانهم منافقون ، ويقول إن المأساة تكمن فى ان معظمهم يمارسون التقاليد اليهودية والفولكلور اليهودى ، لكن اليهودى المتدين ، هو ذلك الذى يتبع التعاليم القاسية لـ «الميتسفاه ــ الوصايا» ــ وهى حسب تعبيره الاستيطان فى ارض فلسطين . يقول : «إن هدفى فى الحياة إذن هو قول الأشياء التى يقولها اى زعيم يهودى آخر ، وهو ان مصير الشعب اليهودى فى المنفى وفى اسرائيل ، هو ان يصبح يهوديا مرة اخرى!! ولن يتحقق هذا إلا فى اسرائيل فقط إذ حينئذ سيضيء مجد الرب على صهيون» .

ويصر كهانا على انه لا يمكن ان تقوم «دولة يهودية» بالمعنى اليهودى لانتظار «المسيح الموعود» ، قبل ان يرجع اليهود الى «أرض اسرائيل» ، ويضيف ان دولة يهودية للمسيح الموعود (اليهودى) ، لا يمكن ان تتواجد مع وجود اقلية عربية فى اسرائيل ، وان من واجب اليهود ان ينفردوا وحدهم بالأرض ، لكى يبنوا نسيجهم ولحمتهم الاخلاقية .

كهانا والعرب

يعترف كهانا بان من المستحيل على اليهودى ان يشترى حب العربى له مهما قدم له من خدمات ومساعدات !! بل هو يعلن تخوفه منهم نظراً لتناسلهم السريع والكثيف ، ويقول : «ها هم يتكاثرون كالارانب ، وبمعدل نموهم هذا ، سيسيطرون على الكنيست (البرلمانى الاسرائيلى) فى غضون ربع قرن فقط» .

«إننى لست على استعداد للتضحية بالصهيونية من اجل الديمقراطية .. فهناك حل واحد فقط هو : على العرب ان يرحلوا من اسرائيل ، واذا اصبحت رئيساً للحكومة فسوف اذهب الى العرب واقول لهم ان يرحلوا ، وسوف أعدهم بتعويضات سخية ، فاذا رفضوا ذلك فسوف اجبرهم بالقوة على الرحيل عن طريق وضعهم فى سيارات الماشية بعد منتصف الليل وقذفهم خارج حدود اسرائيل» .

وينفى كهانا تهمة العنصرية عن نفسه ، بسبب إصراره على «طرد» العرب من «اسرائيل» ، يقول : «إن العنصرى هو اليهودى الذى ينادى بان للعرب نفس الحقوق المتساوية مع اليهود فى دولتهم»

وفى مطلع العام الجارى ، توجه كهانا الى مدينة نابلس فى سيارة ثبتت عليها مكبرات الصوت ، واخذ يصرخ طالباً من العرب الرحيل ، وقد تصدى له رئيس بلدية المدينة العربية السيد بسام الشكعة الذى دخل فى نقاش حاد معه ، وقال له فى نهايته انك اميركى ويتوجب عليك انت ان تترك هذه البلاد لأصحابها الشرعيين ، وإننى مستعد لان ادفع لك ثمن تذكرة سفر الى الولايات المتحدة .

ويتهم السيد الشكعة حكومة مناحيم بيغن بالتواطؤ مع الحاخام كهانا فى مضايقة العرب وإثارة الاضطرابات فى وجوههم ، لأن حكومة بيغن ترغب فى ان يسام العرب نوع الحياة التى يعيشونها فى الضفة الغربية ، فيرحلون ، ويقول السيد الشكعة ان سياسة كهانا ما هى سوى الامتداد الطبيعى لسياسة الليكود الحاكم .

ويوافق كهانا على تحليل رئيس بلدية نابلس فى نقطة واحدة على الأقل ، فهو يقول : ان له (اى لكهانا) اصدقاء يحتلون مراكز هامة فى حكومة بيغن ، وهم يرغبون فى ترحيل العرب عن اسرائيل ، لكنهم يتخوفون من رد الفعل العالمى ، ويقول احد كبار ضباط الشرطة الاسرائيليين : «إن الحكومة تطلق العنان لكاهانا ، لكنها تلجمه حينما يسبب مشاكل عديدة ، وان وزارة الخارجية تضغط علينا لكى نعتقله حينما يكسر القانون ، وحينما نفعل ذلك ، نجد أن النظام القضائى يطلق سراحه» .

وفى محاضرة القاها فى تل أبيب ، قال كهانا : «إنه يجب طرد العرب من اسرائيل» ، وعندما ووجه بالاستنكار واللعنات من طلاب فلسطينيين كانوا حاضرين ، صرخ قائلاً : «مازالت حتى الآن هذه «دولتنا» وليست دولتكم ، وباللين أو بالقوة ، سوف نطردكم من هنا» . ثم اخذ يصرخ طالبا طرد العرب من جامعة تل ابيب . وعندما حاول الاستمرار فى محاضرته قال بصوت عال : «إن العرب يشكلون قنبلة موقوتة فى اسرائيل ، ويجب طردهم الى الدول العربية أو الى الغرب» !!

وفي الشهر الماضى دعا كهانا الى سن قانون خاص لطرد العرب من اسرائيل ، وبرر دعوته هذه بأنه «لا يريد أن يقتلهم كل أسبوع» ، ثم مضى قائلا فى رسالة بعث بها الى صحيفة «جيروزاليم بوست» «إن بامكان العرب الذين يتركون اسرائيل بمحض اختيارهم الحصول على تعويض عن ممتلكاتهم ، اما الذين لا يرغبون فى مغادرتها ، فسيطردون دون تعويض» ، واضاف : «إن خطوة من هذا النوع ضرورية لان نسبة الولادة المرتفعة بين العرب تهدد الدولة اليهودية» وتساءل كهانا : «ما هو مدى بعدنا عن برلمان اسرائيلى يتالف ثلث

اعضائه من العرب ؟ وما هو مدى بعدنا عن جليل يطالب سكانه العرب بحكم ذاتى ؟ وهل لهم الحق فى ان يتحولوا سلميا الى اغلبية ، ويحولوا اسم الدولة الى فلسطين ؟؟» وقال ايضاً : «اننى لا اريد ان ارى قبرص او جنوب افريقيا او بلفاست اخرى هنا» .

كهانا والانتخابات القادمة

يخطط كهانا لخوض الانتخابات المقبلة للكنيست الصهيونى ، واهم مادة دعائية تحفظ له رصيداً فى الانتخابات القادمة ، هى ان حزبه «كاتش» (هذا هو الطريق) ، أطلقت الوعود بأن تحل مشاكل اسرائيل الاجتماعية والاقتصادية بضربة واحدة على حد ادعائها ، وذلك عن طريق تهجير العرب من اسرائيل . ويقول كهانا إن مثل هذه الخطوة ستوفر ملايين الدولارات التى تنفق اليوم «على تطوير المدن والقرى العربية» ناهيك بتوفير الأموال التى تنفق على الأمن لمنع هجوم العرب على الاسرائيليين ؟؟ ويتنبأ كهانا بانه سيحصل على مقعدين على الأقل فى الكنيست القادم .

اما نفوذ كهانا القوى ، فيتركز فى مستوطنة «كريات اربع» القريبة من مدينة الخليل ، وهى أكبر مستوطنة فى الضفة الغربية المحتلة ، وله نفوذ بارز بصورة خاصة بين طلبة المدرسة الدينية الذين يتجاوز عددهم المئتين ، وهؤلاء لا يعطون أى اهتمام لحقوق الفلسطينيين .

كما أن الحاخام كهانا يتمتع بنفوذ ملحوظ لدى الأعضاء المتطرفين فى حركة «غوش ايمونيم» ، وله دور ملحوظ ـ وإن كان غير معلن ـ فى الحركات السرية التى نشأت على يمين اليمين الصهيونى الحاكم (بيغن ـ يوسف بورغ) ، ومنها التنظيم المعروف باسم «غال» ـ أى خلاص اسرائيل ـ والذى يقوده مدرس اسمه «يوئيل ليرنر» ومساعده الملازم فى الجيش الاسرائيلى «ادموند عزران» .

اليمين .. واقصى اليمين

والآن .. هل ان ظهور شخصيات مهووسة بمبادىء الصهيونية العنصرية أو حركات سرية متطرفة فى الكيان الصهيونى ، يعتبر ظاهرة شاذة او غير طبيعية ؟ إن جميع الوقائع تدل على عكس ذلك تماماً ، فاسرائيل اقيمت على



ثمن الاحتلال فى الأرض المحتلة

ارض فلسطين استناداً الى احلام توراتية تقول ان هذه الأرض العربية هى «ارض الميعاد لشعب الله المختار» ، ومن هذا المنطلق «العقائدى» تفرعت جميع التعاليم الصهيونية العقدية الأخرى .

ولا شك فى أن شخصية الحاخام مئير كهانا التى تعيش بافكار الماضى السحيق هى شخصية نموذجية فى تعبيرها الواقعى عن حقيقة الصهيونية كحركة رجعية وعنصرية تستمد مقوماتها الفكرية من الأساطير والخرافات التى حفلت بها التوراة والتلمود ، والتى تثير العجب والسخرية فى أن .

وفى الحقيقة وحتى لا نظلم الحاخام كهانا ، فان من السخف كما يبدو لنا أن نحاول التمييز بين يسار ويمين فى الكيان الصهيونى ، إذ انه لا يوجد فى رأينا فى ذلك الكيان سوى إنسان واحد ذى لون عقدى وسياسى واحد هو الصهيونية التى هى بالتأكيد ـ وحتى الآن على الأقل ـ ليست بصهيونيتين او اكثر .

وهذه الصهيونية تقوم على خمس دعائم فكرية هى :

- اليهود هم شعب الله المختار .
- واليهود هم شعب ذو مصير تاريخى وسمات خاصة لا تتصف بها الشعوب الأخرى .
- وكل يهودى ينتمى حكماً الى «الامة اليهودية» .
- ويجب على اليهود أن يطمحوا الى العودة الى «وطنهم القديم» ـ فلسطين .

وعلى أى حال هناك خلاف على الأساليب والتكتيك بين كهانا وبيغن او غيرهما ، لكن لا يوجد بالتأكيد اى خلاف على المبدأ والجوهر . وللتأكيد على ذلك ، فان موشي دايان وقف فى أعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ليقول امام حشد من انصاره : «يجب أن يدرك العالم الخارجى ، انه بالاضافة الى الأهمية الاستراتيجية التى تعلقها اسرائيل على كل شبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان ومضائق ثيران ، فان سلسلة الجبال الواقعة غربى نهر الأردن انما تقع فى صميم التاريخ اليهودى» . ثم وصف دايان البرنامج التوسعى الصهيونى بقوله : «إنه تحقيق لأحلام السلف من شعبنا» . وما إن وصل هذا الكلام الى أسماع الحاخام الاكبر لليهود السفارديم (ذوى الأصل الغربى) ، حتى سارع هذا الى ارسال برقية لدايان يهنئه فيها على تصريحاته بصدد «أرض اسرائيل» وقال له فيها : «لقد اعطيت التعبير الصحيح لاعتقاد اسرائيل بصدد ارضها ، وتغلغلت فى أعماق التصور اليهودى ، فلتكن لك نعمة العيش لرؤية هذه الاماكن جميعا وقد تم استيطانها وعم ازدهارها على ايدى اسرائيل» !!

واذا عدنا الى الوراء قليلا ايضاً ، فاننا نرى جابوتنسكي المشهور بتعاليمه الارهابية ، والذى يفخر مناحيم بيغن بكونه احد تلاميذه ، نراه يلقن مريديه ومحازبيه فى منظمة «بيتار» العسكرية فى الثلاثينات نشيداً يقول فى احدى فقراته :

«مجـال حيوى للملايين من اليهود
الأردن لــــــه ضفتـــــان
واحدة لنـــا .. والثانية ايضاً ..»

اما نشوء حركات وتنظيمات صهيونية متطرفة تقف على يمين اليمين الصهيونى ، وعلى يمين الارهابى مناحيم بيغن نفسه ، كحزب كاش الذى يتزعمه الحاخام كهانا ، وكحركة «غوش ايمونيم» .. الخ ، فانها تبقى فى الواقع النتاج الوحيد الممكن فى ظل العقيدة الصهيونية ، بل إن عدم نشوء مثل هذه التنظيمات الارهابية المتطرفة هو الأمر الذى يثير اشد العجب والاستغراب .

ويبقى أن الحاخام مئير كهانا ليس بالظاهرة الفريدة ، وإن كانت تتمتع بخصوصية واضحة بالنسبة لاستغراقها فى الميثولوجيا الصهيونية ، بل ان هذه الشخصية هى واحدة من شخصيات عديدة عرفنا اندفاعها الأعمى فى طريق الارهاب والعداء ، وسنتعرف فى المستقبل على أخرى من طرازها .

وبعد .. هذه قصة الحاخام اليهودى الذى اقسم أن يهدم المسجد الأقصى ولن يتحقق من قسمه شىء ، مهما بالغ فى تطرفه وتعصبه ضد المسلمين والعرب .

عصام شريح

حافظ أحمد أمين

مسرحيات للقراءة وأخرى للتمثيل

حتى منتصف القرن العشرين، كانت الكتابة للمسرح العربي ، اما ادبا صرفا ، أو بغرض التمثيل فقط ، فكان الادباء – مثل توفيق الحكيم ومحمود تيمور وعزيز أباظة يكتبون مسرحياتهم وهدفهم الاول نشرها في كتاب ، وكان أصحاب الفرق المسرحية – مثل نجيب الريحاني ويوسف وهبي – يكتبون أو يستكتبون غيرهم بغرض عرض المسرحية أمام المشاهدين .

كان الادباء يكتبون المسرحيات وهمهم الاول نقل أفكارهم الى القراء عن طريق الادب المسرحي ، فكان البعض يتهمهم بأنهم يكتبون من أبراج عاجية ، وكان أصحاب الفرق يكتبون أو يستكتبون غيرهم وهمهم الاول خلق أدوار لهم ولزملائهم من الممثلين يتألقون فيها ويستعرضون مواهبهم ، فكانوا يتهمون بالتكلف والسطحية .

ولا يعني هذا أن الذي كان يكتب ادبا مسرحيا لم يكن يأمل أن تمثل مسرحياته وتلقى اعجاب المتفرجين ، أو أن الذي كان يكتب للفرق المسرحية لم يكن يأمل أن تنشر اعماله في كتب ناجحة ، وانما يعني ان الجمع بين النجاحين كان أمرا شاقا، بسبب عدم نضج متفرج المسرح العربي (على حد تعبير بعض الادباء)، أو بسبب عدم وعي الاديب العربي بمتطلبات الفن المسرحي (على حد تعبير بعض أصحاب الفرق) .

ظلت الفرق الجادة لفترة طويلة ، تحاول حل المعادلة الصعبة ، وكانت تواصل الكفاح في سبيل تحقيق هذا الهدف الكبير ، الى أن جاء الاستاذ نعمان عاشور فخطا خطوة واسعة نحو الهدف ، عندما قدمت له فرقة المسرح الحر في منتصف الخمسينات مسرحيتيه (المغناطيس) و (الناس اللي تحت) فحل بهما معادلة من شقين ، كان حلها مستعصيا على المؤلفين من قبله ، وتبعه في هذا المضمار جيل من المؤلفين الادباء من امثال يوسف ادريس وسعد الدين وهبه وغيرهما .

في عام ١٩٣٦ افتتح المسرح القومي بالقاهرة موسمه المسرحي بمسرحية (أهل الكهف) من تأليف الاستاذ الكبير توفيق الحكيم ، واخراج شيخ المخرجين الاستاذ زكي طليمات ، وتمثيل فطاحل الممثلين والممثلات ، فماذا قال استاذنا الحكيم عندما شاهد العرض :

« .... فماذا رأيت ؟ رأيت ما توجست منه .. ان هذا العمل لا يصلح قط للتمثيل على الوجه الذي ألفه أغلب الناس .. » ثم قال : « ... لقد خرجت تلك الليلة وانا أشك في عملي ، وأؤمن بصواب رأي الناس » .

نعم !.. أعرضت الجماهير عن مسرحية (أهل الكهف) ، كما أعرضت بعد ذلك عن العروض المسرحية للحكيم ، ورغم هذا الاعراض ، لم تحظ مسرحيات عربية من الاهتمام بمثل ما حظيت به مسرحياته المكتوبة، حتى لقد نفذت طبعتان من (أهل الكهف) نشرتا في عام واحد (عام ١٩٣٣) كما ترجمت كثير من مسرحياته ونشرت بلغات أجنبية عديدة .



ويبدو أن الاستاذ الحكيم لم يقنع بما حققه من نجاح أدبي باهر ، فكان يحزنه ما يراه من أعراض الجماهير عن مسرحياته الممثلة ، وقد سمعناه يقول في جلساته أن مسرحياته تنقسم الى نوعين مختلفين : نوع ذهني يكتبه للنشر ، ونوع اجتماعي يكتبه للتمثيل ، وهو قول تثبت الاحصاءات عكس ما توقعه صاحب المسرحيات ، اذ أقبل الناس على قراءة (مسرح المجتمع) ووجد في القراءة متعة لا تقل عن المتعة التي كان يجدها في المسرحيات الذهنية .

والعجيب أيضا أن اقبال الجماهير على العروض المسرحية التي قدمت (مسرح المجتمع) كان أقل كثيرا من اقبالها على عروض المسرحيات الذهنية، والدليل على ذلك أن متوسط عدد المشاهدين في الحفلة الواحدة لمسرحية (أهل الكهف) بلغ ٢٢ متفرجا عندما أعاد المسرح القومي تقديمها عام ١٩٦٠ ، بينما بلغ متوسط عدد المشاهدين لمسرحية (رصاصة في القلب) ١٤٨ متفرجا في الحفلة الواحدة . ومسرحية (شمس النهار) ١٦٤ متفرجا عام ١٩٦٥ ، ومسرحيات (يا طالع الشجرة) و (مصير صرصار) و (الطعام لكل فم) ٥٦ ، ٨٤ ، ٩٠ متفرجا على التوالي عام ٦٢ – ١٩٦٣ .

والسبب في ذلك – في رأينا – يرجع الى أن المسرحيات الذهنية ، استطاعت أن تجد لها جمهورا مثقفا يحبها (وان كان صغيرا) بينما لم تستطع المسرحيات الاجتماعية خلق جمهور خاص بها .

المسرحيات التي نجحت في كتاب إذا ما عرضت قد تفشل على المنصة!



نعمان عاشور



يوسف ادريس

التزايد والتناقص

وهناك مقياس آخر ، يؤكد اقبال الناس على قراءة مسرحيات الحكيم ، واعراضهم عن مشاهدتها على المنصة ، **هذا المقياس هو تزايد عدد القارئين** لمؤلفاته المسرحية كلما أعيد طبعها في الكتب ، وتناقص جمهور مسرحياته كلما أعيد تمثيلها على خشبة المسرح •

ان مقياس تزايد أو تناقص عدد المتفرجين أسبوعا بعد أسبوع ، أو عاما بعد عام ، مقياس ذو اهمية كبيرة لدى القائمين على شئون المسرح •

فمسرحية (عيلة الدوغري) لنعمان عاشور ـ مثلا ـ قدمها المسرح القومي بالقاهرة في أعوام ٦٢ ـ ٦٣ ، ٦٣ ـ ١٩٦٤ ، ٦٥ ـ ١٩٦٦ فتزايد متوسط عدد المتفرجين لها في الحفلة الواحدة من ٤٩٦ الى ٦١٤ الى ٧٥٧ على التوالي ، وهو تزايد يدل ـ بلا شك ـ على نجاح كبير •

فاذا طبقنا هذا المقياس على مسرحيات الحكيم ، وجدنا أن متوسط عدد المتفرجين لمسرحية (الصفقة) كان ٣٣٣ ، ٩٣ ، ٤٤ متفرجا في الاعوام ٥٧ ـ ١٩٥٨ ، ٦١ ـ ١٩٦٢ ، ٦٢ ـ ١٩٦٣ على التوالي ، ولمسرحية (السلطان الحائر) كان ١٥٣ ، ١١٤ ، ٤٠ متفرجا في ثلاثة أعوام متتالية • وما يقال عن مسرح الحكيم يقال أيضا عن مسرح تيمور وأحمد شوقي وعزيز أباظة •

الشرط الاول

لقد اثبتت جميع التجارب ، وعلى فترات متباعدة ، ومع مختلف الفرق المسرحية ، وباخراج مختلف المخرجين ، وتمثيل أحسن الممثلين ، أن كثيرا من المسرحيات التي نجحت في كتاب أو جريدة ، قد تفشل فشلا ذريعا اذا ما عرضت على المنصة ، والعكس صحيح أيضا ، قد تطبع مسرحيات ناجحة جدا ـ كمسرحيات الريحاني ـ فلا يقرأها الا أقل القليل • فما هو السر وراء هذا ؟•

السر ـ في رأيي ـ أن الشرط الاول في المسرحية المقروءة شرطا ثالثا أو رابعا ـ من حيث الاهمية ـ في المسرحية الممثلة ، والشرط الاول في المسرحية الممثلة يعتبر شرطا ثالثا أو رابعا في المسرحية المقروءة •

الشرط الاول في المسرحية المقروءة هو أن تكون جيدة الحبكة •

والمسرحية المحبوكة هي المسرحية جيدة التصميم ، ذات الاحداث والشخصيات المتفقة تماما مع فكرة المسرحية وموضوعها ، وهي المسرحية التي يكون نمو الصراع فيها جيد التوقيت ، منطقي مع كل ما يحدث ، وكذلك هبوطه وخاتمته •

والشرط الاول في المسرحية الممثلة هو أن تكون مشحونة بالشخصيات والصراعات الحية ، التي تشغل بال المجتمع ، وتستغرق فكره وأحاسيسه ، والتي يراها ذات أهمية بالغة بالنسبة لحياته ومعيشته •

ولا يعني هذا أن المسرحية المعروضة على المنصة لا تتطلب جودة الحبكة ، أو أن المسرحية المقروءة لا تتطلب حيوية الشخصيات والصراع ، وانما يعني أن المؤلف الماهر في تصميم بناء المسرحية ، ثم يتناول صراعا هامشيا غير حيوي بالنسبة لمجتمعه ، وتنطق شخصياته بكلام المؤلف نفسه ، أقدر على اخراج مسرحية ناجحة في كتاب ، عن اخراج مسرحية ناجحة فوق منصة • وأن المؤلف الذي لا يجيد الحبكة والتصميم ، ولكنه يعبر تعبيرا صادقا عن المشكلات الحية لمجتمعه ، ويرسم الصراع الذي يحسه مواطنوه احساسا عميقا ، أقدر على تأليف مسرحية ناجحة فوق منصة ، عن تأليف مسرحية ناجحة في كتاب أو مجلة •

وهناك شروط ذات اهمية متساوية في كل من المسرحية المقروءة والمسرحية الممثلة ، **كالحوار الواضح** المركز ، والاسلوب الرقيق الجذاب ، الذي **يتمشى مع الشخصيات** المرسومة ، والذي **يخدم موضوع** المسرحية •

ومن الطبيعي أنه اذا اجتمعت في المسرحية الواحدة هذه الشروط كلها : جودة الحبكة ، وحيوية الصراع والشخصيات ، وسهولة قراءة الحوار ، وسهولة النطق به ، واستمتاع الاذن بسماعه •• الخ تكون من المسرحيات الناجحة في الكتاب وعلى المنصة ، ولكن هذا كله يحتاج الى عبقرية فذة ، تجمع بين عبقريتي توفيق الحكيم ونجيب الريحاني ، كتلك التي توصل اليها مؤلفون عالميون من أمثال تنسي وليامز الامريكي ، وجان أنوي الفرنسي ، فجمعوا بين النجاح الادبي ، والنجاح الجماهيري •

ومع صعوبة هذه الغاية فان الاستاذ نعمان عاشور وبعض زملائه قد حققوا فيها بعض النجاح ، ولو كانت الظروف قد سمحت لمن جاء بعدهم بمواصلة السير في الطريق ، لبلغنا درجة أكبر من التقدم نحو الغاية •

حافظ احمد امين

فولتير

محمد العزب موسى

فى عام ١٧٩١ بعد أن انتصرت الثورة الفرنسية وثبتت أقدامها أصدرت الجمعية الوطنية لنواب الشعب قراراً بنقل رفات الشاعر فولتير من قريته النائية «فيرنى» ليدفن فى مقابر العظماء والخالدين بباريس .

وتم نقل الرفات فى موكب رسمى وشعبى مهيب ، فقد حف رجال الحرس الوطنى بالعربة التى تحمل نعش فولتير والتى صممها خصيصاً لهذا الغرض أحد كبار الفنانين الفرنسيين ، ونقشت فى مقدمتها باحرف ذهبية عبارة تقول : «لقد علمنا أن نكون احراراً» وتبع العربة زهاء مائة ألف من المشيعين فى حين اكتظت الارصفة والشرفات والنوافذ بألوف أخرى .. لقد خرجت باريس عن بكرة أبيها لتستقبل رفات شاعر الحرية . وتوقفت العربة أمام دار الأوبرا ، وأمام قصر التويلرى ، ، وأمام المنزل الذى عاش فيه فولتير ، وهناك تقدمت فتاتان وقبلتا النعش بين هتافات الجماهير وبكائها ، كانتا ابنتى جان كالاس الذى رفع فولتير عنه الاضطهاد بعد وفاته ..

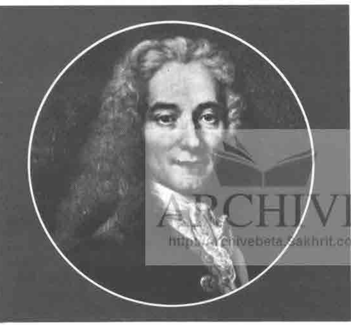
ثم سار النعش مرة أخرى إلى مسرح الكوميدى فرانسيز ، وهناك علقت على واجهة المسرح لافتتان كبيرتان ، تقول الأولى «لقد كتب أوديب فى السابعة عشرة» وتقول الثانية «وكتب ايرين فى الرابعة والثمانين» ..

وأخيراً وصل الموكب إلى مقابر العظماء أو «البانثيون» حيث أودع النعش الذى يحوى رفات فولتير فى قبر خاص .

ولكن هذا القبر لم يكن نهاية المطاف لعظام الشاعر الثائر ..

إذ بعد ٢٣ عاماً من هذه الأحداث ، وكانت أسرة البوربون الملكية قد عادت إلى عرش فرنسا ورفعوا عظام فولتير وكذلك عظام جان جاك روسو من مقابر العظماء فى البانثيون وحملوها سراً إلى حفرة خارج المدينة حيث أحرقوا عظام الرجلين بالجير الحى !! ..

ولم يكتشف هذا الانتقام الرخيص حتى عام ١٨٦٤ فى عهد الجمهورية الثالثة حين فتح القبران ووجدا خاليين ، وهكذا أثبت أنصار النظام القديم على أنهم يعتبرون فولتير وروسو من ألد أعدائهم ..



الشاعر فولتير الذى دفنوه فى مقابر العظماء .

فولتير .. والشهرة العريضة

تمتع فولتير بشهرة عريضة ونفوذ واسع سواء فى حياته أو بعد وفاته ، ومن الطريف أن نلاحظ أن شهرة فولتير ومكانته الفكرية والاجتماعية لم تكن نتيجة لأعماله الأدبية فى حد ذاتها . !

فالنقاد المتخصصون يقولون أن مسرحياته وأشعاره ومقالاته الفلسفية لم تكن تفضل كثيراً انتاج عشرات من معاصريه الذين طواهم النسيان ولم يعودوا معروفين إلا لطلبة الدراسات الأدبية أو المنقبين فى سجلات التاريخ .

وكتاباته التاريخية كانت غير موثقة ولا يعتمد عليها ، أما محاولاته البدائية فى ميدان العلوم فكانت ضحلة ولا قيمة لها على الاطلاق !

فمن أين إذن نال فولتير شهرته العريضة وأهميته الفكرية على السواء ؟

ان شهرة فولتير العريضة تعود إلى نضاله الذى لا هوادة فيه ضد الغباء البشرى ، وضيق الأفق والتعصب

- شـهرة "فولتير" لم تكن نتيجة لأعماله الأدبية بل لآرائـه ومواقفـه
- كان مناضلا ضد الغباء البشري .. والظلم .. والاضطهاد الاجتماعي
- لم يكن من طبقة النبلاء .. لكنه عاش حياته الطويلة بينهم



كانت مدام دى بومبادور من بين الشخصيات القوية التى أيدته فى قضية كالاس .

والظلم والقسوة والاضهاد الاجتماعى ، فهنا كان فولتير فارس الميدان المجلى ومن هنا يستحق ما نال من شهرة وخلود .

فقد عاش فولتير ٨٥ عاما من عام ١٦٩٤م إلى عام ١٧٧٩م كان فيها إن صح التعبير «ديكتاتورا للحرية» فى فرنسا وكل انحاء أوربا ، فكان بذلك يعبر أدق تعبير عن روح عصره وعقلانيته وشكه وكراهيته للتعصب ، وقد علم فولتير ثلاثة اجيال من الشباب كيف يكرهون والظلم والقسوة والاضطهاد الاجتماعى كل فكرة تقليدية وصلت إليهم بالتلقين عن ابائهم واجدادهم ، وكيف يرفضون اى شىء لا يتفق وشــهادة حواسهم وضمائرهم .

وبذلك فتح فولتير الباب على مصراعيه امام الثورة الفرنسية التى لم يعش ليشهدها ، وكان من اكبر رواد الحريات الفكرية الليبرالية التى اطلقتها الثورة من عقالها .

ومن الغريب ان فولتير مهد لهذا الطوفان دون أن يدرى ، فبالرغم من انه يعد من ابطال حرية الفكر والتعبير إلا انه هو نفسه لم يكن ثوريا ، اذ لم يكن يعرف شيئا عن علم السياسة واصول الحكم ، واذا كانت لديه فكرة عن الحكومة الانسانية المثالية فهى لا تعدو أن تكون فكرة افلاطون عن الملك الفليسوف أو الحاكم المستبد المستنير الذى تساعده نخبة من النبلاء المثقفين.

وبالرغم من أن فولتير لم يكن من طبقة النبلاء إلا انه عاش حياته الطويلة بين النبلاء والوزراء وزهرات المجتمع وكان يغشى أرقى الصالونات والمجتمعات المخملية بل انه اقام فترة فى قصر فرساى فى معية الملك لويس الخامس عشر والوزير ريشيليو ومدام دى بومبادور ، واقام فترة اخرى بقصر «سان سوسى» بلاط الملك فريدريك الاكبر ملك بروسيا فى بوتسدام ، وقد زار كاتب هذه السطور ذلك القصر الموجود حاليا فى أراضى المانيا الديمقراطية وشاهد غرفة فولتير التى تركت على حالها .

وكما لم يكن فولتير ثوريا لم يكن ايضا قوميا او وطنيا بل كان يعتبر ان القومية والوطنية مشاعر عاطفية لا تليق برجل الفكر ، وفي حين كان مونتسكيو وطنيا عظيما وكان روسو يبكي عندما يذكر

فولتير

مراتع طفولته في جنيف كان فولتير باردا تماما ازاء فكرة الوطن ، فهو لا يحمل اية مشاعر خاصة نحو وطنه فرنسا ، ولا يتعاطف مع ثورات الوطنيين في بولندا وامريكا ، وإنما يتفق مع الشاعر الالماني جوته في اعتبار الوطنية «علامة على هبوط الثقافة» ، ولا يعد نفسه مواطنا فرنسيا وإنما يعتبر نفسه مواطنا اوربيا عالميا .

كانديد .. اشهر الروايات

واشهر روايات فولتير هي «كانديد» ، وفيها يسخر من حالة التفاؤل الساذج والتواكل القدري التي يعيش فيها معاصروه ، فان «كانديد» الفتى الطيب الذي علمه الفليسوف «بانجلوس» أن يؤمن باله محب رحيم وبكمال الانسان ، لا يلبث ان يتعرض لسلسلة من المتاعب والمظالم وخيبات الأمل في رحلة عالمية يقوم بها ، ويجد كانديد ان الانسان في كل مكان مخلوق قاس جشع غبي ، ويصل في نهاية الامر إلى لشبونة وقت حدوث الزلزال فيها عام ١٧٥٥م ويشاهد بعينيه الأهوال التي صنعها فيصبح في أسى : «إذا كان هذا هو خير عالم ممكن اسوا عالم اذن؟» .

ويلتقي كانديد بالفيلسوف مارتن الذي ينظر إلى الأمور نظرة واقعية ويسأله كانديد عما إذا كان الناس دائما اشرارا قساة منافقين جشعين خونة أغبياء مثلما هم عليه اليوم؟ فيقول مارتن :

ـ ألا تعتقد ان الصقور كانت دائما ذات مناقير ومخالب تمزق بها فرائسها .

فيجيب : بلى

ـ حسنا .. إذا كانت الصقور لها نفس الطبيعة دائما فلماذا تتوقع من الانسان ان يغير طبائعه ؟

فيصيح كانديد :

ـ أوه .. ان هناك فارقا كبيرا بين الصقور والرجال ، فهؤلاء لهم ارادة حرة

ولكن كانديد يتعلم من زلزال لشبونة ان يرفض نظريات استاذه القديم بانجلوس (الذي يرمز للفكر التقليدي) ويأخذ بأفكار مارتن الواقعية .

ويقول له مارتن في النهاية :

ـ عليك ان تعمل ، ولا تتوقف عن العمل ، لا تضيع وقتا في تفكير لا طائل من ورائه ، هذه هي الوسيلة الوحيدة التي قد تجعل الحياة محتملة !

ويتنهد كانديد بعمق ، ويقبل نصيحة مارتن ، ويلقي جانبا بكل ما كان يعتقده من أفكار ونظريات .

وتنتهي الراوية بعبارة أصبحت شهيرة في الادب الفرنسي تقول «ولكن .. علينا ان نزرع حديقتنا» .

* * *

لم يكن زلزال لشبونة هو الحادث الوحيد الذي ترك اثرا عميقا في فكر فولتير ، وانما ثمة حوادث اخرى لعبت أدوارا بارزة في حياته ، وأثرت بشدة في مجرى تفكيره ..

فعندما كان فولتير شابا في الثانية والعشرين وجد نفسه ذات يوم نزيلا في سجن الباستيل بمقتضى «أمر اداري» وكان من المألوف في ذلك الحين استصدار مثل هذه الأوامر الادارية الاستبدادية او شراءها والزج بمقتضاها بأي انسان في الباستيل بدون اتهام او محاكمة .

وكانت التهمة التي سجن بسببها انه الف قصيدة معينة أغضبت بعض الكبراء ، ولما كان فولتير لم يؤلف هذه القصيدة وانما كان ضحية مؤامرة كيدية لذا فقد احس بمرارة الظلم والاضطهاد وتولدت لديه كراهية عميقة للقبض التعسفي ظلت تلازمه طوال عمره ، وبمجرد خروجه من السجن اخذ ينادي بانه لا ينبغي تجريم احد بدون محاكمة علنية وطبقا لقوانين معلنة ومنشورة والغاء نظام الاعتقال بمقتضى الأوامر الادارية . وبلغ من امتعاضه خلال هذه الفترة ان قرر تغيير لقبه من «روي» وهو اسم اسرته الاصلي وكان يوحي بمعنى ملك «روا» إلى فولتير ، وبهذا الاسم المستعار لمع سريعا في عالم الادب وما أن بلغ الثلاثين من العمر حتى اصبح نجما دائما في صالونات باريس الادبية .

ويبدو ان النبوغ المبكر ادار رأس فولتير ، وأوهمته مكانته الأدبية والاجتماعية بانه ند لأي عظيم في البلد وذات يوم كان فولتير يتحدث على سجيته في جلسة ضمت عددا من ابناء الطبقة الراقية ، فامتعض الفارس النبيل دي روهان من سلوكه وتساءل في استياء . من هذا الشاب الذي يتحدث بهذا الصوت المرتفع؟ فاجابه فولتير بانه شاعر واديب وهذا يجعله كفؤا لأي فرد من عائلة دي روهان النبيلة ، فاستشاط الفارس النبيل غضبا من هذا الرد ،



مونتسكيو



جان جاك روسو

● النبوغ المبكر أدار رأسه .. وأوهمته مكانته الأدبية أنه نِدٌّ لأيّ عظيم

وبعد أن انتهى الحفل وخرج فولتير إلى الطريق التف به تابعو النبيل واوسعوه ضرباً مبرحاً بينما كان الفارس دى روهان يشاهد المنظر من نافذة عربته ذات الستائر الحريرية ، فما كان من فولتير إلا أن تحداه للمبارزة ولكن الفارس عدّ ذلك بمثابة اهانة اخرى وقال ان النبلاء ـ خاصة من أسرة دى روهان ـ لا يبارزون من هم اقل منهم منزلة ، وبدلا من ذلك حصل دى روهان على «امر ادارى» اخر وزج بفولتير فى الباستيل مرة اخرى حيث قضى ستة اشهر !

وبعد اطلاق سراحه امرته السلطات بمغادرة باريس فقرر ان يسافر إلى انجلترا جزيرة الحريات كما كان يسميها ـ حيث مكث بها ثلاث سنوات .

نقطة التحول

كانت فترة النفى فى انجلترا نقطة تحول فى حياة فولتير .. فقد غادر فرنسا شاعراً وعاد إليها حكيما مفكرا .

ففى انجلترا تعرف فولتير على بولنجبروك وبيتر بورو وجوناثان سويفت ، ودرس بامعان أعمال نيوتن وهوبز ولوك وأعجب بالحرية النسبية التى يتمتع بها الكتاب الانجليز حيث لا يمكن الزج بهم فى السجون بامر من احد واعجب فولتير باحترام الانجليز للنجاح الشخصى ، فان أى رجل ناجح فى انجلترا سواء كان اديباً او تاجراً او سياسياً كان يلقى معاملة النبلاء ويوضع فى مصاف ابناء اعرق الاسر ، كما اعجب بالدستور الانجليزى وبالتسامح الدينى والفكرى وبجمعية الكويكرز التى نشأت عن طائفة المتطهرين الانجليز . ولكن اعجابه بالأدب الانجليزى كان ضئيلا حتى انه وصف درة شكسبير الخالدة «هاملت» بانها «مجرد مسرحية بربرية فجة وضعها كاتب متوحش مخمور» !

وعندما عاد فولتير إلى فرنسا ألف كتابه «رسائل عن الانجليز» مفضلا فيه الديمقراطية الانجليزية على الاتوقراطية الفرنسية ، ولكن البرلمان



جوته



شكسبير

الفرنسى امر باحراق الكتاب ، وعاش فولتير فترة من الوقت مهددا بدخول الباستيل مرة ثالثة .

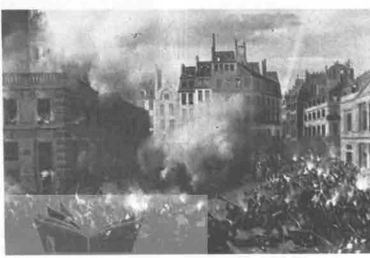
والواقع انه بالرغم من التصاق فولتير بالوسط الراقى إلا انه كان يضيق به ، فلم يكن هذا الوسط يغتفر لفولتير انه ليس نبيلا بالوراثة ، وعندما اقام فولتير فترة فى بلاط فرساى للاشراف على اخراج اوبرا «الاميرة دى نافار» التى قام بتاليفها لتمثل امام الملك ، كتب إلى ابنة أخته مدام دينس يشكو «الضيق حتى الموت من الاقامة فى القصر ومحادثة العظماء» ، وكانت قد خصصت له حجرة صغيرة بالقرب من ثكنات الحرس .

وذات مساء ـ وقد جلسوا يلعبون الورق فى احد صالونات القصر ـ سحب فولتير كرسياً وجلس خلف ـ المرأة التى كان معجبا بها ـ مدام دى شاتيليه التى اتخذت مكانها على مائدة اللعب الخاصة بالوزير الاول ريشيليو بين مجموعة من المع نجوم البلاط ، وكانت مدام دى شاتيليه مغرمة بلعب الورق فى حين كان فولتير لايطيقه ولا يستسيغ السهر إلى ساعة متاخرة من الليل والجلوس فى الغرف المتوترة الحارة ، كان فولتير يامل ان ينتهى اللعب سريعاً ولكن الخسارة لازمت صديقته التى اصرت على الاستمرار لتعويض بعض خسارتها التى تجاوزت الثمانين الف جنيه ، وضاق فولتير كثيراً فهمس فى اذنها قائلا لماذا تصرين على الاستمرار فى اللعب مع هذه العصابة من الغشاشين ؟ ولكن همسته سمعت بوضوح ، وظهرت علامات الاستياء على وجوه الحاضرين ، فتاكد فولتير انه فى طريقه إلى الباستيل بمقتضى «امر ادارى» للمرة الثالثة فانسحب على الفور مع مدام دى شاتيليه حيث جمعا حاجاتهما الخفيفة وتسللا من القصر خلسة فى الليل ، واختفيا فى منطقة اللورين بالقرب من الحدود ليتمكنا من الهرب إلى الأراضى الالمانية لدى حدوث اى طارىء .

وعاد فولتير بعد أن هدأت العاصفة ليقيم إلى نهاية حياته مع ابنة اخته مدام دينس بضيعته «فيرنى» حيث عاش السنوات الثلاثين الباقية من عمره فى هدوء واستقرار وكان يتردد عليه فى ضيعته مشاهير الادباء والشعراء والفنانين والسياسيين من جميع انحاء اوربا فينزلون فى ضيافته اياما واسابيع ، وكان هو سعيداً للغاية بكون منزله قد اصبح كعبة للمثقفين من كل انحاء أوربا .

وتحفل كتب التاريخ والأدب بالقضايا التى خاضها فولتير لنصرة المظلومين وكانها قضاياه الشخصية مما طير صيته فى كل انحاء اوربا كمحام عام عن

فولتير



الباستيل .

الحقوق الضائعة .

ولكننا هنا نكتفى بالاشارة إلى قضية واحدة لعلها اهم هذه القضايا واشهرها وهى قضية جان كالاس التى بدأت وقائعها فى تولوز عام ١٧٦٢ .

قضية جان كالاس

كانت تولوز مركزا للتعصب الكاثوليكى ضد البروتستنت منذ أيام مذبحة سان برثلميو التى أبيد فيها عشرات الالوف من البروتستنت وكان اهل تولوز يحتفلون بذكراها كل عام فى صخب شديد ، ولم يكن يسمح لأى مواطن بروتستنتى فى تولوز بان يتقلد وظيفة رسمية أو يزاول اية مهمة شريفة كالطب والمحاماة والتدريس ، ولايسمح لأى بروتستنتى مهما كانت مكانته الاجتماعية بان يستخدم خادماً كاثوليكيا .

فى هذا الجو من التعصب الشديد كانت تعيش اسرة جان كالاس البروتستينية ، ولما كان كالاس رجلا صبوراً عاقلا لذا فقد استطاع ان يعيش فى انسجام تام مع جيرانه الكاثوليك . وحتى عندما تحول احد ابنائه إلى الكاثوليكية لم يحاول كالاس أن يمنعه عن ذلك ولم يقطع علاقته به وانما أعلن على الملأ ان من حق ابنائه ان يختاروا الدين الذى يشاءون .

وكان لكالاس ابن آخر فى الثامنة والعشرين مريض بداء الكآبة وسوداوية المزاج والجميع يعلمون ذلك فقد كان منطويا دائما على نفسه وتعود أن يقوم بجولات طويلة وحيدا فى الغابات ، واذا تكلم مع احد فان موضوعه المفضل هو فضائل الانتحار .

وذات يوم عثر على هذا الابن مشنوقا فى احدى غرف المنزل ، ويبدو انه دخل الغرفة وخلع سترته ومعطفه وعلقهما بعناية ثم علق رقبته بعد ذلك فى حبل مدلى من السقف . وعندما اكتشف الأب هذه الكارثة التى وقعت اثناء وجود ضيوف كثيرين فى المنزل سلم امره لله وقبل عزاء الضيوف، وبصفته رجلا عاقلا رفض أن يلقى ابنه معاملة المنتحرين المعتادة وكانت العادة قد جرت فى تولوز على سحب جثة المنتحر عارية فى الطرقات ثم تعليقها على أسوار المدينة لتنهشها النسور .

ولكن أهل تولوز الذين اعماهم التعصب ضد البروتستينية كان لهم رأى اخر ، فقد رفضوا ان يقتنعوا بان ابن جان كالاس قد انتحر ، وصوروا الحادث بانه جريمة بشعة ارتكبها الأب ليمنع ابنه من التحول إلى الكاثوليكية ، وانتشر النبأ فى كل مكان بالمدينة بان كالاس البروتستنتى المتوحش المتعطش للدماء شنق ابنه فلذة كبده بمجرد ان ابدى الشاب رغبته فى العودة إلى الدين الصحيح ، واجتمع اهل المدينة وقرروا تشييع جنازة الابن المنتحر بكل هيبة واحترام .

وحاول البعض ان ينطقوا كلمة الحق وان يشهدوا ببراءة الأب ولكن اصداءهم ذهبت سدى فى هديـــر السخط على الأب الكافر القاسى ، ولم يحاول احد بما فى ذلك المحققون والقضاة ان يتساءل كيف امكن لشيخ ضعيف فى الثالثة والستين ان يشنق شابا قويا فى الثامنة والعشرين دون ان يبدى هذا اية علامة على المقاومة ؟ او كيف يمكن أن يقوم الأب بفعلته هذه النكراء فى الوقت الذى يمتلىء بيته بالضيوف والزوار وقد شاهدوا بانفسهم الابن المنتحر يدخل غرفته ويغلقها على نفسه ؟ او لماذا يقتل كالاس ابناً يريد التحول إلى الكاثوليكية فى حين ان احد ابنائه الاخرين قد سبق إلى ذلك بالفعل وعلاقته به على ما يرام ؟ فمثل هذه التفاصيل التافهة كانت مما لا يلتفت إليه احد ولا تغير من الأمر شيئاً .

والقت السلطات القبض على كالاس وأسرته وأودعوا السجن لمدة خمسة أشهر ، وأدخلت ابنتاه أحد الاديرة ، ثم بدأت اجراءات التحقيق مع الأب على نمط أساليب القرون الوسطى ، فاخذ إلى غرفة التعذيب وعلق فى السقف من معصميه «حتى أصبحت قدماه على ارتفاع متر فوق الأرض» . ثم وضع على آلة الشد «حتى استطالت اطرافه جميعا» ولكنه رفض ان يعترف بجريمة لم يرتكبها فارغم على ابتلاع كميات

● قال عن "هاملت": إنها مسرحية فِجّة وضعها كاتب متوحش !

كبيرة من الماء «حتى انتفخت بطنه كالبالون» ولكنه استمر على «عناد الشيطاني» فى رفض الاعتراف بالجريمة فامر قاضي التحقيق بنقله فى عربة المساجين إلى ساحة تنفيذ أحكام الأعدام

وهناك قام الجلاد بتكسير ذراعيه وساقيه فى عدة مواضع ، وبينما هو ملقى على الأرض بلا حراك كان القسس والمحققون يواصلون استجوابه وينهالون عليه باسئلتهم الحادة ، ولكن الرجل الفانى اصر بشجاعة خارقة على التمسك بانه برىء ، وهى كلمة اخذت ترددها شفتاه الواجفتان بلا انقطاع ، وأخيرا ضاق كبير القضاة بهذا الاصرار وتأكد انه أمام حالة ميئوس منها ، فاصدر الأمر بفصل رقبة كالاس عن جسده ! .

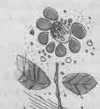
نشر الوثائق الأصلية

كان كالاس ابن ثالث فتى فتى صغير فى الخامسة عشرة من عمره ، استطاع أن ينجو من المصير الذى لقيته الأسرة ويهرب إلى سويسرا ، ومن هناك راح يتابع فولتير المشهور بالدفاع عن الحريات وحقوق الانسان برسائله المتكررة مطالبا اياه أن يبرىء اسم والده

وبدأ فولتير يبحث حالة جان كالاس بقدر كبير من التردد فهو أولا يستبعد أن يكون كل هؤلاء القضاة الاثنى عشر الذين حاكموا كالاس قد ارتكبوا جميعا هذا الظلم الفادح وهو ثانيا كان يعرف جيدا أن العاصفة سوف تثور إذا جرؤ على اتهام السلطات القضائية فى تولوز بارتكاب جريمة قتل لاسيما أن الضحية واحد من هؤلاء الهوجنوت الملاعين ، وهو ثالثا لا يتحمس كثيرا لهؤلاء الهوجوونوت بالفعل ليس لانه كاثوليكى مخلص أو متعصب ولكن لأنهم يناصبونه العداء ويقاطعون مسرحه . ولكن رغم كل هذه الموانع الوجيهة أقدم فولتير على بحث الحالة بموضوعية متجردة ، وسرعان ما تبين له الحق ، وأنه أمام حالة من الظلم الصارخ والاجرام الرهيب . وقد توصل فولتير إلى هذه النتيجة بعد أن قام بنفسه باستجواب عشرات الأشخاص ومستعينا بالخبرة القضائية لبعض أصدقائه المحامين . وبعد هذا البحث المتأنى نشر فولتير كتيبا بعنوان «الوثائق الأصلية بخصوص أسرة كالاس» ضم شهادات وخطابات شهود العيان فى الحادث ، ثم قام بحملة ضخمة لاثارة الرأى العام ضد الظلم وانعدام ضمانات التحقيق حتى شعرت كل أسرة فى فرنسا ـ بغض النظر عن عقائدها ومكانتها الاجتماعية ـ انها معرضة كى تكون ضحية لمثل هذا الظلم الذى تعرضت له أسرة كالاس ، وناشد فولتير كل شخص ان يكتب للسلطات مطالبا باعادة التحقيق فى قضية كالاس،كما كتب هو شخصيا مئات الرسائل إلى كل الشخصيات البارزة فى فرنسا وأوربا يطالبهم برفع أصواتهم إلى جانب العدل فى قضية كالاس ، وتمكن من الحصول على تأييد أشخاص أقوياء منهم الوزير ريشيليو ومدام دى بومبادور بالاضافة إلى عدة ملوك اجنبية لدول اجنبية مثل كاترين امبراطورة روسيا وجورج الثالث ملك انجلترا واغسطس الثالث ملك بولندا وأخيرا وبعد حملة مستمرة ثلاث سنوات لم يسمح فولتير لنفسه فيها بالابتسام على حد تعبيره أعلن مجلس باريس نقض الحكم السابق وتأكيد براءة كالاس ، واتهم دافيد دى بودريه حاكم تولوز بانه المسئول عن الظلم الذى حاق بالاسرة وعزل من منصبه وانتحر بعد ذلك وخرجت ابنتا كالاس من الدير واعيدتا إلى أمهما .. وهما اللتان تقدمتا لتقبيل نعش فولتير عندما حمل إلى باريس لدفنه فى مقابر العظماء بعد قيام الثورة الفرنسية .

محمد العزب موسى

دعوة للفرح !



إذا صادف وتحدث انسان ما عن الحزن ، ثم أضاف كلمة ولو صغيرة تصفه وتضيف عليه بعض الأحاسيس ، فان من حوله سيطلقون عليه صفة التشاؤم !؟

وإذا ما انفرجت أساريره لفرح واقع أو لفرح قادم وبوادر أمل مشرق ، وصفه الناس بالمتفائل !؟ (انا حزين اذن انا موجود) ! هذه العبارة باتت تنسحب على رأى الاغلبية من الناس ، ومع وقوع الاحزان وانفتاح نوافذها فان هذا أضاف اثباتا جديدا لاقوالهم ، صحيح ان هذا الزمن مليء بالحزن ، إنما يجب أن يظل للأمل المكان فى قلوبنا ، يجب أن نتوقع الفرح دائما ، ونعد لأيام كلها اشراق وحيوية !

مجرد رأى يقول بان يبدأ كل واحد منا بنفسه ، يرسي دعائم بناء جديد يضفى على حياته حيوية ونشاطا ، هذا البناء وليكن دعوة للفرح ، يبدأ بخطوات أولها ، ادراك خبايا النفوس وآمالها ، ثم رسم الطريق بثقة وأمل وتفاؤل ، وبالتالى نعطى اضاءة مشرقة فى ثنايا أعماقنا فنلتقى مع الآخرين كمجموعة كبرى تضيء بالفرح ومواقفه ، ومن ثم يصبح للحياة لونها الخاص المتميز !؟

فخري أبو السعود

التفاؤل.. والتشاؤم في الأدبين العربي والانجليزي

في هذا الباب تقدم الدوحة كل شهر اثراً من اثار تراثنا العربي المعاصر، وهو تراث غني مليء بالفكر والراى والثقافة والوعى والتجربة، ومن الضرورى اعادة هذا التراث، الى الضوء من جديد، وهذا مقال كتبه الشاعر الناقد المرحوم فخرى ابو السعود سنة ١٩٣٧ :

حب الحياة كائن فى طبيعة كل حى، والرضى بها والاطمئنان اليها والاقبال عليها شيمة جميع الأحياء مادامت بنياتهم صحيحة وحاجاتهم حاضرة، والمرح واللعب غايتهم الأخيرة مادامت غرائزهم مقضية اللبانات مشبعة المطالب. ولما كان الانسان يمتاز بالخيال والفكر فان له مطالب نفسية غير مطالب جسده الغريزية، يرضى ويرتاح اذا قضاها، ويقنط ويكتئب اذا اخطاها، وليس يشكو الحى او يالم، وليس يسخط الانسان او ينقم، إلا ان يغدو وهو سقيم الجسم او محروم الغريزة او ممنوع المطالب. فحب الحياة والاقبال عليها والرضى عنها هى الحال الطبيعية العادية. وذم الحياة والعزوف عنها والسخط عليها حال طارئة استثنائية، نتيجة لامتناع وسائلها وعدم مواتاة أسبابها.

فالمتشائمون قوم قست الحياة عليهم فحرمتهم قليلا او كثيراً مما حبت به سواهم، فثاروا عليها وكالوا لها قسوة بقسوة، وجزوها على حيفها بمرير الذم والتفنيد، فلسنا نرى المتشائمين الزارين على الحياة والأحياء رجلا صحيح البدن معتدل المزاج مجدوداً واثقاً بنفسه، بل كلهم ممن اكسبتهم الوراثة والنشأة اجساماً معتلة او أعصاباً مختلة، او الحت عليهم الخطوب فحطمت مساعيهم او اقتنعوا بعجزهم عن مصاولة الأحياء فى ميدان الحياة، فاورثهم ذلك حساً مرهفاً متيقظاً الى مواطن الشر والقسوة والنقص فى الحياة، فقعدوا يبرون لها وللمقبلين عليها السهام.

وفى الحياة مواطن للنقص لا تحصى يهتدى اليها الناقمون عليها بلا عناء، وهى تعرض مثالبها عليهم وتضع اصابعهم على نقائصها، بيد ان المتفائل المعافى الجسم الناجح المسعى قلما يلتفت الى تلك المساوىء، واذا التفت اليها فبرهة قصيرة ياسى فيها ويعتبر، ثم يعود الى ما كان فيه من استمراء لمتعات الحياة واجتلاء لمفاتنها، متعزيا بهذه المفاتن والمتعات عن تلك النقائص والمقابح، باذلا جهده لتوفير السعادة لنفسه ولمن حوله، ومحو ما يستطيع من اسباب الشقاء، على حين يظل المتشائم أمام ما يروعه من مساوىء الحياة قائماً، لا يريد ان يحول بصره الى سواها، بل يهول المساوىء كما يسول له حسه المرهف وخياله المغرق.

والادباء وغيرهم من رجال الفنون عادة ارهف حساً وابعد خيالا ممن عداهم، وما من اديب إلا تتجسم له مقابح الحياة جهمة مقززة فى فترة من فترات حياته. فتعافها نفسه، وينقم عليها وعلى نفسه وعلى الاحياء جميعاً، فاما من كان متفائلا بطبعه معتزاً بنفسه واثقاً من قدرته على خوض وغى الحياة، فسرعان ما يخرج من تلك الغمة وتنتصر فيه دفعة الحياة القاهرة فيلتفت الى ما بالحياة من مباهج بجانب ما بها من ماسى، ويطلب العزاء ببعض تلك عن بعض هذه، ويستن لنفسه مثلا أعلى جديداً فى الحياة، واما المتشائم المحس بوطأة الحياة الثقيلة على جسمه المتعب واعصابه المنهوكة ونفسه الخائرة، فيرفض كل عزاء ويابى كل ايمان ويسخر من كل مثل أعلى.

الأول يرضى والثانى يرفض

فالفرق الرئيسى بين المتفائل والمتشائم هو ان الاول يرضى العزاء والثانى يرفضه والأول يؤمن بمثل اعلى والثانى يابى الايمان بشىء، فالمتشائم يرفض الدين فيما يرفض، فالتشاؤم والدين ضدان لا يلتقيان، التشاؤم إزراء بالحياة وانكار لجدواها وتحقيـــر لأبنائها والدين يبشر بجدوى الحياة الصالحة ويبث العزاء فى النفوس عن آلام الحياة. وما كانت الديانات الأولى كديانات المصريين والفرس إلا محاولة حاول بها الانسان ان يفسر ما راعه من تحاور قوى الخير والشر فى الحياة، وان يتعزى بجانب الخير عن جانب الشر منها، والتشاؤم هو فقد الايمان بالحياة ورفض العزاء عن شرورها، فالتشاؤم والدين نقيضان، ولا ترى متشائماً إلا يسر الانكار للدين او يعلنه، ولا مؤمناً معتصماً بدينه قد هوى فى لهوات التشاؤم.

وليس فقد الايمان بالحياة ومثلها العليا – او التشاؤم – ينتهى بصاحبه فى كل حالة الى الاسراف فى رفضها واعتزالها، بل هو ربما ادى الى إسراف مناقض لهذا : إسراف فى انتهاب لذاتها القريبة واشباع الغرائز النهمة منها، تناسيا لمنغصاتها وتخلصا من لذعات

التفكير فى نقائصها ، فالمتشائمون المعتزلون للحياة الناقمون على الأحياء الساخرون من المجتمع ، والمتشائمون المستهترون باللذات المتهكمون بتقاليد المجتمع واخلاقه ، الخارجون على عرفه المصادمون له فى عقائده ، اولئك وهؤلاء سيان فى التشاؤم ورفض الايمان والعزاء النفسى ، او قل هما طرفان متباعدان بينهما الوسط الذى يحتله المتفائلون الراضون بالحياة على علاتها المتسلون بنعائمها عن باسائها فى قصد واعتدال ، المتشبثون ببعض مثلها العليا .

على أن المتشائمين انفسهم لا يخلون من عزاء وإن توهموا سوى ذلك ، واشدهم إمعاناً فى التشاؤم لا ينضب من نفسه حب الحياة ، وعزاء اكثرهم هو ذلك الفن الذى يزاولونه ، هو ادبهم الذى يودعونه فلسفتهم المتشائمة وخطراتهم القاتمة ، ففى كتابة افكارهم تلك راحة لنفوسهم المعذبة وشفاء لغرائزهم الظامئة ، ولولا انهم مايزالون يحبون الحياة فى صميم افئدتهم ، على رغم اعلانهم الحرب عليها لما لبثوا بساحتها ، ولو انهم يزدرونها ويزدرون أبناءها بقدر ما يزعمون ، لما حفلوا بتدوين آرائهم وعرض تلك الآراء على أبنائها ، ففلسفتهم المتشائمة تناقض نفسها بنفسها .

فاذا كانت فلسفة تصدق او تفسير للحياة يقبل ، فليست فلسفة المتشائمين بالتى ترجح وتفسر الحياة ، وليست رسالتهم التى يؤدونها الى الانسانية بالتى تقبل ، لأن فلسفتهم كما تقدم تناقض نفسها ، وتناقض طبيعة الحياة التى بثت حبها فى جبلات ابنائها ، ومهدت من متعاتها ما يرجح شوائبها ، وزودت بنيها بالسلاح اللازم لهيجائها . ليست فلسفة المتشائمين بالمقبولة فى جملتها وان احتوت فى اطوائها من صائب النظرات وبديع اللفتات وآثار الفكاهة والسخر والوصف والتحليل ما يمتاز به أصحاب ذلك المزاج ، وما يهديهم اليه حسهم المرهف المستوفز وخيالهم المتيقظ المسترسل .

فلسفاتهم متماثلة

وفلسفات المتشائمين فى مختلف الأمم والاجيال متماثلة ، ومواضيعهم متقاربة : إسهاب فى شرح مظاهر تنازع البقاء ، واطناب فى ذكر لؤم الطباع فى الأحياء وفى الانسان خاصة ، واصرار على تذكر الموت وكرور الزمن وحلول البلى ، وتهويل لضعف الانسان ازاء جبروت القدر ، وتصوير لنفاق المجتمع وجور انظمته ، وتحقير للمراة وموازنة بينها وبين الحياة ، وآراؤهم فى كل ذلك مردها الى اضطراب تكوينهم وتزعزع ثقتهم وحرمانهـم من شتى مطالب الحياة ، ففلسفة المتشائمين لا تدلنا على حقائق الحياة والكون ، بمقدار ما تدلنا على نفوس أصحابها وامزجتهم وعوامل تكوين اذهانهم .

فهم يجزعون لمراى تنازع البقاء لاحساسهم بانهم عزل ضعفاء ، وينحون على المجتمع بقوارع الكلم لانهم عاجزون عن الانغمار فيه ونيل الحظوة والصدارة به ، ويذكرون الناس بالموت والدثور لأن الناس يتمتعون دونهم بالطيبات ، فهم يسلون انفسهم بتكرار القول بان تلك الطيبات عما قليل ذاهبه ، ويخوفون الناس بجبروت القدر لان غيرهم يتمتعون بالقوة والاقتدار فهم يلوحون امام اعينهم بالقدر الذى يتلاعب بهم ويضحك من تدبيرهم ، ويرمون المراة بالغدر والتقلب لأنها تفى لغيرهم ، ويجاهرونها بازدرائهم إياها لأنهم يسرون الاحساس بازدرائها اياهم واعراضها عنهم .

ولما كان مرد المزاج السوداوى المتشائم الى عوامل فردية محض ، من وراثة او بيئة ، يظهر المتشائمون فى شتى الأمم والاجيال متفرقين لا اتصال بينهم من مدرسة او مذهب ، على ان مسحة التشاؤم تطغى عادة فى آداب عصور الادبار السياسى والضيق الاقتصادى والفوضى الخلقية ، فيسود الشك والرفض والتهكم المرير ، كما كان الشان فى الادب الروسى تحت الحكم القيصرى ، كما أن صبغة الايمان والبشر والتفاؤل فى عصور الرخاء والنجاح والمغامرة وهى الصبغة التى سادت الأدب الاغريقى فى عصره الذهبى عقب الانتصار على الفرس . فلما تلا ذلك عهد الادبار ظهر السخر والشك ومذاهب الرفض والاعتزال من جهة ، ومذاهب الاستهتار والاباحية من جهة اخرى .

ولعل أشد أدباء الانجليزية نكيراً على الانسان وتهكما بمساعيه وتهوينا لشانه هو جوناثان سويفت ، وهو اديب نشا نشاة ضنكة مقلقلة ، ولازمه داء فى اذنه جشمه آلاماً مبرحة ومازال حتى طغى على عقله فى أواخر حياته ، وحالف الاخفاق مطامحه السياسية وصاحب النحس غرامه ، فلم يبق له إلا الانزواء فى عزلته ببعض بلدان ارلنده ، وإلا ان يقول لبعض اصحابه انه يمقت ذلك الحيوان المسمى الانسان من أعماق قلبه وما ذاك إلا لما كابد من عنت الظروف والأمراض ولدد الخصومات وقصص الاخفاق ، وهو الذى كان فيما عدا ذلك من اوفى الناس عهداً واصفاهم وداً ، وهو الذى عطف على الارلنديين ودافع عنهم على حين ناصبهم من قبل ذلك مواطنه وزميله فى حرفة الادب إدموند سبنسر . وكتاب سويفت «رحلات جليفر» على ما به من سلاسة وفكاهة وبراعة تصوير ، مملوء بالسخر المرير من الانسانية .

وزعيم التشاؤم فى العصر الحديث توماس هاردى ، الذى كانت اشباح الموت والبلى والقدر لا تبرح ناظريه ، وكان لا يمل تكرار موضوعه الوحيد فى شتى قصائده وقصصه : موضوع ضعف الانسان وقلة حيلته وعبث مسعاه ، حيال ضربات القدر الأعمى ، ودوران رحى الزمن الطحون ، فكان دائماً يتفنن فى اختراع المواقف المفجعة والظروف المنحوسة ، يتخذ مشاهدها فى المقابر والبرارى وفى الأيام الداجنة الكالحة ، ويطيف اشخاص روايته بين الموتى ، وينطق الموتى فى اشعاره . ويغالى فى تصوير فجائع الحب : بين الغر والسلو والنسيان والغيرة وجفاف الجمال ، فاشعاره لا تكاد تنتقل بك من غمة إلا الى غمة ولا من محنة للانسان إلا الى انتصار وحشى للاقدار عليه .

ومعاصره أو خليفته فى هذه النظرة المتشائمة الى نصيب الانسانية فى الحياة هو هاوسمان ، الذى كان يحاكيه كثيراً فى اختيار مواضيعه وطريقة معالجتها واجرائه الحديث فيها بين الأحياء والأموات . ومن نماذج ذلك الضرب من شعر التشاؤم قوله : «اما برحت خيلى تحرث الأرض كعهدى بها ، إذ انا حى اسوقها واسمع صليل شكائمها – بلى ماتزال تنقل خطاها وشكائمها تصل ، ولم يتغير شىء برغم انك قد رقدت تحت الأرض التى كنت من قبل تحرثها – او ماتزال الكرة تترامى ويتسابق خلفها الرفاق على شاطىء النهر ، وان اك لا أستطيع اليوم نهوضاً ؟ – نعم تترامى الكرة بينهم وكلهم باذل فى اللعب جهده ، وذلك مرماهم قائماً وحارسه لا ينى – وفتاتى التى شق على

التفاؤل.. والتشاؤم

في الأدبين العربي والانجليزي



فراقها ، اسئمت البكاء واستطابت طعم الغمض ؟ نعم هى ناعمة فى خدرها ، فنم انت وقر – وهل صديقى صحيح معافى وقد نحلت انا وبليت ؟ – وهل وجد بعد فراشى فراشا وثيرا ؟ أجل انا يا صاح لي ضجعة كاروح ما يشتهيه الفتى :
سلى حبيبة رجل قضى ، ولا تسالنى حبيبة من» .

ومن امثلة الوراثة المختلقة والمزاج السوداوى فى تاريخ الأدب الانجليزى كوبر وبيرون كلاهما كان مضطرب التكوين اضطرابا أدى الى ظهور الغرابة فى مسلكيهما وادبيهما . على انهما رغم اتفاقهما فى ذلك كانا يختلفان ثقة بالنفس : كان اولهما ضعيفا متناهيا فى الخجل وكان الثانى مفرطا فى الزهو والاعتداد بمواهبه ونسبه ، فقنع كوبر بحياة العزلة ولم يعلن على الناس حربا وإن ظهرت اعراض التشاؤم فى كثير من شعره ، اما بيرون فصادم المجتمع بمسلكه الخلقى كما هاجمه فى شعره ، ولما لفظه المجتمع الانجليزى زاد عتوا وجراة ، وتحديا لخصومه وتشفيا من مؤيدى النظم الاجتماعية التى كان يمقتها . هذا فضلا عما حفلت به آثاره عامة من تصوير لضعف الانسان وقصر مدته وعبث جهوده .



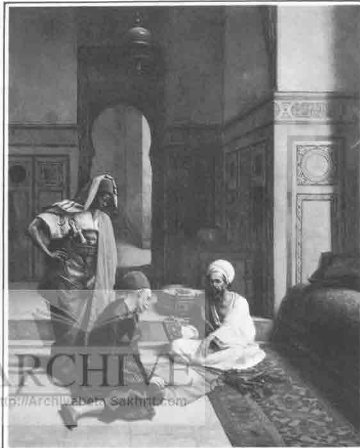
المعرى متشائما

ورمز التشاؤم فى العربية هو ولا شك المعرى ، الذى اجتمع عليه من اسباب التشاؤم ما لم يجتمع على غيره : من اعتلال التكوين الجسمى ، واختلال الصحة ، والحرمان من شتى اللذات ، واضطراب العصر الذى عاش فيه ، فجاءت فلسفته مثالا نادرا لفلسفات المفكرين المتشائمين : حقر الانسان ، وأنذر ببطش القدر ، وذكر بالموت ، وشك فى الدين ، وازرى بالمرأة ، وندد بالمجتمع . وفند الحكام ، وأطنب فى تنازع البقاء ، ورثى مع ذلك الانسان ورأف بالحيوان ، وضاق بنفسه كما ضاق بغيره وحرم على نفسه اللذات وعاش نباتيا ومات عزبا لم يجن على احد وعبر عن نظراته النافذة الحكيمة التى سبق بها عصره ، تعبيرا شعريا عربيا جزلا ممتعا ، وكان صادقا صريحا : اعترف بانه لم يختر تلك الحياة الضنكة إلا لأن سواها قد شاه فهو القائل .

ولم ارغب عن اللـــــذات إلا
لان خيارهـــا عنى خنســـــه

فقد كان لدقة حسه شديد الحرص على كرامته ، شديد التوقى لمواطن السخر والزراية ، فكان ذلك حائلا بينه وبين ما تصبو اليه غرائزه من متعات ، وكانت حياته معركة طويلة قائمة داخل نفسه ، بين الرغبة فى الاستمتاع بطيبات الحياة والاصرار على رفضها لاستعصاء سبلها على الكفيف المجدور ، الا ان يبيح كرامته ويهدر حياءه وما اطار خياله الى طيبات الفردوس إلا حرمانه من طيبات الحياة وطول نزوع نفسه اليها . وما كان وصفه لمتعات الخلد إلا إرضاء لشهواته المخمدة تحت رماد التوقر والتقشف . وما كان تاليفه رسالة الغفران او اتخاذه الخلد مسرحا لها إلا تنفيسا عن مكتوم نوازعه ، وبفضل هذه النوازع المكبوتة خلف المعرى الكفيف اثرا من آثار الخيال فريدا فى اللغة . كان المبصرون من ادباء العربية منصرفين عن مثله .

والمعرى نسيج وحده فى التشاؤم فى العربية ، يرفع راية الرفض للحياة والاعتزال لها والازراء عليها ، ويمارس فى حياته ما ينادى به فى اشعاره ، ولا ينضوى تحت تلك الراية سواه : إنما كانت غالبية المتشائمين فى العربية الذين نبذوا الايمان ورفضوا العزاء وهانت عليهم الحياة فلم يجدوها اهلا لسعى ولا لحفاوة ، هم طائفة من المتشائمين المستهترين ، الذين ظهروا حين طغت تيارات الترف والمادية



قارىء الحظ .. لوحة عالمية من الشرق

والشكوك ، على المجتمع والعقائد فى العهد العباسى كبشار وأصحابه ، وابى نواس واترابه ، أولئك ساقهم تفكيرهم الى تصغير الحياة وما يقدس الناس من مثلها العليا ، فلم ينبذوا الحياة جملة بل راحوا يطفئون غليل نفوسهم المتحرقة فى لذات الحياة الدنيا ، ويشبعون غرائزهم الحيوانية متهكمين بما عدا ذلك مما يسميه المجتمع فضائل وعظائم وعقائد . وابو نواس هو القائل :

وما هناتك الملاهـــــــي بمثل
إماتة مجـــــــد وإحياء عـــار

والقائل :

قلت والكاس على كفى تهوى لا لتثامى
انا لا اعرف ذاك اليوم فى ذاك الزحام

وإنما حرضهم على سلوك تلك السبيل ما كان يسود عصرهم من حرية تقرب من الاباحية ، وما كان يسود المجتمع العربى دائماً من صراحة لا نظير لها فى المجتمع الانجليزى ، حيث التقاليد الاجتماعية شديدة الصرامة ، فعلى حين كان يتاتى لبشار وابى نواس واضرابهما ان يباشروا وهم معافون حياة الاستهتار التى باشروها ، ويتهكموا بعقائد غيرهم ما شاءوا ، ويترنموا بمخازيهم شعراً ، نرى بيرون لم يجر الى مداهم يلفظ من المجتمع الانجليزى الذي بجله من قبل لشعره وحسبه .

وحياة المعرى وبشار موضع لموازنة ممتعة : كلاهما عاش كفيفا ، اى مكفوفا الى مدى بعيد عن كثير من مسرات الحياة ومتعات المبصرين ، فخلقت فيهما تلك الحال وحشة وشذوذا وزراية على الحياة والاحياء ، ولكن المعرى كان دقيق الحس مرهف الاعصاب ضعيف البنية ، فنفض يده من الحياة ونجا بالسلامة والكرامة ، وبشار كان مفرط الجسد متنزى الحيوانية مضطرم الشهوة فاكب على اشباع شهواته مستهدفاً لزراية الآخرين وتهكمهم ، وشهر عليهم سوط لسانه المقذع ، كما يشرع السبع المنهمك فى تمزيق فريسته مخلبه لذب غيره من السباع عنها .

● ● ●

تلك مظاهر التشاؤم ، او فقه الايمان بسمو الحياة والعزاء النفسى عن شوائبها ، فى الأدبين العربى والانجليزى ، وفيما عدا ذلك كان أقطاب الأدبين — لما يتدفق فى شرايينهم وشرايين أمتهم من دفعة الحياة — متفائلين مذ بثين باهداب المثل العليا التى ترضاها لهم طبائعهم وبيئاتهم ، يغبر لهم وجه الحياة حينا فيبدو اثر ذلك عابثا فى آثارهم ، ثم يجنحون الى التعزى والايمان : فملتون فى الانجليزية مثلا على فرط ما لاقى من خذلان فى حياتيه الفردية والعامة وما حل به من فقدان البصر ، ظل وطيد الايمان متطلباً للعزاء الى منتهى حياته ، وكتب ملاحمه فى اواخر ايامه طلباً للترفيه عن نفسه ولكى «يبرر للناس اعمال الله» ، والمتنبى فى العربية رغم ما اصاب من اخفاق متوال فى مطلب حياته الأسمى ، الذى «جل أن يسمى» ورغم ما كابد من حسد وكيد وعداوة ، وما صب على الناس من قوارص كلمه ، ظل ابداً «من نفسه الكبيرة فى جيش وفى كبرياء ذى سلطان» متدرعاً متاهباً للجلاد .

وان يكن هناك مجال للمقابلة ، فالأدب العربى لا شك اكثر اصطباغاً بالتفاؤل والايمان على كثرة ما به من الشكوى ، والأدب الانجليزى احفل منه بآثار التشاؤم ، ولاسيما فى العصور الحديثة التى زادت الحياة فيها تعقيداً ووطاة ، وإنما يبث ذلك التفاؤل فى المجتمع والأدب العربيين امران : صحو الجو الذى يعدل المزاج ويبعث البشر والطلاقة والدين الاسلامى الذى يبث الايمان فى النفوس ويحض على اجتلاء متعات الحياة التى احل الله ، والذى هو كما تقدم القول اكثر تغلغلا فى سرائر معتنقيه ، وشمولا لجوانب حياتهم من غيره من الأديان .

فخرى ابو السعود

د. عبد المنعم عاشور

الصداع النفسي

هذا المرض العصري


قلة فرص الراحة والاسترخاء من أسباب الصداع النفسي


توتر مفاجىء

هذا الاحساس المزعج الذى يداهمك ويتم التعبير عنه من خلال الجهاز العصبى والنفسى ، ما هى حكايته وأسبابه النفسية ، وما نوع البيئة التى ينتشر فيها هذا المرض ، وهل هو مرض قـديم أم مرض معـاصر ، كل ذلك وغيره يجعلنا مطالبين بان نجيب على كل الاسئلة التى تدور حول الصداع النفسى كمرض من أهم أمراض العصر ..

وبداية فان الرأس او الدماغ ــ كما نعرف ــ منطقة متسعة من الجسم ، تحتوى على اعضاء كثيرة مثل العيون والآذان والمخ وعظام الجمجمة وعضلات الوجه ، إلا أنه من المصطلح أن نسمى كل الم يصدر من هذه الأعضاء بالصداع .. وقد اكتشف الانسان بعض أسباب هذا الصداع فى اعراض ظاهرة مثل الضرس المتآكل أو قصر النظر او التهاب الجيوب الأنفية .. وفى مثل هذه الأعراض لا يسبب الصداع مشكلة لأنه يختفى بعلاج هذه الأسباب الظاهرة ..

اما إذا اصيب الانسان بصداع لا يوجد له سبب ظاهر ، فان الطبيب يصنف هذا الصداع تحت اسم : الصداع النفسى !

ولكن هل معنى ذلك ان الصداع النفسى شكوى وهمية بلا اساس ؟ .. وهل من حقنا ان نطلق على المصاب بالصداع النفسى صفة الكذب او الخداع او التمارض ؟ .. وكيف نعالج صداعا لا نعرف اسبابه ؟ ..

الواقع أن الطب النفسى والعصبى تصدى للاجابة على هذه الأسئلة مستخدماً المناهج العلمية السليمة وتوصل الى بعض النتائج التى يقول بعضها ان : هناك اعضاء فى الدماغ ، وبالذات فى عضلات الرقبة والجبهة والوجه ، تعتبر مصدراً للصداع نتيجة لتوترها الشديد لمدة طويلة ، وهذه العضلات تعتبر من ادوات التعبير الوجدانى ولذلك فهى دائمة التوتر ، كما ان توتر هذه العضلات مسئول عن الصداع الذى يحس به كل منا بعد فترة من الانفعال الشديد ، وغالباً ما يتبدد هذا الصداع بعد فترة من الاسترخاء او النوم ..

وقد يصبح هذا النوع الناشىء عن توتر العضلات مشكلة فى الأشخاص الدائمى الانفعال ، الذين لا يجدون وقتا للاسترخاء وتبديد التوتر .. ومن الواضح أن هؤلاء الناس يتزايدون بصفة مستمرة فى مجتمعاتنا المعاصرة التى تتسم بالانفعال الدائم واليقظة العالية وقلة فرص الراحة والاسترخاء !

وعندما حل الطب النفسى لغز هذه المجموعة من اسباب الصداع ، امكن للأطباء مساعدة المرضى بهذا النوع من الصداع بطرق مختلفة ، تشترك جميعها فى تنظيم توتر العضلات .. فعلى المستوى الوقائى ينصح الطب النفسى الناس بان يسمحوا للتوتر العضلى والوجدانى الذى يتراكم باستمرار ، بفرصة دورية للتبدد والاسترخاء ، ويستعان فى ذلك بتمرينات معينة للاسترخاء والهروب المنتظم الى المناطق الهادئة والخضراء والتأمل الروحى والصلوات ..

وعلى المستوى العلاجى يمكن التغلب بسرعة على هذا الصداع ببعض العقاقير وبعض التمرينات والتدليك والعلاج النفسى الذى يرفع من قدرة المريض على احتمال الألم .

- المصابون بالصداع النفسي .. هل هم كاذبون أو متمارضون ؟!
- ثورة حديثة في طب الصداع .. بعد أن اكتشف الأطباء كيمياء الألم
- هناك درجة من السيطرة يمكن أن يمارسها الإنسان ضد الصداع
- تدريب مرضى الصداع لإزالة الألم .. بالطرق النفسية



هموم تؤدي الى القلق والحرمان من النوم

الهرمونات العصبية

وقد اكتشف الطب مجموعة اخرى من الصداع تنشأ من تقلص وتمدد مفاجىء ووقتى وعابر بشرايين الدماغ ، واتضح أن هذا التمدد العابر ما هو إلا نتيجة لارتفاع بعض الهرمونات العصبية بالدم وهو يختفى دائماً بعد فترة استهلاك هذه الهرمونات ..

وقد توصل الطب الى عقاقير مضادة لعمل هذه الهرمونات ، تفسد مفعولها، وتجهض نوبات الصداع الناشىء عنها .

كما أمكن للطبيب أن يحدد المريض بهذا النوع من الصداع ، وبالتالى يصف له الادوية المناسبة ، وبذلك تم حل لغز مجموعة اخرى من مرضى الصداع النفسى الغامض .

الأفيونات الطبيعية

وعندما تكشفت للطب حديثاً اسرار كيمياء الألم حدثت ثورة جديدة فى طب الصداع ، فمثلا ثبت وجود ما يسمى «بالأفيون الطبيعى» فى الجهاز العصبى للانسان والحيوان .. والأفيون الطبيعى مادة مسئولة عن حماية الانسان من الآلام والصداع ، وقد رزق الله بها عباده من الحيوان والبشر بدرجات متفاوتة ، واتضح إنها موجودة بكثرة فى الجمل والفيل ولذلك عرف عنهما الاحتمال الشديد للالم ، اما البشر فانهم يختلفون - فيما بينهم - فى درجة ما حباهم الله به من الأفيون الطبيعى ، فبعضهم احتماله مرتفع للالم لارتفاع نسبة ما يحتويه جهازه العصبى من الأفيونات الطبيعية ، وقليل من الناس حرمهم الله من كمية معقولة من الأفيون الطبيعى فاصبحوا نهباً للآلام ..

وإذا ما تأملنا هذه الفئة القليلة لوجدنا فيها ظاهرة واضحة تتلخص فى أن الاحساسات العادية بالألم لديها تكون مضخمة ومكبرة وتتجاوز حدود الاحتمال ، ولذلك فانه يجرى البحث اليوم على قدم وساق لحل مشكلة هذه الأقلية بتنشيط القليل لديهم من الأفيونات الطبيعية .. وفى اتجاه آخر يحاول الطب أن يكتشف لهم عقاقير بديلة تقترب في تركيبها من الأفيون الطبيعى .

بوابات الألم

وفى تقدم آخر لفهم طبيعة عمليات الشعور بالألم والصداع وضع الاطباء ايديهم على مفتاح جديد .. فعند عبور الألم من مصادره الأولية فى أعضاء الجسم الى المراكز العليا فى الجهاز العصبى يمر الألم او الصداع ببوابات متعددة .. وهذه البوابات تسمح باقدار متفاوتة من الألم حسب اتساعها ، فاذا كانت مغلقة خف الصداع او الألم ، وإذا كانت مفتوحة على مصراعيها زاد الصداع !

ويتحكم فى فتح هذه البوابات وغلقها أنظمة مراقبة وتقدير داخلية تراعى مصلحة الانسان ككل ، فمثلا نفتح بوابات الألم على مصاريعها للألم الذى يهدد حياة الانسان - مثل الذبحة الصدرية - أو التى تتطلب اجراء سريعاً !

وهناك درجة من السيطرة يمكن ان يمارسها الانسان على بوابات الألم لديه ، ومن الأمثلة الصارخة التى يمكننا ان نقدمها فى ذلك المجال ، ما يقوم به فقراء الهنود عند المشى على المسامير ، وما يقوم به الجنود فى المعارك ، وكل انسان طبيعى فى لحظات معينة .

وقد حاول الأطباء النفسيون ونجحوا فى تدريب مرضى الصداع وغيره من الآلام عن طريق التحكم فى بوابات الألم لديهم بطرق نفسية واصبح ذلك التحكم من المجالات المفتوحة والمتسعة للسيطرة على الصداع النفسى .

الحرمان من النوم

والواقع اننى التقيت فى حياتى بأمثلة ونماذج عديدة لمرضى الصداع النفسى ..

وجاءنى رجل فى الاربعين من عمره ،

الصداع النفسي

هذا المرض العصري



لوحة عالمية تصور فيها الفنان مشكلة الصداع النفسي في هذا العصر المليء بالصخب .

متعدد المواهب والوظائف ، ويومه عبارة عن طاقة مستمرة من العمل ، فهو فى الصباح محام يتنقل بين المحاكم ، وبعد الظهر كاتب مبدع خلاق ، وفى المساء فنان فى التليفزيون .. قال لي ان الصداع عنده يبدأ فى الثامنة مساء ، ويزداد بالتدريج الى ان يحرمه من النوم الطبيعى عند منتصف الليل ، فى وقت يكون فيه مجهداً واشد حاجة الى الراحة بعد أن اجهد ذهنه وخمدت حواسه وتقلصت عضلاته !

وبالطبع ، كان من السهل عليه أن يفهم مصدر صداعه ، ولكن كان من الصعب عليه أن يزيل الأسباب .. فانغماسه الدائم فى العمل المستمر المتوتر اصبح يعكس هذا النسيج المتشابك من الظروف النفسية والاجتماعية ..

وقد طلب منى أن أصف له عقاراً يفك هذا التوتر كل مساء لكى يذيب الصداع ويتمكن من النوم ، فافهمته خطورة هذا الحل السائج الناقص ، لانه من الخطورة استعمال عقار مزيل للتوتر بصفة دائمة ، فهناك شبح الادمان والاعتماد على العقاقير ، كما أفهمته أن الصداع فى حالته جرس إنذار ينبه الى ان اجهزته محملة فوق طاقتها بالتوتر المستمر .

وكان من الطبيعى أن يستمع لصوت الحكمة وأن يخفف من احماله قبل أن ينهار تحت ثقلها !

من هنا بدا الحوار ياخذ طريقاً سليماً ادى به الى إعادة تنظيم حياته النفسية والاجتماعية ، وزال الصداع .

والحالة الثانية التى التقيت بها كانت لسيدة فى السادسة والعشرين ، رقيقة كالنسيم ، زوجة لرجل ناجح ، طيبة القلب وأم لطفلين ، ولا ينقصها شيء على حد تعبيرها .. قالت لي بان الصداع يفاجئها فى عز النوم ، فتهب مستيقظة تمسك راسها بكلتا يديها وينتابها غثيان وتفرغ ما فى جوفها مرات ومرات ، وتطفىء الأنوار وتسدل الستائر وتنكمش فى سريرها ولا يخف الصداع ، تبتلع كميات هائلة من الاسبرين والمسكنات المنزلية بلا ادنى فائدة ، وفجأة يختفى الصداع كما بدا بلا مقدمات بعد أن يكون قد أنهك قواها واضاع من حياتها يوماً او بضع يوم ، وتتكرر الماساة عدة مرات فى الشهر وهى بلا حول ولا قوة ولا تدرى متى يفاجئها الصداع ولا اين :

وقد فسدت حياتها الاجتماعية فكم من وليمة انسحبت منها فجاة ، وكم من سهرة افسدها الصداع عليها وعلى



المعاناة من الاضطراب الوجدانى .

اسرتها واصدقائها !

لاحظت ان بعض الأطعمة والعطور والزهور الطبيعية تجلب لها هذا الصداع فاجتنبتها .. لاحظت كذلك ان بعض الاخبار المزعجة تاتى لها بنوبة الصداع .. ولكنها عجزت تماماً أن تحمى نفسها من معظم نوبات الصداع وعاشت دائماً مهددة بهذه النوبات .

سالتها فاعترفت بان هذه النوبات من الصداع عاودتها لفترة وهى فى الرابعة عشرة من عمرها ، واختفت عدة سنوات لتعود مرة اخرى منذ عامين .

وبعد فحص باطنى وعصبى ونفسى تبينت ان صداعها من النوع الهرمونى ، وامكن وصف العقاقير المناسبة ، اضافة الى المساندة النفسية لكى تقبل التعايش مع احتمالات الصداع المفاجىء .

الصداع المستمر

ومن بين الحالات التى التقيت بها كذلك ، سيدة فى الخامسة والاربعين من عمرها ريفية ، انجبت عشرة من الأولاد ، وكانت حياتها بلا الم حتى شهور قليلة حيث اصيبت بصداع مستمر وآلام كثيرة فى صدرها وظهرها وبطنها ، الصداع تصفه بانه عميق كسيخ نار ينخر فى مخها . والآلام لها طعم درامى كمسامير وقطع من الزجاج وأمواس تسير تحت جلدها وتحطم عظامها .. اجريت لها اكثر من عملية جراحية بحثاً عن مصادر هذه الآلام بلا فائدة ، وتعرضت لانواع من الفحص بالاشعة على كل اجزاء جسمها بدون اكتشاف سبب الالم .. انكرت صراحة انها تعانى من اضطراب وجدانى او نفسى .. لم يحدث فى حياتها الاجتماعية ازمات او محن قريبة بل على العكس بدات مسئولياتها تقل فى هذا السن .

لم تكن هذه السيدة بطبيعة ثقافتها مهيئة لان تفهم طبيعة نظرية بوابات الالم ، ولم يكن هناك مبرر لاضاعة الوقت فى محاولة شرحها لها .. ولكننى استخدمت العلاج النفسى المناسب لرفع درجة احتمالها للألم ، ودربتها على قفل بوابات الالم لديها بالدرجة المناسبة .

كان علاجاً طويلاً ولكنه على اساس علمى ، وهى الآن تشكو من الصداع احياناً ومن الآلام احياناً اخرى ولكنها لم تعد تعتقد بحاجتها الى عمليات جراحية اخرى !

وهكذا نرى ان الصداع النفسى فى حالاته المختلفة وما يسببه من مشاكل وازمات اصبح من اهم أمراض العصر التى يعانى منها الانسان فى كل مكان !

د. عبد المنعم عاشور

معروف رفيق

رسائل غير عادية

إلى القلق



اكتب اليك ايها القلق ، لا خوفاً منك ، لانى اعرف حقيقتك ، ولا تزلفاً اليك ، لانك دون هذه المكانة ..ولكنني - ويا للعجب - اكتب اليك ، لانني اهواك واحبك ..

أراك او احاد اسمعك تقهقه .. فقد استطعت ان تنتصر على الكثيرين .. فاعلم إذن ، أن معظم ضحاياك ، ممن يستسلمون فى معارك الحياة بسهولة .. ولو اعادوا النظر فى امرك ، لكافحوك وانتصروا عليك ، لانك وهم وإن كنت حقيقة بعبعا وإن كنت من بغاث الطير .. واليك الأسباب :

انت ايها القلق عندما تستولى على المشاعر ، فانك تنشب اظفارك فى ضعاف الناس ، من هنا راح علماء النفس يكتبون عنك ، واتخذوا منك مادة لأبحاثهم .. ولقد قرات كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) .. فوجدت انك مفيد لا ضار .. وقرات (بنك القلق) لتوفيق الحكيم .. فعرفت انك وهم منفوخ ، تماماً كالبالون .. ياخذ حيزاً كبيراً ، بينما لا يزيد وزنه عن عدة غرامات ...

ايها القلق .. نريدك ان تبقى معنا .. ولكن بوزن الضيف ، خفيف الظل ، فقليل منك ايها القلق ، يشحذ الهمم ، ويقدح الأفكار ، ويحرك العواطف ، ويوقظ القلوب ...

نريد ان نتجرع من كاسك ايها القلق ، جرعة لا تصل إلى حد الجزع ، لأن الجزع فى الواقع يعمى البصر والبصيرة ، ويفقد الجزوع الرؤية الواضحة ، ويجعله يتخبط من هول التباريح ..

بدون القلق الخفيف ، لا ينظم شاعر قصيدة ، ولا يعطى كاتب شيئاً من عطاء ولا يبتكر عالم جديداً فى عالم الاختراع .

قاعدة ارخميدس لم يبتكرها صاحبها المشهور ، إلا بعد قلق ومتابعة ، جعلاه يخرج من الحمام وهو يصيح من الفرح : وجدتها ، وجدتها ..

اسحق نيوتن لم يتوصل الى نظرية الجاذبية ، لمجرد أن التفاحة سقطت على راسه وهو تحت الشجرة .. لولا انه كان قلقا على هذا الامر ، شهوراً عديدة ...

الانتصارات التى حققها القادة ، ما كانت لتحصل لولا قلق أدى الى احكام الخطط ، توصلا للانتصار ...

فلماذا نكرهك ايها القلق إذن ، وانت الذى تجعلنا نسهر لنعطى ، ونجتهد لنبتكر ، ونفكر لسير عجلة الحضارة ...

مرحبا بك ايها القلق ضيفاً خفيف الظل ... انت مطلوب ومرغوب ، ولكننا نتعامل معك فى حدود المعقول .. لا خارج الاصول ...

كن ضيفاً مع ليالى الاجتهاد والسهر ، شريطة الا تثقل علينا .. فاذا فعلت واثقلت .. طردناك بعنف .. فالى اللقاء ..

إلى شجرة مهيضة الجناح

ايتها الشجرة التى هوت مهيضة الجناح .. تسيل منها الجراح الخضراء ، وتبكى عليها الجنائن الغناء .. اليك اكتب والألم يحز فى نفسى ، وابعث بصرخات الاحتجاج الصامت والمعلن .. لماذا فعلوا بك هذا ؟ وانت مظلتهم فى الهجير .. وحاضنتهم فى اليوم المطير ..

سالتهم فقالوا : هى وعدد من امثالها .. نقطعها ونتخلص منها .. ونقيم مكانها عمارة تدر الاموال ، وتجدد الآمال ...

عجيب انت ايها الانسان .. تمتد يدك الى نسغ الحياة وتغتال فيه الأمل باسم الحياة والأمل .. كانما الاراضى البور الشاسعة .. التى لا مدد فيها ولا شجر .. لم تعد كافية لاطالة البنيان واقامة العمران .. افما كان الاجدر ان تبقى هذه الشجرة الفينانة وزميلاتها المنتصبات كالصبايا والعين الحور .. عنواناً للحياة ودوحاً ترتاده الطيور واسراب السنونو والزرزور ؟ ...

وغريب جداً ان يتناسى انسان العصر الحديث ، بعد ان تعلم ووقف على قمم المعرفة ، وادرك ان الشجر عنوان الصحة والجمال ، ومصدر الاقتصاد والمال ، ورئة يتنفس بها ، وخيمة يلوذ فى ظلالها ، عجيب بعد كل ذلك .. ان يمسك سيفه المدنى ليقطع رؤوس هذه الأمهات من النعم .

على ان الوقت لم يفت ايتها الشجرة الباكية .. فالامم تحتفل باسبوع مخصص لجنابك .. او يوم يدعى باسمك .. وهذا يعنى ان الانسان ، بدأ يدرك مخاطر قطع رقاب الشجر .. وبدأ يتأكد ان قطع شجرة خضراء ، جريمة لا تقل خطورة ، عن قتل انسان من الأبرياء ..

إن تعمير الصحراء بالشجرة .. وتزيينها بالأثل والكازورينا والكينا .. هو العرس الحضارى الراقص .. هو الأمل النابض على كف الصحراء .. فيا ايتها الشجرة ... استضعفوك وذبحوك .. فهل ذبحوا شبل الأسد .. مع الاعتذار للمعرى الشاعر .

ودمت لنا مظلة وزينة وصورة من صور الجمال .. رعاك الله .

مدينة ماتزال تؤدى ضريبة إسلام الأندلس وعروبتها

سبتة المغربية

عبد الكريم غلاب

عندما تتضافر الأسطورة مع حقائق التاريخ لتقدم صورة المأساة !

ترى هل دخلت سبته نفس التاريخ الذى دخلت منه أشبيلية وغرناطة ؟!



مسجد جديد ـ وهو الأثر الاسلامى بها .

كلما عرجت على شمال المغرب اشتقت أن أزور المدينة الأسيرة التى ما تزال تؤدى ضريبة الأندلس وعروبتها . لا أدرى ما يدفع بى إلى اقتحام «الحدود» والوقوف فى صف طويل أمد جواز سفرى إلى شرطة «الحدود» المغاربة واسجل رقم سيارتى واكتب اقرارا بما معى من مال ومتاع ، لأقف مرة اخرى بعد بضعة امتار عند شرطة «الحدود» الاسبانيين ورجال الجمارك يختمون جواز سفرى ويسجلون رقم السيارة ، وقد يبحثون ما بها من منقولات حتى يأذنوا بالزيارة القصيرة .

ولكنى أتحمل مرارا هذه الاجراءات التى تفصل المغرب عن مدينته الأسيرة لأرضى رغبة تلح فى اعماقى لعلها : الاطمئنان على المدينة العربية المسلمة التى ملأت الدنيا وشغلت الناس .

كنت ذات يوم فى قرية سياحية من هذه القرى الجميلة التى ترصع الشاطىء المغربى الجميل بين تطوان وسبتة (٤٠ كيلو مترا) كان معى صديق العمر الاستاذ عبد المجيد بن جلون فاقترحت ان نقوم بزيارة خاطفة إلى «سبتة» لارضاء الهاجس الذى يتحرك فى نفسى دائما . اجاب بصرامة :

ـ لا ... لن ادخلها حتى تتحرر . وما يزال مصراً على الا يزور احدى بوابات الوطن العربى وعلى قلعتها علم أجنبى .

ولكنى وقد وجدت نفسى فى نهاية هذا الصيف على نفس الشاطىء الجميل اعتبرت من العقوق ألا اعرج على ديار سبتة ، رغم كل الاجراءات المريرة التى تفصلنى عن المدينة دون ان يفصلنى عنها بحر أو جبل او نهر أو «حدود» حقيقية .

سبتة المغربية



الميدان الرئيسي بمدينة سبتة .

اجتزت «الصراط» غير المستقيم ، ورفع الحاجز الخشبى وإذا بى فى بلد آخر ، ذى تبعية أوروبية له علم ولغة ودين وعملة وجيش . اختلفت عنى اللغة فلم يفهموا عنى ولم افهم عنهم . استعنت أنا ـ كما استعان بعضهم ـ بلغة اجنبية لنتفاهم ، ووقفت أمام شباك بنك لاغير العملة حتى أشرب قهوة أو أدخل مطعما أو أقف امام دكان . ويصرخ بى شرطى مرور : أن أسرع ولا تتردد فى ملتقى طريقين . وأعتذر لأنى «غريب» ... نعم غريب فى بلدى ، ولأنى لا افهم اللغة التى تحدث إلى بها قبل أن يصرخ بأعصابه الهائجة . وأضحك لهيجانه وأنا أصرخ «مومينتو» ... دقيقة صبر ...

فيزيد هياجا وهو يستغرب ـ فيما يبدو ـ أن أطلب الصبر فى ملتقى ثلاثة شوارع كان على أن أختار بينها دون تردد .

دخلت المدينة ـ زوجتى وأنا ـ نجوب شوارعها فاذا بها «سوتا» لا سبتة كما يعرفها التاريخ ، وكما يسميها المغاربة والعرب والمسلمون عموما ، وكما يتردد اسمها مع اسم آلاف المواطنين «السبتى» المنتشين فى مختلف انحاء المغرب من العيون حتى طنجة مرورا بمراكش وفاس وأجدنى فى مدينة لا تختلف عن «مالقة» وفى المغرب الاف من المواطنين يحملون اسم «المالقى» ـ او قرطبة ـ وغرناطة وفى المغرب آلاف من المواطنين يحملون اسم «القرطبى» «والغرناطى» .

ترى هل دخلت سبتة نفس التاريخ الذى دخلت منه اشبيلية وغرناطة وقرطبة ومالقة ؟ .

العرب هناك

هذه فى أوربا ، فى الأندلس السليبة ، وسبتتنا فى عمق مغربنا العربى المسلم . ولكن آثار المدينة محيت ولا ترى فيها غير المدينة الأوربية الحديثة ، وغير المظهر الأوربى الحديث وغير اللغة الاسبانية والعلم الأسبانى والجندى الأسبانى . غير أن القلعة ما تزال تشهد بما بناه المغاربة من قلاع للدفاع عن مدينتهم وحمايتها . وعلى القلعة العلم الاسبانى وفى القلعة الجنود الاسبانيون .

وتتجنب وسط المدينة الجميل المطل على خليج سبتة الرائع المشرف على جزء من زقاق العبور الذى استخدمه طارق بن زياد قبل ثلاثة عشر قرنا . وتجوس فى أحياء جانبية فتصادفك عربية بملابسها الريفية تتحدث اللغة العربية ، وتتكلم كما لو كانت تلغى من حسابها بضعة قرون خلت ومدينتها مستعمرة ، ويصادفك عربى يتكلم ويتاجر ويبيع العملة سرا أو فى شبه سر . بضعة الاف من مواطنينا يشتغلون فى الاعمال الجانبية التافهة : حراس سيارات ، تجار خضر وفواكه وعاديات وهدايا بسيطة وعملة ، دكاكين عربية شبه فوضوية كل ما فيها ينبىء بأنها عربية .

لا يخونك الحدس حينما تستنتج من جولتك الأولى فى المدينة ـ وسطها وأطرافها ـ أن سكان البلاد الأصليين يعيشون على الهامش ، لا تكاد تجد فى احيائهم مدرسة أو ناديا لا تفتك الحياة فى هذه الأحياء كما لعلها تغريك فى احياء السادة الذين أصبحوا يملكون المدينة ويعتبرونها اسبانية .




سبتة فى الليل .

منظر من الاستاد الرياضى فى المدينة .

السكان العرب هناك ليست لهم هوية لا هم مغاربة يتمتعون بالحقوق المدنية للمواطنين ، يتعلمون فى المدارس التى تشرف عليها وزارة التربية الوطنية المغربية يمثلون فى المجالس البلدية والبرلمان ، ولا هم اسبانيون لهم ممثلوهم فى الكورتيس . ويتعلمون فى المدرسة الأسبانية ويوظفون فى الادارة الاسبانية

ومع ذلك فصلابة عروبتهم وإسلامهم ما تزال تحتفظ لهم بلغتهم وعقيدتهم وحتى ملابسهم وتقاليدهم العربية الاسلامية ، فى جو عنصرى عدوانى يواجههم بهم سكان المدينة ، الأغلبية التى يحميها الجيش الأسبانى بضعة قرون من الاحتلال .

المدينة المغربية التى اصبحت أسبانية تقتعد على الراس الشرقى للبوغاز . وهى تماثل طنجة التى تتربع الراس الغربى من اقصى شمال المغرب . ومنها تنحدر شرقا إلى جبال الريف التى تتوج هامة المغرب ، وتطل منه على البحر الأبيض ، ومنها تنحدر غربا إلى تطوان - إحدى عواصم المغرب الكبرى - وتبعد عنها نحو ٤٠ كيلو مترا ثم إلى طنجة التى تبعد عن تطوان نحو ٦٠ كيلومترا .

ومن مركزها الجغرافى تستمد مركزها الستراتيجى . تشرف على البوغاز ، بل هى احدى بواباته . برزت فى البحر فكونت شبه جزيرة تحتضن خلجانا طبيعية مما جعل منها ميناء كان من اعظم موانىء البحر الابيض . والذى يمتلك طنجة وسبتة يستطيع ان يتحكم فى البحر الابيض . وقد تحكم المغرب منهما قرونا من تاريخه . ومنهما انطلق الاسلام والعروبة إلى اوربا بعد الاندلس ومنهما حاول البرتغاليون والأسبانيون وقبلهما الفينيقيون والرومان السيطرة على شمال القارة الافريقيةوتطويق البحر الأبيض .

ويعود التاريخ بسبتة إلى ايام الفينيقيين ففى مكانها اسسوا مدينة (ابيلا) ، ولم يهتد المؤرخون العرب إلى أصل تسميتها ، ولو أنهم - على عادتهم - اشتقوا من اسمها اسم شخص سموه «سبت» وقالوا انه ابن سام بن نوح . ومن هذه الاسطورة نقلوا احاديث - لاشك انها موضوعة - عن النبى دعا لها بالبركة والنصر .

ولكن البركة الحقيقية التى حلت بالمدينة المغربية العتيقة انها كانت مجازا للعرب المسلمين إلى الأندلس . فقد كان يحكمها على عهد الفتح العربى للمغرب «يوليان الغمارى» - قبيلة غمارة من القبائل المشهورة فى المغرب - تحت سلطة الامبراطور البيزنطى قسطنطين الرابع . فلما فتح عقبة بن نافع المغرب انضم يوليان إليه فاقره على مدينته سنة ٦٨٢ م ، ولا شك انه ساعد على تجديد الحملة التى قادها طارق بن زياد على الضفة الأخرى من البحر ، وبذلك كانت سبتة وطنجة سبيل العرب إلى «طريفة» والصخرة الكبرى التى حملت اسم طارق - وما تزال - ومنهما إلى قلب أوربا حتى بواتييه .

عاصمة علمية

عاشت سبتة كعاصمة علمية ونضالية فى تاريخ المغرب . وكانت صلة وصل بين المغرب والاندلس أيام ازدهار



حصون اسبانية مواجهة للمغرب .

الحياة السياسية والحضارية والثقافية في القطرين اللذين وحد بينهما حكم المرابطين والموحدين منذ اجتاز يوسف ابن تاشفين الزقاق لانقاذ الأندلس من السقوط في يد الفونس السادس سنة ٤٧٩ هـ حتى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ ـ ١٤٩٢ م .

اسهمت سبتة وابناؤها في النشاط السياسي والثقافي والحضاري للمغرب . ومنها انتشرت الثقافة العربية والاسلامية وتبادلت مع الاندلس نشاطا ثقافيا ملحوظا ، كانت صلة الوصل في الميدان الثقافي بين الأندلس والمغرب . وتميزت بطابع الحضارتين المغربية والأندلسية في الفكر والفن والحياة الاجتماعية . وتخرج منها سياسيون وعلماء وأدباء وشعراء كانت لهم مكانة علمية كبرى ، ولبعضهم مكانة علمية دولية . الجغرافي العربي الأول (الشريف الادريسي) من أبناء سبتة .

القاضي عياض الموسوعي الكبير ، محمد ابن رشيد الرحالة الكبير ، ابن سبعين الفيلسوف المعروف ، الشريف السبتي ، عبد المهيمن الحضرمي ، مالك بن المرحل الشاعر الكبير ، عائلة العزفي منهم الحكام والأمراء والعلماء والأدباء ، عبد الرحمن الكتامي ، وابن غازي الخطيب ، وابن عطاء الكاتب ، وابن مرانة القرضي وأبو الحسن السبتي وابنته المحدثة ام المجد مريم وابو اسحق الانصاري وابو الحسن المتيوى . كل هؤلاء وغيرهم كثير أنجبتهم مدينة سبتة الاسيرة . كما أنجبت عديدا من المفكرين والصوفية والمناضلين الذين استشهدوا دفاعا عن المدينة وعن المغرب كله . ويذكر المؤرخون ان المدينة كانت تضم نحوا من ٦٢ خزانة كتب . وعددا كبيرا من الربط والزوايا . وكان الرباط مدرسة للعلم ومركز التكوين العلماء والمجاهدين . كما كانت مدينة تعج بمظاهر الحضارة الاقتصادية والاجتماعية .

في هذه الفترة خاض المغرب ثلاث معارك تاريخية نيابة عن المسلمين والعرب للحفاظ على عروبة الأندلس والمغرب العربي وللابقاء على الاسلام أربعة قرون أخرى في الأندلس :

أولاها : معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ بقيادة يوسف بن تاشفين ، اعظم ملك في دولة المرابطين الذي وحد الأندلس مع المغرب ، وأنهى خرافة الهجوم القشتالي على ممالك ملوك الطوائف ، واوقف زحف الاذفونش في حملات قوية توالت طيلة خمس سنوات .

وكانت سبتة هي المدينة التي انطلقت منها قوات يوسف بن تاشفين ، فلعبت نفس الدور الذي لعبته زمن الفتح الاسلامي للاندلس .

والثانية : معركة الأرك . وقد قادها يعقوب المنصور الموحدي سنة ٥٩١ هـ وفيها استرجع وحدة الأندلس مع المغرب بعد ان مزقتها اطماع امراء صغار كان بعضهم يستعين بالعدو ضد البعض في سبيل إقامة إمارة صغيرة على مدينة او إقليم .

وقد سبق هذه المعركة الكبرى معارك ثانوية خاضها الموحدون ضد الزحف الصليبي على الأندلس .

والثالثة : معركة خاضها يعقوب المريني ضد القشتاليين سنة ٦٨٤ هـ ـ ١٢٨٥ م فاوقف الزحف الصليبي مرة اخرى الذي استهدف اشبيلية وغرناطة والحصون القريبة من منطقتهما .

لعبت سبتة في كل المعارك التي خاضها المغرب ضد المد الصليبي دوراً رئيسيا والمعارك الثلاث التي تحدثنا عنها ليست الا نماذج منها .

سبتة هذه المدينة التي كانت تحتل مركزها الحضاري والعلمي والثقافي والسياسي والستراتيجي في تاريخ المغرب وتاريخ البحر الابيض، كانت مثار تطلع لخصوم العرب والمسلمين التاريخيين منذ الفتح العربي للاندلس .

المخطط الأسباني البرتغالي

وقد كانت حملة الاسترجاع التي قامت بها اسبانيا والبرتغال لشبه الجزيرة الايبيرية والتي انتهت بسقوط غرناطة ، كانت هذه الحملة ضمن خطة استراتيجية تستهدف منع العرب والمسلمين من ان يعودوا إلى أوربا . لم تقم بهذه الحملة الدولتان الايبيريتان فحسب ، ولكن ساهمت اوربا كلها وعلى رأسها الكنيسة الكاثوليكية في روما في التخطيط والتنفيذ معنى ذلك ان الحروب الصليبية التي شنت في شرق الوطن العربي هي نفسها التي شنت في غرب الوطن العربي ، وان الكنيسة التي باركت ملوك واباطرة أوربا للهجوم على بيت المقدس واحتلال فلسطين هي التي باركت ملوك ورؤساء دولتي ايبيريا للهجوم على المغرب العربي .

حاول المغرب استرجاع سبتة بكل الوسائل .. دون جدوى !

وهكذا كان المخطط الاسبانى البرتغالى هو احتلال المغرب العربى جميعه تمهيدا لاحتلال افريقيا . وإذا كانت فكرة تكوين الامبراطورية البرتغالية والأسبانية قد بدأت منذ وصية ايزابلا الأولى الكاثوليكية باسترداد الأندلس ، فان المغرب كان هو المعبر لتكوين هذه الامبراطورية .

ومن الواضح ان الامبراطوريتين الأسبانية والبرتغالية اللتين امتدتا إلى قلب افريقيا وإلى آسيا وإلى امريكا اللاتينية لم يكن الهدف منهما اقتصاديا فحسب ، على غرار ما كانت الامبراطورية الانجليزية والفرنسية ، وإنما كان إلى جانب ذلك عسكريا دينيا ، أى للدفاع عن المسيحية ضد الاسلام ، حتى لا يعود إلى شبه الجزيرة . وطريقه هو المغرب .

وقد اتفقت اسبانيا مع البرتغال على اقتسام المنطقة فكان غربها للبرتغال ومشرقها لاسبانيا بما فيها الجزائر وتونس . وكانت سبتة أحد الموانىء العديدة التى كانت من حصة البرتغال تليها طنجة على الطرف الغربى من راس المغرب البوغازى ثم تنزل خريطة الاحتلال مع الشاطىء الأطلسى : القصر الصغير ، وأصيلة ، والعرائش ، والمهدية والدار البيضاء (أنفا) والجديدة ، وأسفى ، وأكادير ، والشواطىء الصحراوية حتى مدينة الداخلة (فيلا سيسنيروس) وبدأت الحملة على سبتة وتم احتلالها سنة ١٤١٥ م - ٨١٨ هـ وتوالت الحملات البرتغالية على الشواطىء المغربية أزيد من مائة سنة عاش المغرب فيها حروبا طاحنة دفاعية عن نفسه وعقيدته ولغته . وحرر كل الشواطىء حيث هزم البرتغال هزائم منكرة كان ابرزها هزيمة وادى المخازن

كيف تم احتلال سبتة ؟

تتضافر الأسطورة مع حقائق التاريخ لتقدم صورة المأساة . تقول احداث التاريخ : إن سبتة كانت أقوى مركز فى البحر الأبيض المتوسط تفد إليها البواخر من كل انحاء البحر . وكانت الباب الرئيسى للمغرب ، منها تبحر كل البواخر إلى المراكز التجارية التى كانت تتعامل مع المغرب - وكان مركزا تجاريا مهما بما ينتج من مواد فلاحية (من الحبوب حتى قصب السكر) ومواد معدنية مهمة - كما كانت ميناء عسكريا مهما على شاطئه تقف البواخر التى كانت تحمى المغرب من أى تدخل أجنبى ومنه تبحر البواخر التى نقلت العروبة والاسلام إلى قلب أوربا وحمت المنطقة قرونا عديدة . وحملت التجارة كما حملت البحارة والجنود لحماية غرب البحر الأبيض فى عهد قوة العرب فى المغرب ، ولاسترجاع الاسرى المسلمين الذين كانت تاسرهم سفن القرصنة الاوربية .

وتقول احداث التاريخ ان البرتغاليين تعاهدوا مع حاكم سبتة على استغلال هذا الميناء لقاء خراج معلوم فى كل سنة . فلما ضمنوا ذلك استغلوه ليوجهوا حروبهم ضد المغرب من خلال سبتة .

وتقول احداث التاريخ ان جوان ملك البرتغال استعد للاستيلاء على سبتة ثلاث سنوات وحاصرها ست سنوات كاملات وهاجمها بقيادته وقيادة ثلاثة من ابنائه باسطول قوى من ٢٠٠ سفينة حربية . وكان الجيش الذى هاجمها يبلغ ٥٠ الف جندى (والمبالغة فى العدد من شيم المؤرخين العرب ...) .

وتقول الأسطورة ان البرتغاليين حملوا إلى الميناء صناديق على أنها مليئة بالبضائع ، واستغلوا يوم الجمعة - يوم عطلة وصلاة - فخرج من الصناديق ٤٠٠٠ جندى استولوا على المدينة بسرعة ، ولم يستطع السكان ولا الدولة ان تواجههم بعد الاستيلاء .

ويضيف التاريخ ان سكان المدينة انتدبوا وفدا كبيرا من الرجال والنساء ليستصرخ الملك أبا سعيد عثمان حتى يهب للدفاع عن المدينة الأسيرة . وكانوا يلبسون المسوح السود والوبر وجلود الماعز والأحذية السوداء حزنا وكمدا على احتلال المدينة واحتقارا لانفسهم لانهم لم يستطيعوا ان يدافعوا عن مدينتهم .

حقائق التاريخ لا تنفى الاسطورة فالحصار الذى دام سنوات استعان بالحيلة لينفذ عملية الاحتلال فى ساعات وأحداث التاريخ الحديث (حرب النكبة) تؤكد امكانية تضافر الحيلة مع العمل العسكرى .

وبدأت الحملة لاسترجاع سبتة - موضوع هذا البحث - منذ احتلالها خاض المغرب من اجل استرجاعها حروبا بدأت فى سنة ١٤٩٧ م وكانت آخرها حرب تطوان سنة ١٨٦٠ م وحاصر المغرب المدينة ٩١ مرة كان أطولها الحصار الذى ضربه السلطان إسماعيل فى القرن السابع عشر والثامن عشر استمر ٣٣ سنة من (١٦٩٤ - ١٧٢٧) وقد كتب السلطان إلى البرلمان البريطانى رسالة فى الموضوع قال فيها : « اننا لم نحاصر مدينة سبتة الا لانها توجد فى أرضنا وهى على ضفة بوغازنا وتكون جزءا من مملكتنا ، ولانها كانت دائما وابدا تحت حكمنا وسيادتنا » .

وقد هددت اسبانيا المغرب اكثر من مرة باعلان الحرب ضده اذا ظل يحاصر سبتة . ومن ذلك التهديد الذى تلقاه المغرب فى عهد عبد الرحمن بن هشام سنة ١٨٤٤ ، بل إن الحرب اعلنت على المغرب فعلا سنة ١٧٧٤ حينما اكد العاهل المغربى محمد بن عبد الله فى رسالة إلى ملك اسبانيا كارلوس الثالث بانه عازم على استرجاع سبتة ومليلية وبقية الجيوب المغربية . واعلنت مرة أخرى سنة ١٧٩١ حينما بعث سلطان المغرب اليزيد بسفيره محمد بن عثمان لمطالبة كارلوس الرابع بالتخلى عن المدن المغربية المحتلة .

وكذلك يمكن ان نقول إن المغرب استعمل مختلف الوسائل الدبلوماسية والسياسية والعسكرية لاسترجاع سبتة ولكن الحظ العاثر للمدينة العربية أبى الا ان تتعثر جهود استرجاعها ولو بعد ربع قرن من استقلال المغرب .

الرباط - عبد الكريم غلاب

عكا

نبيل خالد الأغا

مدينة تغازل الزمن

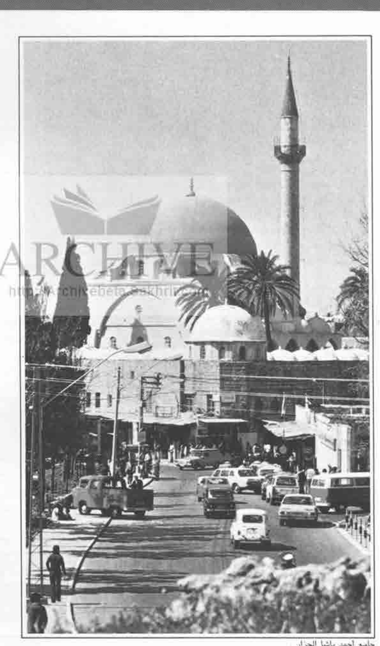
عندما هممت بزيارة عكا ، نقلت رغبتى الى احد ابناء عمومتى من المقيمين فى فلسطيننا المحتلة والذى يحمل الهوية الاسرائيلية . فقال معلقا : كنت على يقين بانك ستبدى هذه الرغبة بعد ان قمنا معا بزيارة القدس ويافا . إن معظم اخواننا المغتربين الذين يحضرون لزيارة ذويهم فى فصل الصيف يتلهفون على زيارة المناطق الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وهم ينقسمون الى قسمين : قسم رأى تلك المناطق قبيل ضياعها ويريد تجديد ذكرياته عنها ، وقسم قرأ عنها وسمع بها ويرغب فى رؤيتها ، وعلى كل حال لن تنالوا إلا المزيد من الألم !

اجبته متأثرا : وهل تستكثر علينا ان نحقق هذه اللهفة يا عصام بعد ان حرمنا رؤيتها طيلة الثلاثين عاما الماضية ، فى بداية نكسة حزيران (او نكبة سمها كما تشاء) بعثت امى فى طلبى فرفضت ، وفى العام الثانى والعام الثالث بعثت ايضا فى طلبى لكننى اصررت على عدم الذهاب اتدرى لماذا ؟ لاننى كنت انتظر «يوم التحرير» كي انطلق اليها على صهوة «حصان النصر» . وعندما طال بزوغ فجر ذلك اليوم المجهول اتيت اليكم بقلب دام اثقلته ارزاء الغربة ، وادمته قروح الواقع ، اتيت لأكحل عيناى برؤية اعز ما عندى : أهلى الذين حرمت من رؤياهم ، ووطنى الذى حرمت من حنانه .

قال عصام وقد بدا عليه التأثر : هون عليك يا ابن العم ، فانا لا اتقن فن الاجابة على وجدانياتك .. لكننى واثق بانك ستنسى هذا الحوار «العابس» بمجرد رؤيتك لاسوار عكا وصلاتك فى جامع احمد باشا الجزار !

انطلقت بنا السيارة شمالا صوب عكا عن طريق الساحل الفلسطينى الساحر .

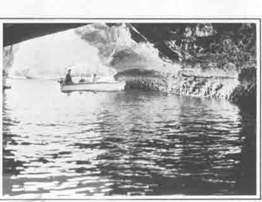
بمجرد دخولنا الاراضى الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ اثارت انتباهنا عدة امور تتمثل فى التنظيم الزراعى



جامع احمد باشا الجزار

● لماذا منعت قيادة جيش العدو أفرادها من ركوب السيارات العربية ؟

● الغربة التى شعرت بها عندما وصلت إلى مدينة الرمل الحار !



رأس الناقورة من داخل احد الكهوف

منظر عام لعكا ويبدو جامع الجزار وشاطىء البحر

الدقيق لكافة المناطق الساحلية التى مررنا بها تقريبا ، اتساع الشوارع وكثرتها ، ونظافتها ، وتنظيم حركة المرور واحترام الجميع لقوانين السير ، وانتشار محطات انتظار الركاب فى كافة ارجاء وطننا المحتل وبخاصة فى الطرق الرئيسية بين المدن .. وملاحظة وجود العسكريين من شباب وشابات تحت سقوف هذه المظلات .

وقد حدث اثناء مرورنا باحد هذه المواقف ان رفع احد العسكريين يده الينا يريد الركوب ، فلم يعره «حامد» اهتماماً . فقلت له : هاته معنا عسى ان نقرا افكاره !

قال حامد : لقد اخطا «الخواجة» ، فلقد اشار الينا ولم ينظر الى لوحة السيارة ، وظن اننا من بنى جلدته ، ولو فطن للامر ما فعل ، لأن قيادة «جيش الدفاع الاسرائيلى» حظرت على افراد قواتها الركوب فى السيارات العربية ، عشرات الجنود الاسرائيليين قد ماتوا واختفوا على يد الفدائيين العرب الذين كانوا يقتنصونهم بهذه الطريقة ، ويغيبونهم عن الوجود .

وحتى تحصر الحكومة الاسرائيلية تحرك المواطنين العرب وتحصى عليهم خطواتهم امرت بان تكون الوان لوحات السيارات فى قطاع غزة مخالفة لالوان مثيلاتها فى الضفة الغربية ، والجليل ، والقدس ، وسيناء ، وبهذه الطريقة يمكنها متابعة اية سيارة عربية ومراقبتها .

مررنا بالمجدل ، واسدود ، ويافا ، وتل ابيب ، وناثانيا ، وعتليت ، وحيفا ، وفى كل مرة كان حامد يزيدنا شرحا وايضاحا عن التاريخ القريب لهذه المدن وصراعاتها مع المحتلين .

اما بالنسبة لعكا فقد اعترف حامد بانه لا يعرف الكثير عن تاريخها اللهم إلا قهرها لطموحات نابليون ، وطلب منا أن نحدثه عن النقاط البارزة فى تاريخها قبيل ان نصل اليها .

احدوثة الزمان

تعتبر عكا فى مقدمة المدن العريقة التى تركت دوياً فى التاريخ على امتداد عمرها الطويل . فقد انشاها اجدادنا الفينيقيون ودعوها «عكو» . وهى كلمة عربية كنعانية معناها «الرمل الحار» ، ويقال بان الفينيقيين كانوا ياخذون هذا «الرمل الحار» من شواطىء نهر النعامين القريب منها ثم يستخدمونه فى صناعة ادق انواع الزجاج .

أما اسم «عكا» الذى ندعوها اليوم فقد اطلقه عليها المصريون القدماء . وقد ذكرت عكا ضمن المدن التى افتتحها فرعون مصر تحتمس الثالث على اثر انتصاره فى معركة «مجدو» الشهيرة عام ١٤٧٩ ق . م . وقد وجد اسم عكا منقوشاً على الكثير من الحفريات التى اكتشفت فى «تل العمارنة» .

وفى عام ٥٢٥ ق.م كانت عكا منطلقا للقوات الفارسية التى اتجهت الى مصر بقيادة قمبيز ، وبعدئذ خضعت للاسكندر الاكبر ، ثم للقائد الرومانى «بومبى» كغيرها من مدن الشام .

فى احضان الاسلام

لقد تشرفت عكا بانضوائها تحت راية الاسلام زمن الفتوحات الاسلامية على يد القائدين الداهيتين عمرو بن العاص ومعاوية بن ابى سفيان عام ٦٣٦ م (١٥ هجرية) . وقد استفاد معاوية من مهارة أهل عكا فى الأعمال البحرية المختلفة ، حيث أسس داراً لصناعة السفن امدته بالف وسبعمائة سفينة كانت نواة للاسطول العربى الذى فتح جزر البحر الأبيض المتوسط التى كان اولها جزيرة قبرص .

وهكذا كانت عكا اول ميناء عربى تغزو



جانب من سور عكا .



خان العمدان احد المعالم الاثرية بعكا .

منه قوات المسلمين أولى غزواتها فى البحر المتوسط .

فى حروب الصليبيين

بذل الصليبيون جهوداً مضنية للاستيلاء على عكا ، فقد حاصروها وهم فى طريقهم لاحتلال بيت المقدس ، غير انهم لم يستطيعوا فتحها ، فكرروا المحاولة مرة اخرى وعلى يد «بلدوين» هذه المرة ، لكن عكا لن تستسلم بسهولة .

وبسبب ادراكهم لمكانة عكا السوقية (الاستراتيجية) بالنسبة لنجاح حملاتهم فقد ضاعف الصليبيون من استعداداتهم الحربية لاحتلالها . وفى عام ١١٠٤ ميلادية جدد «بلدوين» حصاره لها بعد ان استعان بسبعين سفينة حربية تتبع جنوا والبندقية ، وبعد عشرين يوماً من الحصار المضنى اضطرت المدينة للاستسلام ، ولم تكن لتستسلم لولا تخاذل القوات الفاطمية عن نجدتها.(على ان تملك بلدوين لعكا ، كفل له ما كان فى مسيس الحاجة اليه ، وهو ميناء صالح لرسو السفن فى كل الفصول ، واضحت عكا الميناء الرئيسى بالمملكة ، فحلت بذلك مكان يافا بمرفئها المكشوف) .

ولقد افاء الله على المسلمين بالمجاهد القائد الأشرف خليل (ابن السلطان قلاوون) ، فحشد جيوشه المصرية والسورية وضرب حصاراً صارماً حول عكا استخدم فيه اثنين وتسعين منجنيقاً ، ولم تفد المحاصرين نجدات وصلتهم من قبرص ، فاخذت معاقلهم تتهاوى امام وحدة القلوب والاكف والأهداف . وبلغت مدة الحصار اربعة واربعين يوماً ، وورد فى النجوم الزاهرة «ان الله سبحانه وتعالى قدر فتح عكا فى مثل اليوم الذى اخذها الفرنج فيه ، ومثل الساعة التى اخذوها فيها ، وامنهم السلطان ثم قتلهم ، كما فعل الفرنج بالمسلمين فانتقم الله من عاقبتهم» . ولم تكد عكا تصير فى قبضة السلطان حتى شرع فى تدميرها وخرابها حتى لا تستعمل مرة اخرى كراس رمح للصليبيين .

وكان سقوط عكا اعظم كارثة حلت بالمخططات الصليبية الاجرامية ، وانتهى معها اعظم فصل من فصول تاريخ اوربا الوسيط .

إن تكرار فشل الحملات الصليبية على بلادنا يجب ان يكون حافزاً لنا على تطهير فلسطيننا المغتصبة من «صليبية» القرن العشرين المتمثلة فى الكيان الصهيونى البغيض .

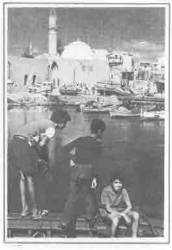
عكا فى العهد العثمانى

من المعلوم ان الاتراك العثمانيين استولوا على بلادنا اثر انتصار السلطان سليم الأول فى معركة «مرج دابق» عام ١٥١٧ ميلادية . وتم خضوع عكا لنفوذهم تلقائياً ، لكنها شهدت فترة ازدهار فى كافة مناحى حياتها .. وعندما استولى عليها الثائر الفلسطينى ظاهر العمر الزيدانى جعل منها اهم ميناء على البحر الأبيض المتوسط . ويعتبر تاريخه جزءاً من تاريخ نهضة فلسطين وتقدمها ، وفى ذلك يقول احد المؤرخين : «ان شخصية ظاهر العمر شخصية ظهرت فى الشرق فى اواخر القرن الثامن عشر ، وانه رغم تجاوزه الثمانين فقد احتفظت قواه العقلية وقدرته الجسمية بنشاط خارق للعادة» .

بعد مقتله تولى احمد باشا الجزار ولاية صيدا اولا ، ثم نقل مقر ولايته الى عكا . فاخذ فى تحصينها وبناء اسوار جديدة لها وجعلها اقوى حصن فى المنطقة كلها ، ويعتبر جامعه الفخم ابدع صورة للفن المعمارى العثمانى .

عكا .. وقبعة نابليون

عندما علم الجزار بوصول الحملة الفرنسية الى مصر ضاعف جهوده فى



اطفال عرب فى الميناء القديم .



منظر من رأس الناقورة .

تحصين المدينة ، وزودها بمختلف انواع البنادق والمدافع وكافة ادوات الحرب المتوفرة انذاك . وعبا المدافعين بالمشاعر الدينية والوطنية الصادقة وحفزهم لملاقاة عدوهم .

وزحفت الحملة الفرنسية الى فلسطين ، فاحتلت غزة ويافا وحيفا ، واقام نابليون مقر اقامته على جبل الكرمل .. ينظر الى عكا التى تبعد عنه عشرين كيلو مترا وفى نفسه شهوة عارمة لتتويج عبقريته العسكرية باحتلالها والهيمنة على بر الشام واكمال الطوق على الانجليز .

وفى العشرين من آذار عام ١٧٩٩ اخذ الجيش الفرنسى مواقعه امام عكا وشىء من الخوف يساوره من تفشى الطاعون ، وبعد أسبوع أصدر نابليون اوامره بالهجوم ، لكنه فوجىء منذ الوهلة الاولى برد عكا العنيف على قنابله ومدفعيته بصورة كثيفة لم تكن بحسبانه فامر الجنرال كليبر بتعزيز القوات الفرنسية التى استطاعت ان تحدث ثغرة فى سور المدينة ، واراد نابليون ان يكون اول متسلقيها ! «وقد قوبل المهاجمون المندفعون كالمجانين عند الثغرة بافتك نيران مضادة صبت على الفرنسيين فى حصار عكا ، ولعل نصف قوة الجيش المحاصر «بكسر الصاد» قتل او جرح فى هذا الهجوم» .

ودافع الفلسطينيون دفاعا بطوليا عن مدينتهم ، وهم مدركون بان ذلك يعنى دفاعهم عن ديار المسلمين ، وشرفهم ، ومستقبلهم .

واخيرا .. وبعد كر وفر ، واقبال وإدبار دام ثلاثة وستين يوما يئس عبقرى العسكرية الفرنسية من احتلال عكا ، ووقف على ظهر سفينته الحربية جوار الثغرة يندب حظه العاثر ويقول : لقد تحطمت امالى على اسوارك يا عكا ، وخلع قبعته عن راسه وقذفها على السور قائلا : يكفى ان قبعتى قد دخلتك يا عكا .. وداعاً لا لقاء بعده !!

وبعد هذا النصر العزيز استتب الامن بالبلاد ، وزاد الرخاء على العباد ، وامتد حكم الجزار لمدة ثلاثين سنة استطاع خلالها ان يعمر المدينة اعماراً حديثا حيث شيد الحمامات والأسواق ، وغرس الحدائق والبساتين بالفواكه الغريبة والازهار النادرة ، وجر المياه اليها من ينابيع مجاورة حتى اصبحت عكا «بلد النعيم المقيم» ! ... وخضعت عكا بعد ذلك لحكم العثمانيين ، ثم المصريين ، ثم الانجليز .

..فى قبضة الانجليز

استولى البريطانيون على عكا اثر انتصارهم على الجيش العثمانى فى جنوبى طولكرم فى ٢٤ ـ ٩ ـ ١٩١٨ م وامتد هذا الاحتلال حتى عام ١٩٤٨ حين قاموا بتسليمها لليهود .

وحسب اخر تنظيم ادارى بريطانى فى فلسطين كانت عكا مركزاً لقضاء كبير يعرف باسم «قضاء عكا» ، ويؤلف قسما كبيراً من لواء الجليل ، ويعتبر أعلى اقضية فلسطين انتاجا لزيت الزيتون الفاخر بالنسبة لمساحته .

وفى هذا القضاء استنبط سكانه الكنعانيون صناعة الزجاج ، كما اكتشفوا فى سواحله «صبغ الأرجوان» وهى المادة التى استعملوها فى صباغة الملابس .

وكان قضاء عكا يتالف من مدينة عكا ذاتها ، اضافة الى اثنتين وخمسين قرية من أهمها : البصة ، ترشيحا ، سخنين ، الكابرى ، طربيخة ، مجدلكروم ، عرابة ، اقرت ، تمرة ، معليا ، الرامه ، البروه ، الزيب ، عمقا ، اضافة الى عشرة معسكرات يهودية تم انشاؤها فى العهد البريطانى الأسود اشهرها مستعمرة «نهاريا» الساحلية .

كان «العكيون» سباقين فى منازلة البريطانيين ومقارعتهم ، ولعل اقدم صدام بينهما وقع فى عام ١٩١٩ م . ثم فى عام ١٩٢٩ على اثر ثورة البراق ،



عكا القديمة

أحد الأسواق القديمة بالمدينة

وشارك العكيون كذلك فى جميع الثورات والانتفاضات الشعبية التى قام بها اخوانهم فى المدن الفلسطينية الأخرى .

وقد تصدى شباب عكا للقوافل الصهيونية ومنعوها من المرور عن طريق حيفا ـ بيروت من اجل الوصول الى مستعمراتهم فى الشمال ، فاضطروا ان يذهبوا اليها عن طريق البحر فى حراسة البحرية البريطانية .

اما البلدة ذاتها فقد استمرت فى حياتها الاعتيادية بشكل عام ، ونشطت بلديتها فى تنظيمها وتنظيفها والعناية بها . وقد زارها فى تلك الفترة استاذنا المرحوم محمود العابدى فقال : «بعد ان زرنا مساجد المدينة الستة زرنا بستان «البهجة» الذى له من اسمه نصيب كبير وهو ملك آل بيضون ، وقد سبقت عكا غيرها من مدن فلسطين فى الاهتمام باحياء ذكرى المولد النبوى الشريف ، وقد كانت تغص بالوافدين اليها بهذه المناسبة» .

ومن المعلوم انه بجانب حديقة «البهجة» يقع قبر بهاء الله مؤسس البهائية ، وهم طائفة دينية جاءت مع البهاء من بلاد فارس ، واقاموا فى ادرنة اولا ثم بعثهم السلطان عبد الحميد الى عكا ، وعندما تم اعلان «الدستور» كفل لهم حريتهم . وتقيم غالبيتهم اليوم فى عكا وحيفا .

عكا .. والصليبية الجديدة

برغم بطولة اهلها ، وتمرسهم على قتال الغزاة ، وبرغم حصانة أسوارها ، وشجاعة المدافعين عنها فقد سقطت عكا فى مستنقع الاحتلال الصهيونى الصليبى . ويصف المؤرخ عارف العارف ماساة السقوط بقوله : فى ليل يوم التاسع من ايار عام ١٩٤٨ ميلادية وصلت الهجمات الصهيونية الى ذروة حدتها ، فقد هوجمت المدينة بالوف من المسلحين الصهيونيين الذين كانوا يملكون احدث آلات الحرب .. وصمد مجاهدو عكا عشرة أيام ، وقاوموا ببطولة بالرغم من قلة عددهم ، وضآلة عتادهم حتى نفدت ذخيرتهم ، وفقد الغذاء من مدينتهم ، وتحولت عكا الى ستالينجراد ودار القتال فى كل شارع وبيت ، واستطاعت مصفحات وزواحف ومدفعية وزوارق العدو البحرية من السيطرة على زمام الموقف ، وتمكنوا من احتلال المدينة فى ١٨ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ . وهو ذات التاريخ الذى دخلها فيه الأشرف خليل منتصراً على الغزاة الصليبيين قبل ستمائة وسبع وخمسين عاماً ، فيا لمفارقات القدر العجيبة !

مصابيح من عكا

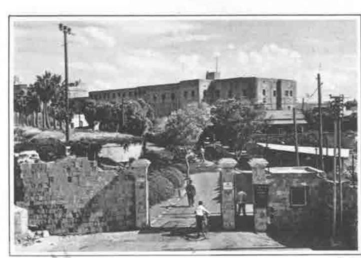
قدمت عكا للاسلام والعروبة مصابيح مضيئة ساهمت فى انارة طريق المعرفة بمفهومها الانسانى الشامل . واليها تنسب الشخصيات التالية :

● الشيخ علي بن حسن المغربى اليشرطى الشاذلى : ولد عام ١٧٩٦ ميلادية . تصوف على الطريقة الشاذلية فاصبح احد كبار مشايخ العصر ، وانتشرت عنه الطريقة الشاذلية ، توفي عن مائة عام ، وله زاوية وقبر يزار . خلفه ابنه الشيخ ابراهيم اليشرطى ، فاكمل رسالة والده الى ان توفاه الله فخلفه ولده السيد الهادي اليشرطى الذى كان يتمتع بنفوذ وهيبة كبيرين لدى اتباعه .

● ميخائيل الصباغ : له عدة مؤلفات ، ومشهور بدقة ابحاثه التاريخية . كان جده ابراهيم طبيبا حاذقا لظاهر العمر ، توفي عام ١٨١٦ م

● احمد زكى باشا ١٨٦٧ ـ ١٩٣٤ ، ابن ابراهيم النجار الملقب بشيخ العروبة ، من الرواد الأوائل الذين ساهموا فى احياء الآداب العربية ، له عدة مؤلفات ، وجمع مكتبة ضمت ثمانية عشر الف مجلد .

● سميرة عزام ١٩٢٨ ـ ١٩٦٧ : أديبة وشاعرة وقاصة ، ومترجمة ، عملت فى


قلعة عكا .

الحقل الصحفى ، وتعاونت اذاعيا مع اذاعات الشرق الأدنى ، وبغداد ، وبيروت والكويت ، وعمان . لها مؤلفات قصصية قصيرة .

● المهندس خالد محمد الهادي اليشرطى ١٩٣٥ ــ ١٩٧٠ ، اتم دراسته فى بيروت ، وانضم الى حركة التحرير الوطنى «فتح» فاصبح احد قادتها ، توفى فى بيروت وهو فى ريعان شبابه وجهاده فى حادث غامض .

● غسان فايز كنفانى ١٩٣٦ ــ ١٩٧٢ أديب بارز ، وصحفى مرموق ، ومناضل شهم ، كانت له نشاطات واضحة فى الروايةوالقصة القصيرة ، والدراسة الأدبية والسياسية ، اغتيل فى بيروت بعبوة ناسفة وضعتها مخابرات العدو فى سيارته ، فانفجرت به وبابنة اخته .

● احمد أسعد الشقيرى ١٩٠٨ ــ ١٩٨٠ كان والده عضواً فى البرلمان العثمانى وفى جمعية الاتحاد والترقى ، نال اجازة الحقوق ، وانتمى الى الحركة الوطنية ، وفى عام ١٩٤٥ اختير نقيباً للمحامين ، شغل منصب الأمين العام المساعد للجامعة العربية ، ثم عين رئيساً للوفد السورى فى الأمم المتحدة ، واستعارته المملكة العربية السعودية وزير دولة لدى الأمم المتحدة ، ثم اختير رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية (١٩٦٤ ــ ١٩٦٧) .

انصرف بعد ذلك الى التاليف ، حيث صدرت له اكثر من عشرة كتب . لقد عاش ومات من اجل فلسطين . رحمه الله .

معالمها الأثرية

تعتبر عكا فى طليعة المدن الفلسطينية التى يؤمها السياح لزيارة معالمها الأثرية والسياحية ومن اهمها :

● جامع الجزار :

تم بناؤه عام ١٧٨١ م ، وهو من اجمل مساجد فلسطين ، ويقال بان به شعرات من شعرات رسولنا الحبيب عليه الصلاة والسلام محفوظة فى صندوق خاص والله اعلم .

بناه احمد باشا الجزار على غرار مساجد القسطنطينية ، تحيط به الحدائق والاشجار ، وهو مربع ومسقوف بقبة ضخمة ، تنتصب مئذنته الرائعة وسط باحته المستطيلة المحاطة باروقة مقببة قائمة على اعمدة من الجرانيت والرخام ، ويقيم بالاقبية موظفو الجامع وطلاب المدرسة الأحمدية . وتوجد بالمدرسة مكتبة ثرية تحتوى على نفائس الكتب والمخطوطات .

وفي الزاوية الشمالية من فناء الجامع توجد غرفة تضم قبرين من الرخام احدهما للجزار والثانى لخليفته سليمان باشا .

● القلعة :

وتقع شمالى المدينة القديمة ، تتالف من ثلاثة اقسام مخيفة الشكل :

١ ــ برج الخزنة وفيه كان الجزار يخبىء ثروته ويقيم فيه .

٢ ــ الجبخانة وكانت تخزن فيها الاسلحة والذخائر .

٣ ــ الثكنة العثمانية وهى تمثل «السجن المركزى الفلسطينى» وكانت دولة الانتداب الظالمة تغيب فى ردهاته معظم المعتقلين السياسيين ، وكان مبعث شؤم لدى المواطنين وسموه الباستيل ، وكانت تتم بين جدرانه السوداء عمليات الشنق والاعدام لمئات من ابطالنا وثوارنا كما تقول الاديبة اسمى طوبي «وقد اعدم فيه اول ثلاثة شهداءفلسطينيين وهم الزير وجمجوم ، وحجازى . وبعد النكبة حول الأعداء قسماً منه الى مصحة نفسانية وحولوا قسما اخر الى متحف للأدوات الحربية .

● خان العمدان :

بناه الجزاركمضافة للتجار قرب الميناء ، حوله الصهاينة الى ملهى ليلى . كما ان هناك خانات اخرى فى المدينة مثل : خان الشونة ، خان الفرنج ، خان الشواردة .

وهناك أماكن أثرية مهمة مثل : السوق الأبيض ، حمام الباشا ، اسوار عكا البرية والبحرية ، قبر بهاء الله ومنزله ، تل الفخار أو تل نابليون ، كما ان بالمدينة مساجد ، وحمامات ، واديرة ، وكنائس ، وقصور ، وزوايا ، وقبر النبى صالح عليه السلام (والله اعلم) ، وقبور بعض أولياء الله الصالحين ، وحدائق ومنتزهات .

وجها لوجه

وأخيراً .. وبعد أن قطعنا ما يقرب من مائتـــى كيلو متر فى طريقنا من خان يونس الى عكا وصلناها عصراً .. وكنا خلال هذه الفترة الزمنية قد فرغنا من «سياحتنا التاريخية» لتبدأ «سياحتنا الميدانية» لهذه المدينة العريقة التى عرفها الزمن فاخذ يغازلها فصاغها قلادة ثمينة علقها على صدره الرحيب فى زهو وخيلاء .

كان دخولنا أولا الى عكا الجديدة ، والجديدة تعنى انها بنيت بعد الاحتلال

الصهيونى الأول ، ولقد برعت فيها يد الهندسة الحديثة ، فخططت شوارعها على هيئة مستطيلات بها ابنية ذات طوابق أربعة ، جاءت بطريقة فنية تمنع اقامة بنايتين متجاورتين ، بل لابد ان تفصل بينهما حدائق عامة .

والحقيقة اننا لم نتفاعل مع عكا الجديدة تفاعلا وجدانيا ، لاننا شعرنا بغرابتها علينا ، وغربتنا بالنسبة لها ، كنا فى شوق عارم الى «عكا القديمة» .. عكا فلسطين ، والأجداد ، والتراث ، والأمجاد الغابرة ! مساكنها من الطراز القديم ، لم تمتد اليها يد الحداثة ، شوارعها مبلطة بقطع ضخمة من الاسمنت . اهم شوارعها مازال يحمل اسم صلاح الدين الأيوبى ، وهناك شارعان يحمل احدهما اسم «الهاجاناه» والآخر «وايزمان» !

على أمل اللقاء

لاحظت وجود الكثير من المكتبات العربية ، اثار انتباهى اسم «مكتبة الحياة» ولم اجد صعوبة فى التعرف على صاحبها الشاب ظاهر ياسين .. فاخذ يحدثنى عن بعض جوانب حياتهم فقال : يوجد لدينا آلاف الكتب العربية والانجليزية .. انا لا اتعامل مطلقا مع الكتب العبرية .. انظر الى ارفف الكتب اننا نتعامل مع كبار الأدباء والكتاب العرب فى شتى مناحى المعرفة ، السلطات الاسرائيلية تسمح لنا باستيراد اغلب الكتب ولا تمنع إلا ما ترى انه خطر عليها .. عندى كتب سياسية حتى لرجال المقاومة الفلسطينية .. كثير من المطابع العربية هنا تعيد طباعة الكتب الرائجة وتحقق ارباحا كبيرة لانها «تبلع» حقوق الناشر والمؤلف .

لا ازعم اننى تقى .. الجامع بجوارى واسمع نداء المؤذن لكننى لا البيه ، جرفتنا الحياة فى مادياتها . عدد المصلين قليل جدا .. حتى فى صلاة الجمعة واغلبهم من كبار السن ، سمعت والدى يتحدث عن الكثرة الهائلة فى عدد المصلين بجامع الجزار قبل الاحتلال ، حيث كانوا يملأون القاعة الكبيرة اضافة الى ساحاته الخارجية الفسيحة .



منظر من الشاطىء .

إن اليهود يحاربون الاسلام بشتى الطرق ، واعتبر ان عدم صلاتى نجاح لسياستهم ، الكثيرون من الشباب لا يصلون مثلى ، هذه ادانة لنا ولكنها الحقيقة اخشى العذاب لكننى طامع فى مغفرة ربى عز وجل .. اليهود يخططون اكثر من العرب .. لقد انشاوا فى شرقى البلد منطقة صناعية ضخمة «مدينة الصلب» وفيها مصانع للمعلبات والسردين . والبورسلين . كما إنشاوا محطة مراقبة الاشعاعات النووية فى البلدة ، وهذه طريقتهم فى كافة المدن . ومحظور علينا الاقتراب منها ، فهل يوجد عندكم مثلها ؟

اضافة لذلك فهناك مصانع للفخار والمرايا والخزف والنسيج والدهان ، ومصنع ضخم للصناعات الكهربائية الكيماوية .

كثير من العائلات الفلسطينية فى عكا تعود بجذورها الأولى الى الأصول التركية والصليبية ، والمصرية ، والسورية ، والمغربية وذلك بسبب الوضع التاريخى الخاص للمدينة . لكن هـذا لا ينفى وجود عائلات عكيــــة عريقة . وإن لم تكن كثيرة العدد مثل : اليشرطى ، العكى ، العفيفى ، عرابى ، الحزوبى ، حنانيه ، فرح ، الطوبى ، شبل السعدى ، الشقيرى ، فضة ، كتمتو ، خمار ، البورى ، الخياط ، بيضون ، الشاعر وغيرها .

نحن اساسا من قرية «البروة» التى ولد فيها الشاعر محمود درويش والمناضل احمد البروانى ، لقد اباد اليهود قريتنا تماما واقاموا مكانها مستعمرة لهم .. وتشتت شمل اهل قريتنا

ليست لدى ثقة فى الحاضر ، ولكن لدي ثقة فى المستقبل ، يوم يتحد العرب وحدة قلبية حقيقية !

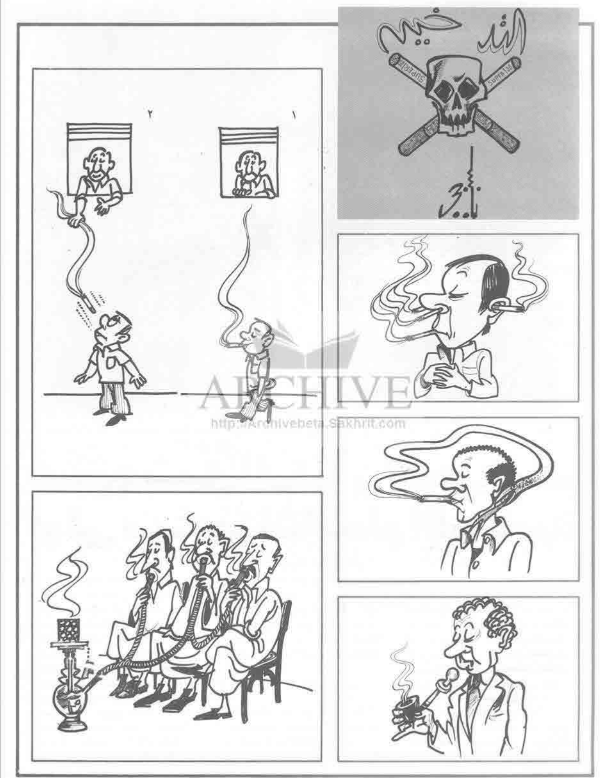
شكرت «ظاهر» ، وودعته بلهفة على امل اللقاء ذات يوم .. اى يوم !!

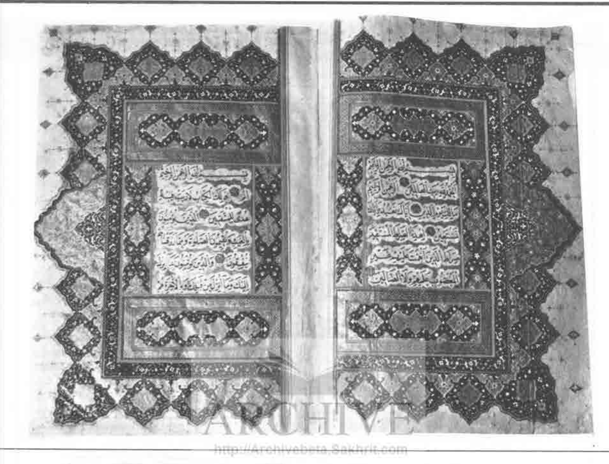
توجهنا الى الاسوار البحرية ووقفنا على اول سور تجاه البحر ، مددت بصرى صوب الافق الممتد بعيدا ، اشتممت رائحة اسرتى الفلسطينية العربية ذات الأمجاد الغابرة ، حبى الاكبر الذى فلجته السياسة الحمقاء ، والحقد الدفين ، كدت ساعتها ان ارفع عقيرتى وأصرخ من اعماقى يا الف الف وامعتصماه ، يا الف الف واسلاماه ، اين انت يا صلاح الدين .. يا اشرف خليل ، يا جزار ، يا ظاهر العمر ، تعالوا ايها الاموات فانقذوا عكا بعد ان فشل الاحياء فى انقاذها !! وأفقت من شرودى واحلامى على رنة غضب من احد الرجال العرب اطلقها على مجموعة من الصبية الذين يلاحقونه بتهكماتهم وتعليقاتهم ، فحاولت أن اكفهم عنه فقالوا انه مجنون! فاومات برأسى ، وانا اغالب دموعى مبتهلا الى الله ان يرحم كهولة ذلك الرجل «العاقل» الذى يعيش فى زمن «مجنون» !

● ● ●

ركبت السيارة وانا اوارى نفسى من نفسى .. خجلا ، واسفا ، والما ، مترنما بترداد قوله تعالى «ربنا افرغ علينا صبرا ، وثبت اقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين» .

نبيـل خالـد الآغـا


SUPERIA
١
٢



توثيق القرآن الكريم أولى منجزات العلم الإسلامية

بقلم : أحمد العناني

من ابرز المواد فى محتوى القرآن الكريم ولا سيما فى مطولات السور المدنية الوصف المتكرر لما فعله اليهود بالانبياء والكتب السماوية المنزلة ، وما احدثوه فيها من تحريف وتصحيف وما اخفوه منها من امور لا تناسب اهواءهم ومصالحهم ، وما استحدثوه وادخلوه من افتراء على الله ، ان كان اليهود دائماً ينطوون على جنوح لعبادة «العجل الذهبى» وتسخير الدين للمصالح الدنيوية ، والمتاجرة بكل تلك المدخلات او المحذوفات من النصوص الاصلية للكتب السماوية ..

ولهذا فما إن توفى الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم حتى بدا هاجس المسلمين بشأن ضرورة الحفاظ المحكم على النص الأصلى للقرآن الكريم

رسوخ النص القرآنى

لم يستقبل نص فى التاريخ من اية امة باية طريقة او كيفية يمكن مضاهاتها بما حصل بالنسبة للقرآن الكريم ، فلقد كان المسلمون الاولون يتوقعون نزول شىء من القرآن فى كل حادثة كبرى او ذات مغزى فى حياتهم ، وكذلك حيال ما قد يعتور تلك الحياة من فتنة او خلاف واضطراب ، هذا بالاضافة الى ما لم يكن للمسلمين به علم ولا توقع كالكثير من التشريعات المدققة المفصلة كشئون الميراث والحياة الأسرية وفروع موضوعاتها كالخطبة والزواج والطلاق ومتعلقاته من عدة ونفقة ورعاية أولاد . وفى الحالين ولا سيما فى حالة توقع النزول كما كان فى بدر وأحد وحنين وبعد فتنة الافك وفتنة المنافقين لدى الرجوع



لوحة زيتية للفنان جلال بن عبد الله تبين أدوات وكيفية زخرفة القرآن



نسخة تونسية مزخرفة

● **كـــــان القرآن هو الشغل الشاغل للحركة التى أوجدها ظهور الاسلام بمكة**

● **مصحف واحد يحوى النص القــرآنى مكتوب على وفق اللــهجة القرشية الفصحى**

من غزوة بنى المصطلق او تخلف البعض عن الجهاد او محاولة تاسيس مسجدٍ اخر للمسلمين بنية غير سليمة الى آخر ذلك .

اقول ، فى الحالين كان المسلمون ولاسيما الصحابة الملاصقون للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كلهم اذاناً صاغية فما إن يتلو الرسول الآيات الجديدة حتى تتلقفها الاسماع بمنتهى اللهفة ، ويبادر البعض كل حسب الوسيلة المتاحة له الى تدوين الآيات الجديدة لاضافتها الى ما عنده ، ومراجعة تلاوتها وحفظها وتكرارها ، والاصغاء لصلاة الرسول عليه السلام بها ، والتزام الأمر أو الموعظة اللتين قد تنطوى الآيات عليهما ، او التعليم أو التحذير الواردين بها ، وكان القرآن ، محتواه وشكله ، هو الشغل الشاغل للحركة التى اوجدتها ظهور الاسلام بمكة ان كان القرآن يتحدى القرشيين على ما امتازوا به من فصاحة ان يضاهوا ولو اية واحدة من اي التنزيل او يحاكوها ، حتى إن بعض عتاة الكفر كانوا يتسللون للتسمع لصلاة المسلمين بالقرآن ويظهرون مع الاهتمام الكبير اشد الدهشة لذلك النسيج الفذ من القول المؤثر الذى يعجزون عن محاكاته ويلجون فى الجدال بعدم التصديق مع ذلك بنزوله السماوى ...

لم يكن وارداً مع كل تلك الظروف لن يقع اى خطا فى النص القرآنى أو مخالفة عن الصورة التى جاء بها جبريل عليه السلام الى المصطفى الامين ولقد كان كل واحد من المسلمين الأوائل على ذلك الجانب المخلص من الانشغال الدائم بالقرآن الذى لا يمكن ان يحصل معه

تحريف أو تغيير أو التباس فى آية كلمة أو عبارة منه ، فهو مسجل عند الكثيرين محفوظ فى صدورهم اجمعين مردد منهم صباح مساء ، وارد على السنتهم وجائش بخواطرهم فى كل ما يعن أو يعرض لحياتهم من قضايا .. فالرسول الكريم اخلاقه القرآن والمسلمون يتاثرونه كل الوفاء والمحبة والاعزاز الذى يكون من المؤمنين الذين يحسون بشرف معاصرة آخر الأنبياء محمد عليه السلام .

ثم كانت حروب الردة

كان طبيعياً جداً أن تؤدى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كاعظم انسان عرفته الدنيا بشهادة المحبين والأعداء المنصفين ، الى هزات عميقة وان يترك صدى هائلا شمل شبه الجزيرة العربية من اقصاها الى اقصاها ، بل إن تلك الوفاة احدثت ذهولا ضخماً حتى فى انفس بعض صحابته عليه السلام من أقرب المقربين له . لكن الغمة لم تلبث ان انكشفت عن جميع من بالمدينة بالرؤية الواضحة الحاسمة للرجل الصادق الفذ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واول خليفة له ابو بكر الصديق رضى الله عنه ، وبينما استمسك ابو بكر بحرفية اهداف الرسول الكريم وتابعه الصحابة فى عزمه حيال انفاذ جيش اسامة بن زيد ، والتشدد الحاسم مع القبائل الجديدة العهد بالاسلام والتى فتنت وارتدت . إلا ان اولئك المفتونين الكثار ظنوها فرصة يهتبلونها للتخلص من الجوانب الحضارية المنضبطة من الاسلام كنظام للحياة الدنيا وللآخرة ، وعاودتهم ذهنيتهم القبلية وعصبياتهم القديمة فارتدوا عن الدين أو عما زعموا انهم لا يقبلون به كدفع الزكاة لحكومة الاسلام فى المدينة ، وكان من أشد الناس عتوا فى تلك الردة قبائل شرقى الجزيرة العربية الامر الذى ادى فى معركة اليمامة لاستشهاد عدد ناهز السبعين رجلا من حفظة القرآن الكريم .

وتعاظم الأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخاصة وخشي على القرآن الكريم من عواقب فقد ذلك العدد الكبير



من الصحابة والحفاظ ، وقيل إن عمر مضى لابى بكر رضى الله عنهما يقول له «لقد استحر القتل بقراء القرآن يوم اليمامة وإنى اخشى ان يستمر ذلك فيذهب من القرآن كثير وإنى ارى ان تامر بجمع القرآن» ، وقيل ان ابا بكر رضى الله عنه تردد تحرجاً من فعل شيء لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل عمر يراجعه فى الأمر حتى شرح الله تعالى صدره لذلك ، فندب للأمر زيد بن ثابت وهو من ابرز كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أوثق حفاظ الكتاب الكريم .

التوثيق :

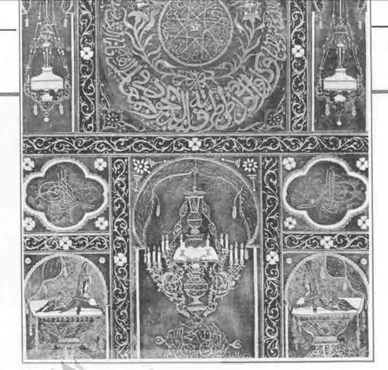
امر الخليفة كل مسلم لديه اية صحف او رقاع او عسب أو اية مادة عليها نصوص قرآنية مكتوبة ان يضعها تحت تصرف زيد بن ثابت كما عين ، إلى جانب زيد ، سالم مولى ابو حذيفه الذى يعتبر من رواد الدراسات الاسلامية ، ليتولى مهمة الجمع ، اما زيد فكان يتولى التدوين للنسخة الأولى المتكاملة من النص القرآنى التى وضعت بعد أقل من سنتين من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان معظم المسلمين يحفظون كل على قدر قريحته ، ومنهم من يحتفظ بالرقاع إضافة إلى حفظه .. لقد كان زيد شاباً يوصف «برجاحة العقل وحسن السيرة» وعلاوة على ذلك فقد كان ، بلغة يومناهذا ، على اكبر قدر من المسئولية يدل على ذلك ما عرف عنه من تكراره القول «فوالله لو كلفونى ثقل جبل من الجبال ما كان اثقل على منه (اى من جمع القرآن ومسئولية ذلك)فتتبعت القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال» .

لم تكن طريقة زيد رضى الله عنه إلا طريقة البحث العلمى المنهجى بكل ما تحمله العبارة من معنى فهو بالنسبة للحفاظ كان يشترط على الحافظ أن ياتى بشاهدين يشهدان بان ما اتى به الرجل محفوظا فى صدره أو فى مخطوطته كان طبقاً لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم العرضة الأخيرة ، وكتب بين يدى الرسول عليه السلام .وكان القرآن بكامل نصوصه قبل ان تضم النصوص بعضها الى بعض قد عرض فى السنة الاخيرة لحياته عليه السلام من قبل جامعى القرآن على عهده عليه السلام وهم كما يذكر محمد بن اسحاق فى الفهرست على بن ابى طالب ، وسعد بن عبيد بن نعمان وابو الدرداء عويمر بن زيد ، ومعاذ بن جبل بن اوس وابو زيد ثابت بن زيد وابي بن كعب بن قيس .

وبعد مطابقة نص الآية على كل متوفر من العسب أو اللخاف أو اكتاف الغنم والمواشي وعلى حفظ الحفاظ ، كان زيد يتولى تدوينها فى الاديم (الجلد المدبوغ) فلما اكمل مهمته تقدم بكامل صحائف الأديم الى الخليفة ابى بكر رضى الله عنه ، ثم انتقلت العهدة الى خليفته عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الذى أودعها عند ابنته حفصة لتكون مسئولة عن صيانة العهدة أمامه ، وظلت الصحائف عند حفصة الى ما بعد وفاة والدها ، وطلب خليفته عثمان بن عفان رضى الله عنه ذلك منها لكى يتولى تدوين مصحف يقرؤه المسلمون جميعاً فى الأمصار كما فى المدينة ...

اختلاف اللفظ للنص الواحد

من الامور المعروفة لسائر الناس ان



الكلمة الواحدة تتعرض لتغاير طفيف فى النطق الصوتى فى القطر الواحد بين بلد وبلد ، وفى القضاء الواحد بين قرية وقرية او قبيلة وقبيلة ، وذلك واضح فى طريقة لفظ حروف العلة ، ولاسيما الالف بين المد والقصر ، بين الاطالة العلوية والامالة اليائية .. وكان ذلك يقع فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحيث أن ذلك لا يمس النص القرآنى بما يضار بن محتوى او شكلا وكان عليه السلام يتسامح فى سماع تلك الفروق التى حصرت لاحقا فوجد أن الممكن تصنيفها فى سبع مجموعات من طرق اللفظ ذوات الخصائص المحددة المعروفة التى عرفت باسم «الاحرف السبعة» .

وكان طبيعيا الا يثير الموضوع اى ردودفعل ما ظل الامر محصوراً فى نطاق القبائل العربية الأصيلة داخل شبه الجزيرة فان القرشيين مثلا يعرفون أن التميمى يميل الألف حتى لتخرج من شفتيه أقرب الى لفظ الياء ، ولكن حين خرج المسلمون للفتح فى الأمصار واختلط بالعرب غيرهم من المسلمين المستجدين من الشعوب الاخرى التى اخذت العربية تفشو بينهم طبيعيا ان يظهر بعض الأشكال وسوء الفهم وانه لامر طبيعى ان يستهجن البعض طريقة لفظ البعض الآخرين وأن يحصل تنافر بين بعض الجنود فى المعسكرات ايهم أصلح لفظا وأكثر قربـا من الصواب المطلق .

وتجمع الروايات التاريخية على أن حذيفة بن اليمان تولى قيادة جند الفتح فى أذربيجان فى عهد ولاية سعيد بن العاص على البصرة للخليفة عثمان بن عفان ، وان حذيفة لاحظ فى معسكره جنداً من حمص يزعمون أن قراءتهم للقرآن خير من قراءة غيرهم لأنهم اخذوها عن المقداد بن الأسود بينما يقول جند من الكوفة إن قراءتهم خير لأنهم أخذوها عن عبد الله بن مسعود فيما يقول البصريون إن قراءتهم على أبى موسى تجعلهم أصح من كل من عداهم .

وتعاظم الأمر حذيفة وراح يتولى حملة جادة لاعتماد اللفظ القرشى فى مصحف موحد اللفظ منعا للمجاذير وحبا للخلاف فحدث بذلك سعيد بن العاص كما حدث به عدداً من الصحابة واخيراً جهر برأيه للخليفة فبادر عثمان رضى الله عنه الى استشارة أصحاب الرسول فتعاظمهم الأمر واشاروا بما أشار به حذيفة وفعلا امر الخليفة زيد بن ثابت يعاونه عبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام للقيام بالتدوين الثانى للقرآن الكريم على أساس الحسم فى الفروق اللفظية باعتماد اللفظ القرشى ، أفصح وأسلم لفظ عند العرب ، علماً بأن سائرى زملاء زيد فى المهمة هم من القرشيين .

التدوين الثانى

وهكذا فان الرجل الذى شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى تولى عملية التوثيق والتدوين الأول الذى حفظ النص ، كما قام بالتدوين الثانى الذى اعتمد لفظ قريش ، وحالما انتهى من مهمته بكل روح المسئولية العظيمة التى اظهرها فى سابق جهده .

وأصدر الخليفة عثمان رضى الله عنه أمراً باحراق سائر التدوينات الأخرى واعتماد النسخة التى انجزها زيد وزملاؤه ، وأنجز من النسخة المعتمدة أربعة مصاحف أبقى أحدها بالمدينة وأرسل بالنسخ الثلاث الى كل من الشام والبصرة والكوفة .

لم يعد هناك إذن سوى مصحف واحد يحوى النص القرآنى مكتوبا على وفق اللهجة القرشية الفصحى ، ويتلى بها ، ولا رسم لكلماته غير ذلك الرسم العثمانى ، فلو قرأ رجل باحدى القراءات السبع أو الحروف السبعة فان ذلك لا يغير ولا يبدل شيئا من رسم القرآن الكريم الذى نسبت قراءاته الشفوية السبع الى أبى عمرو بن العلاء البصرى ، وحمزة وعاصم الكوفيين ، وابن عامر الشامى وابن كثير المكى ونافع المدنى .

وقد أصبحت الفروق اللفظية الحتمية لأحرف القراءات السبع أساسا لعلم عرف بعلم القراءات كان من شيوخه المعروفين ابو بكر بن مجاهد البغدادى الذى بلور ذلك العلم وبنى هيكله الأساسى فى النصف الأول من القرن الرابع للهجرة ..

وهكذا تحقق وعد الله جل جلاله بحفظ الذكر الحكيم فكان احكم وأقدم وأوثق وثيقة عرفها الانسان ناجية من كل تحريف وتبديل ...

«أحمد العنانى»









تحقيق: نـــادية رزق

قطـــريون وجهـا لـــوجه أمام الصناعة

فى عام ١٩٧٠، قررت هيئة الامم المتحده إنشاء مركز اقليمى للتدريب والتطوير المهنى فى منطقة الخليج .

ولابد أن هيئة الأمم المتحدة كانت لديها ـ قبل ذلك التاريخ بست سنوات ـ المعلومات الكافية عن قرار سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، بانشاء إدارة التدريب والتطوير المهنى فى دولة قطر . إذ كان سموه يرى ببصيرة الحاكم المسئول عن مستقبل وطنه وشعبه ، انه لا بديل عن الاتجاه نحو خطة التصنيع من اجل تامين مستقبل البلاد وتنويع الدخل القومى فيها . ولأن التصنيع يحتاج بالضرورة الى فنيين ومهنيين مهرة قادرين على العمل فى المصانع والشركات والمؤسسات .. فان انشاء مركز للتدريب والتطوير المهنى يصبح ضرورة أولى على طريق التنمية وهكذا تحول القرار الى التنفيذ :

قامت ادارة التدريب ـ تحت اشراف مديرها فايز قدورة ـ بتاسيس الأقسام المطلوبة . وهكذا بدأ الشباب القطرى يدخلون عالم الآلة المعقدة من باب العلوم النظرية والتطبيقية .

ولهذا .. حين أصدرت هيئة الامم المتحدة قرارها بانشاء مركز اقليمى للتدريب والتطوير المهنى فى منطقة الخليج .. رأت أن تكون دولة قطر هى مقر هذا المركز . اولا : لخبرتها السابقة فى استلهام الفكرة من واقع احتياجات البيئة وتطبيقها . وثانيا : لأن الموقع الجغرافى لدولة قطر يضعها فى الوسط









● الشباب القطرى يدخل عالم الآلة المعقدة من باب العلوم النظرية والتطبيقية !

● التحدى الحقيقى للعصر هو الاتجاه نحو التصنيع

● لماذا اختارت هيئة الأمم قطر لانشاء مركز إقليمى للتدريب ؟

بين دول الخليج ، وذلك يجعل من المركز مصبا سهلا تتجه اليه رغبات الشباب فى المنطقة ، مثلما يجعل منه مركز إشعاع تقنى لكل مؤسسات الانتاج فى المنطقة .

وهكذا ايضا ـ قبل البدء فى انشاء المركز الذى قررته هيئة الأمم المتحدة ـ اجريت الاتصالات بين دولة قطر وباقى دول المنطقة لمعرفة احتياجات المستقبل من الفنيين المهرة المدربين للعمل بالمصانع والشركات والمؤسسات فى كل من دولة قطر والدول الخليجية ، مثلما اوفدت هيئة الامم المتحدة خبراءها لكى يستعان بهم ضمن برنامج التنمية . وقد استمر هذا التعاون لمدة خمس سنوات تحقق خلالها :

● تحديد الاهداف الرامية الى تاسيس وإدارة مركز التدريب **المهنى** لتامين التدريب المطلوب .

● تنظيم برامج التدريب المكثفة للمتدربين النظاميين .

● تنظيم برامج تدريبية للدورات الخاصة والوظائف المستحدثة من اجل تحسين كفاءات المهنيين والمراقبين والمشرفين .

و .. بالتدريج ، تم الاستغناء عن خبراء الهيئة . وحل محلهم مدربون قطريون وعرب . ولم يبق فى المركز غير خبير اجنبى واحد . مثلما اقتنع المسئولون بضرورة تبعية مركز التدريب والتطوير المهنى لدولة قطر ، بحيث تتكفل بميزانيته كاملة ، والتى بلغت هذا العام ١٧ر٢٣١ مليون ريال قطرى ، وذلك





قطريون وجهاً لوجه أمام الصناعة

لكى يقوم بتدريب القطريين مهنيا ووظيفيا بالطريقة المناسبة والتى تخولهم الاحلال محل الموظفين الأجانب .

الكوادر الفنية

.. فى لقاء مع فايز قدورة مدير إدارة التدريب والتطوير المهنى قال لى :

ـ إن هذا المركز هو الوحيد فى منطقة الخليج ، وباقى دول المنطقة تستفيد من وجوده ومن التسهيلات التى تقدمها دولة قطر ، من أجل إعداد كوادر فنية من أبناء الخليج .

وقال لى إنه على سبيل المثال تخرج من المركز فى عام ١٩٧٩ بالتحديد ١٠٥٠ متدرب قطرى ، ١٧٨ عمانى ، ٦٤ يمنى ، ٦١ من دولة الأمارات العربية ، و ٤ سعوديين ، فضلا عن عدد من المتدربين من بين أبناء فلسطين والأردن والصومال والسودان وتنزانيا وباكستان ، فقد بلغ عدد المتخرجين فى العام الماضى ٢٧٣٠ متدرب ، كما أن حكومة قطر تتولى صرف مكافأة مالية لكل المتدربين .

طموح التدريب

وداخل مركز التدريب المهنى يمكنك أن ترى الورش المجهزة باحدث المعدات المختارة التى يجد فيها المتدربون أنفسهم فى أعمالهم ، بالاضافة لمختبرين لتعليم اللغة الانجليزية .

كما يحتل المركز موقعا جميلا على مساحة تبلغ ٦٢٫٦٠٠ متر مربع ويبعد حوالى سبعة كيلو مترات غربى مدينة الدوحة فى مدينة خليفة ، وعلى إمتداد كورنيش الدوحة .

وقد تم الانتهاء من إعداء ورشة للأدوات الدقيقة ، وورش للعلوم الهندسية ، كما يجرى إنشاء قسم جديد للديكور ، وغرف جديدة للدراسة بقسم الدورات الخاصة ، وبناء مكتب للرسم الهندسى ، وورشة لجهاز الاختبارات النظرية .

وعندما يلتحق الطلبة الذين انتهوا من الدراسة الابتدائية بمركز التدريب المهنى لابد من مرورهم أولا بقسم الدورات التحضيرية لتأهيلهم للالتحاق بالاقسام المهنية الأخرى ، وبعدها يتم تحويلهم الى الاقسام التى تناسب قدراتهم وميولهم العلمية .

ومدة التدريب بهذا القسم ستة شهور فى الغالب ، وهذا بالطبع يعتمد على ما يبديه المتدرب من تقدم .

والغرض من الالتحاق بهذا القسم هو اعطاء المتدربين الفرصة للتعود على استعمال الآلات اليدوية الدقيقة بالاضافة لتدريبهم على اللغة الانجليزية الأساسية للعمل ، وتحسين مقدرتهم فى الحساب ، وكذلك تعريفهم بالمصطلحات الهندسية البسيطة ، وتدريبهم على عمليات القياس الدقيقة على مقاييس متنوعة مترجمة ومختارة لتناسب مستواهم .

وفى نهاية الدورة يتم تقييم مقدرة كل متدرب حتى يتم تحويله الى قسم التدريب المهنى الذى يبدى نحوه المقدرة الكافية والاستعداد المناسب .

عرض الحقائق

وتاتى الأقسام الأخرى ومهمتها تدريب المهنيين الأكفاء على المهن المختلفة المطلوبة فى الدولة .. ولابد للمتدربين على هذه المهن أن يكونوا حاصلين على شهادات أعلى من الدراسة الابتدائية عند الالتحاق بهذه الدورة التى تتضمن : النجارة ، الميكانيا ، التكييف والتبريد ، توليد الطاقة ، الديكور ، الخراطة وغيرها .

ومدة الدراسة فى هذه الدورات سنتان ، وتدرس بها المواد العملية والنظرية على السواء بالاضافة لدراسة اللغة الانجليزية والرياضيات والعلوم الهندسية ، وغيرها من العلوم المتعددة .

ولا تؤمن إدارة التدريب فى المركز بأن التدريب مجرد نظريات تعطى للمتدرب ، وعليه أن يتقبلها كما هى ، بل تؤمن





● المستقبل للعمل المهنى الذى يعتمد على براعة من يعمل أمام الآلة !

بضرورة عرض الحقائق فى مختبرات العلوم لتوضيح كل برهان ، ثم يطلب من **كل متدرب أن يقوم بإجراء التجارب بنفسه حول النظرية المتعلقة بالبحث الذى يدرسه ، وبناء عليه يتم تخريج مهنين ذوى كفاءة ومقدرة ومصدر ثقة لكل من مركز التدريب والدوائر الحكومية** والمصانع التى سينضمون اليها .

كما أن هذا التدريب يسهل عليهم التقدم السريع فى المستقبل للقيام بتدريب اكثر تقدماً على المستوى الفنى سواء كان ذلك فى مركز التدريب أو فى اية كلية فنية فى الخارج .

الكفاءات المهنية

ولكى تلتحق بالاقسام الاخرى فى المركز ، فمطلوب الحصول اولا على الشهادة الاعدادية ، لتتدرب داخل المركز على مهن : الراديو والتليفزيون ، مسح الأراضى ، الآلات الدقيقة ، وغيرها من المهن .

والغرض من هذه الدراسة أيضا هو تامين المهنيين الاكفاء للالتحاق بالأعمال الحكومية ، وأعمال القطاع الخاص فى الصناعة ليحلوا محل الموظفين الأجانب فى المراكز المهنية المعنية ، كما ان إسهام هؤلاء المتدربين فى خدمة مصالح الدولة سوف يكون له أثره الفعال .

اما القسم الثالث بادارة التدريب فهو قسم الدورات الخاصة واهمها دورة «سيتى أندجيلدز» وهو معهد فى بريطانيا ينظم دورات للمتدربين فى المركز على الآلات الدقيقة والتجهيزات واعمال الخراطة ، وتمديدات الكهرباء والميكانيكا وغيرها..

أين يذهبون ؟

وداخل المركز رايت كيف يجرى التدريب فى قسم تطوير الكفاءة الوظيفية التى يحتاج اليها الموظفون القطريون لدى الحكومة فى مجال الأعمال الكتابية وإدارة الأعمال مما يحقق لهم الكفاءة اللازمة للقيام باعمالهم الوظيفية على احسن وجه .

ويهيىء هذا القسم الفرصة للتدريب أثناء الخدمة فى دورات تشمل الأعمال الكتابية والادارية ، ويحق لكل موظف ترشحه دائرته الالتحاق بهذه الدورات ، وعلى رأس هذا القسم يوجد خبير من منظمة العمل الدولية ، مختص فى التدريب على الأعمال الكتابية والسكرتارية والحسابات ، والطباعة .

إلا انه لابد لكل متدرب من أن يلم باللغة الانجليزية كشرط اساسى للالتحاق بالدورات . ولذلك انشئت بالادارة ثلاثة مستويات لدراسة اللغة الانجليزية . **ثم يدخل المتدرب القسم الذى يتناسب مع ميوله . فاذا انتهى من** التدريب ، تم إلحاقه باحد المصانع او الشركات .

المتدربون القطريون

وقد اثبت المدربون القطريون براعة فائقة فى استيعاب مواد الدراسة العملية والنظرية ، وهم يقومون حالياً بتدريب الأجيال الجديدة من الشباب .

ومن المدربين القطريين : يوسف السليطى ، وحمد فضل النعيمى ، وعيسى الهتمى ، وحسن على ، وحمد عتيق السليطى ، الذين يجمعون على ضرورة الكشف على مواهب وميول المتقدم قبل إلحاقه بأى قسم ، ويؤمنون أن المستقبل للعمل المهنى الذى يعتمد على براعة من يعمل أمام الآلة والمعدات الدقيقة ، ويؤكد المدربون القطريون على أن حماس الشباب القطرى يتزايد للالتحاق بالمركز للاستفادة من التسهيلات التى تقدمها الدولة ، حتى يسهموا بعد التخرج فى تقدم ورقى دولتهم ، وليواجهوا تحديات العصر المتمثلة فى التصنيع والتنمية .

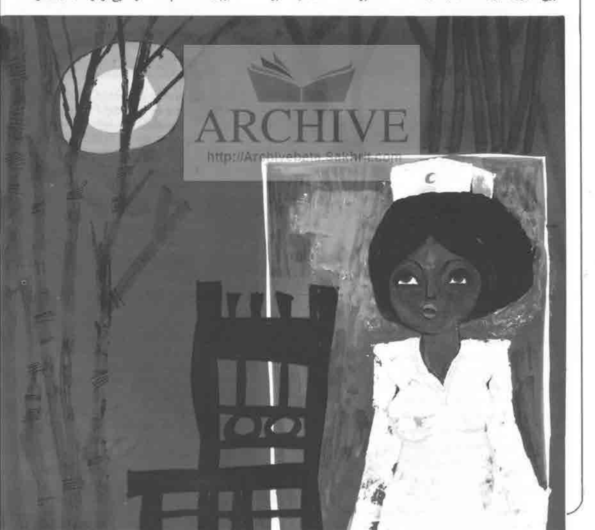
نادية رزق

المخاض

بقلم : أم أكثم

● **الليلة الأولى :**

يصعقنى الألم .. فجاة .. بضربة خاطفة كالبرق .. ارتعش كنبتة ضعيفة .. ينتشر .. ينتشر .. ينتشر الألم فى جسدي كذرات رمال فى وجه عاصفة هوجاء .. سقف الغرفة يرتفع .. يبتعد .. احس اننى بعدت كثيرا عن الله .. المروحة صغيرة .. معلقة .. تعدو بسرعة .. احسها كحوافر الجياد تسحق راسي .. الريح تهرول بين الأشجار من خلف النافذة الوحيدة.. المساء يحترق .. الحزن .. ينمو .. ينمو كشجرة لبلاب خرافية اقبض بيد واحدة على قضبان السرير الحديدى .. ذراعى الاخرى مستسلمة فى صمت لكيس بلاستيكى صغير .. مملوء بسائل شفاف كالماء .. يسقط فى عروقى قطرة قطرة .. كدموع مرهقة اوشكت على الجفاف .. ادفن وجهى المتعب فى الوسادة البيضاء .. تكبو جدران الغرفة البيضاء .. الاسرة البيضاء .. ثوبى الابيض .. المنضدة البيضاء .. تكبو على صدرى .. احس بثقلها .. احس بضعفى .. اه .. ما اتعسك يالون الموت والفرح .. تصدم الريح زجاج النافذة باجنحتها القوية .. يتكسر قلبى .. فى جسد السماء نضجت الغيوم السوداء .. اكتملت دورتها .. بدات بطرح جنينها .. الغيث الوديع يهمى .. اصغى لتنهد العشب بعد جفاف .. متى .. متى ستكتمل دورة العذاب هذه وتخرج زهرة الامل لتطل



براسها الصغير الوديع فى جسدى .. عاصفة هوجاء من احزانى تطمرنى تحتها .. تسبح عيناى فى بحيرة من الدموع .. كسمكة صغيرة مرعوبه تفر من قدرها .. ينتشر الألم .. الذكريات الشاحبة تتلوى على عنقى تنفث فى صدرى القحط والجفاف .. اذرعة المروحة الثلاثة تتطاول .. تمتد .. تخنقنى .. جسدى ينتفض .. يرتعش كعصفور جريح تحت وابل من المطر .. اصرخ .. الألم ينتشر .. اصرخ .. وصوتى ذاو من شدة الجفاف .. اصرخ .. اموء .. اعوى .. اثغو .تعدو الممرضة الهندية كالقدر الأحمق .. تلقى نظرة سريعة .. تهز راسها يمنة وشمالا .. لغتها العربية تذبح على لسانها « لسه بدرى .. ما فى ولاده .. إنت لسه سبع شهور » . اصرخ .. الألم يرشف ما تبقى من قوة فى جسدى .. اموء .. اعوى .. اثغو .. تتلفت النسوة اللاتى يشاركننى الغرفة .. يحيط بهن فى حنان وحب نساء من اسرهن .. ازواجهن ينتظرون فى الخارج تلهفا لبشارة مزغردة .. يتلفتن تجاهى .. اصرخ .. الألم يقتلعنى اقتلاعا من على فراشى كشجرة .. اسيرة الظلما انا .. لا يد تمتد نحوى .. لماذا .. لم تات .. لماذا .. قل انك ستاتى .. اصدقك .. اغفر .. اموء كقطة مهجورة .. يتلفتن نحوى .مسكينة الله يساعدها .. و .. اهوى فى إغماءة عميقة .

● الليلة الثانية :

الشمس تؤذن بالغروب .. اشعتها الراحلة تلقى بخيوط واهية من ضوء على جذوع الأشجار واوراقها الخضراء .. النضرة .. ملتهبة نشوة بلقاء المطر ليلة البارحة .. رحلت الشمس .. وصل الليل .. انزلق القمر من خلف سحابة .. تدثرت النجوم المنتشرة كعيون مضيئة عشقا بغيمات كثيفة سوداء .. يهمى المطر .. خفيفا .. رقيقا .. ناعما .. ولوقع انفاسه على النافذة الزجاجية صدى كلهثات متحدة حادة .. متلاحقة .. هجع الألم .. انتظر .. كان حزنى هادئا اليفا كقطة وديعة .. انتظر .. المطر يهمس بانه



المخاض

قادم .. انا أصدق المطر .

— أين امك ؟

قالت جارتي الصبية .. وجهها الأسمر الهادىء يذكرني بحكايات جدتي الطيبة .. وابطالها الطيبين .

— ماتت .. بعد ولادتي .. كاد «يفتك بي الحزن فجاة كداء خبيث» . شؤما عليها .. كنت تجربتها الأولى في المخاض والولادة .. المسكينة «بهطل حزني» لم تعلم بانها ايضا تجربتها الأولى والأخيرة مع الموت .

— انك شديدة الحساسية .. هذه إرادة الله .. اذن أين والدك ؟

« وتستحيل لهثات المطر الحادة .. إلى صراخ موجع » .

اهمس .. اضمد جرحي النازف .. والسماء الطيبة تصغي ..

— مات والدي .. وهو يمشط جدائل البحر بحثا عن لؤلؤة مهجوره .. مات بلا قبر .. من يدري ربما اغواه ترايتون إله البحر بصدفته العجيبة التي يصدر منها أصواتا ساحرة .. ربما اغواه .. تركني وحيده .. رحل .. ترايتون لماذا فعلت بي ذلك ؟

— إنني لا أفهمك .. حديثك عذب .. لكنني لا افهم هل مات والدك في البحر ؟

« أصبح الحديث عن موتك عذبا يا والدي .. عذبا للقلوب التي لم تعرف أبدا معنى الحزن .. وحزني أنا عميق .. غائر ..كالجدري .. يشفى منه الانسان .. ولكن يترك أثاره عميقة .. عميقة .. عميقة يا أبي .. من يضمني إلى صدره ليطفىء شعلة العذاب المزمنة التي تختلس عمري وتوهجي» .

— إذن هل عشت مع جدتك ؟

— نعم .

« أحاول .. أحاول .. اتذكر طفولتي .. وجه جدتي الطيب .. حكاياتها .. دارنا الجميلة الأثيلة .. و .. ماذا .. ماذا .. لاشيء .. وجثم الظلام على صدري كصقر يغرز مخالبه المقوسة حتى تفجر الحزن حادا .. إلهي .. هل كانت طفولتي مجرد اثار على الماء » .

وزوجك ؟

— مسافر .

« ليتك تصمتين .. كان حزني هذه الليلة اليفا كقطة وديعة .. بسياطك التي طاردتني بها تحولت القطة إلى لبؤة متوحشة هائجة .. وانا ضعيفة.. صدقيني .. ضعيفة ومتعبة .. والسقف يرتفع .. يبعد .. وحوافر الجياد تسحق رأسي » .

— مسافر !! ألا يعلم بموعد ولادتك ؟ .

«ألا تكفيـن أيتها السماء الطيبة » .

— جاءني المخاض قبل الأوان .. مازال هناك شهران على موعد الولادة الطبيعية .. لكنه مخاض مفاجيء وهو لا يعلم .

— آه .. مسكينة من أحضرك إلى المستشفى إذن ؟

« ينداح الحزن على وجهي كأمواج البحر العاتيه .. اختنق » .

— جارتي .

— هل اتصلت بزوجك ؟

« ما أقساك أيتها السماء الطيبة .. في ليلة ماطرة كجراحي .. جاءني المخاض .. على غير موعد .. كنت وحيده .. هجرني قبل ان أخبره بحملي .. هجرني مطاردا الخمر والقمار والنساء .. التي نبتت في لحمه ودمه كالطحالب السامه .. ذبلت حياتي .. لكنها ستورقه من جديد .. الطفل سينقذني وينقذه .. هذا القادم المنتظر .. كالشمس الدافئة في ليلة مثلجة .. سيعود .. المطر همس في قلبي .. سيعود بعد الولادة .. سيعود .. مع هذا القادم المنتظر .. وانا أصدق المطر » .

تثاءبت السماء الطيبة كطفلة بريئة .. استغرقت في النوم .. المطر يقرع زجاج النافذة طوال الليل .. أحسه كقلب ينبض خوفا ورعبا .. القمر هجر السماء .. وحيدة أنا كنبتة صبار مستوحشة في صحراء قاحلة .. دموعي متدفقة .. غزيرة كنهر .. حارة .. كماء النار تحرق شفتي .. أناخ الظلام بثقله الموج على الأشجار المزهرة المنتشية بعناق المطر .. لم أعد أسمع سوى تنهد العشب .. و .. صراخي المثكول .. الألم ينتشر .. ينتشر .. كذرات رمل في وجه عاصفة هوجاء .. المخاض .. نهاية الانتظار .. المحطة الأخيرة .. و .. صراخي المتوحش ينطلق مهرولا بين الأشجار وطرقات المستشفى الباردة كروح هائمة معذبة .

الليلة الثالثة :

القمر نما واكتمل في بحيرته السوداء .. وتدفقت أشعته الحانية على الأشجار لتكتمل نضارتها .. فرحي يتصاعد من شفتي كالشذى .. يلثم وجوه النجوم التي شاركتني حزني .. المطر يهمس انه قادم .. وتنزلق قطراته المتلألئة في حياء على الزجاج محدثة همسا افتقدته طويلا .. المطر يهمس .. إنه قادم .. وانا اصدقه .. احسه وهو يدب الى غرفتي على اطراف قدميه .. يأخذني بين ذراعيه .. ابكي طويلا .. يطلب المغفرة .. اغفر .. ادفن وجهي في صدره .. يتدفق شعري بلون حبات القهوة بين يديه شلالا من الفرح .. المطر قال لي ذلك .. و .. انفاس مغلقة بباب الغرفة .. في يدها كوب من الماء صاف كالزجاج .. وفي الأخرى كبسولة صغيرة نصفها رمادي والآخر وردي بلون الأحلام الجميلة ..

— لماذا هذه الكبسولة ؟

— « علشان ينام كويس » .

بجنون أضحك ضحكة شاسعة .. دافئة .. معطاءة كالبحر في أيام الصيف

— لست بحاجة لها .. دعيني اذهب لرؤية طفلي .

— « دلوقتي الدكتورة تجي » .

تدخل .. وانا التحف بردائي الحريري الأخضر .. وأغرق قدمي الصغيرتين في نعال من الفرو الأخضر موشاة بلون سنابل القمح .. يتمرد شعري على كل أسر .. أعطيه حريته .. يقفز من بين أصابعي كعصفور اشتاق السماء .. يتناثر على جسدي .. أصغي لتنهد العشب بعد جفاف .. تدخّل ..

— ها .. رايح فين .

— أرجوك .. أريد رؤية طفلي ..

يشحب وجهها .. التجاعيد فيه جداول جفت .. تهز رأسها .

— آ .. ما في .. بيبي .. بيبي مات .. صغير خالص .

بيبي مات .. بيبي مات .. القادم المنتظر .. مات .. مات .. أسقط على الأرض الباردة .. عشرات الأذرع تمتد نحوي .. أسقط .. وتسقط الحياة .

« أم أكثم »



شعر: محمد محمود الصويغ

يتنزى الجرح من الجرح
تفيق جميع الاحجار ..
يغيب الليل ..
وينصرف السمار ..

وانا ما زلت ..
كما كنت صغيرا
اخترق برأسي الجدران
ولا انظر في وجهي ..
قدام المرآة ..
لاني ..
أفضحه حين يراني

الليلة اجمع اشيائي
أجمع أشلائي ..
أغرب ..
أغرب ..
عن عين الشمس
عن الهمس ..

أغرب عن وجهي
اطوي في كبر الطاووس
ردائي ..

وتناديني باسمي
ناشدتك ..
ليس يباح الحب هنا

افيقي ..
انتصري يوما
انتحري يوما
ودعيني في زحمة جهلي
اتذكر جهلي ..

اتكلم ..
لكن حنيني المجنون
يضيع مع الريح ..
كهبة ريح ..
صمتي ..
علمني كيف اضيع وجهي
واضيع رسمي ..
واضيع وهمي ..

وعند المنعطفات الليلية ..
في قريتنا المظلمة الجرداء
من الشوق ..
رجعت اكابر حينا
اضحك حينا ..
ارقص حينا ..
لكني ..
ارجع من معركتي اليوميه
مع وجهي الاحمق ..
دون حياء ..
ارجع مهزوما ..
فدعيني احرق وجهي



بقعة الزيت أثناء زحفها على الشاطىء .

ماذا بعد بقعة الزيت على شواطئ قطر؟

مقاومة أخطبوط التلوث

● كانت مياه الخليج عذراء تحمل في باطنها أغنى مجموعة من الأحياء المائية!

● طيور البحر تخبطت محتضرة وسط السائل الأسود الذي ملأجوفها!

على شواطىء قطر تتجلى الارادة البشرية وهى تحاول مقاومة اخطبوط التلوث . وما بين الرمل . وبقعة الزيت ، وسطح الخليج الداكن . يقف الانسان ليدرك ابعاد هذا الانذار الذى جاء مبكرا وعنيفا .

إن بقعة الزيت هذه اشبه ملتكون بالطفح الجلدى لا يمكن تجاهله .. ومنذ ان خرجت هذه الكميات الزيتية الضالة من «رأس تنوره» على الشاطىء السعودى والتيارات المائية والريح تدفعها مثل قدر لا مفر منه إلى شواطىء البحرين شرقاً ..

ثم دفعتها غرباً إلى شواطىء قطر .. ثم جنوباً إلى ابى ظبى .. ثم عادت ببقع كثيرة منها واستدارت حول جزيرة قطر مثل قفاز اسود ..

لقد صنع الرجال بكفاحهم على امتداد الشواطىء ثقوباً فى هذا القفاز وبدا

ولكنه يفرض نفسه كأنه المالك الاوحد لها .. وهو بتدخله المستمر لا يدرك ان البيئة لها اتزانها الخاص رغم تغيرها المستمر .. ولكن هذا التغير لا يكون عميقا بحيث يؤدى إلى ارباك النظام البيئى ..

ومنذ وقت قصير كانت مياه الخليج مياهاً عذراء . ورغم وقوعه فى طريق حركة التجارة الدولية دائماً . وفى طريق الصراعات المسلحة احيانا إلا أن مياهه الزرقاء ظلت هادئة . تملك فى داخلها اغنى مجموعة من الاحياء المائية فى العالم بالاضافة إلى كميات من اللؤلؤ والمعادن ...

ولكن ظهور البترول قلب هذا الهدوء إلى ضجة عالية . ودفع بالخليج إلى بؤرة الاهتمام العالمى .. وبدأت تزار على صفحته الاف الناقلات العملاقة وتجوب ارجاءه عشرات السفن الحربية المسلحة . وتفتح احشاءه مئات الحفارات التى تبحث عن المزيد والمزيد من السائل الاسود السحرى .. وفى كل يوم يفقد الخليج شيئاً من زرقته . وتتمدد الطحالب فى قاعه كأنها حيوان خرافى وتعطيه من خضرتها لون الاحتضار ..

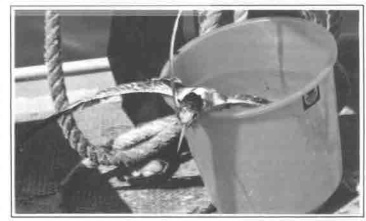
التلوث من اقدم الكلمات .. بدأت عندما خرج الانسان من كهفه لينصب الفخاخ للحيوانات .. ويشعل النيران لكى ينضجها عليها .. ولكن الكلمة أصبحت اشبه بالصرخة المدوية فىّ مؤتمر هلسنكى عام ١٩٧٢ حين ارتدت الدول الغربية مسوح القديسين وطالبت الدول النامية الاتقوم باى مشاريع صناعية أو أى برامج تنمية خوفاً من التلوث .. لحظتها صرخت الدول النامية .. بل مرحباً بالتلوث إذا كان هو الذى يقودنا إلى التقدم .

أوربا «القديسة» هى التى بدأت التلوث . ليس ضد نفسها فقط بل ضد العالم اجمع .. وهى التى جعلت التلوث هو الوريث المعاصر للمجاعات والاوبئة القديمة .. فان اى تغيير كمى او كيفى فى مكونات البيئة الحية وغير الحية لا تقدر الأنظمة البيئيه على استيعابه دون أن يختل توازنها . اوربا لم تبال بهذه التعريفات الاكاديمية ولوثت كل شىء وهى تبحث عن المواد الخام التى تحتاج إليها بأرخص السبل .. لقد كان الاستعمار الاوربى هو نفسه نوعاً من التلوث ..

وفى الخليج اخذ التلوث شكل تنين ضخم متعدد الرؤوس .. جسده غارق فى



طائر يطفو على سطح الماء .



ملأ جوفه السائل الأسود فودع الحياة .

النفط الاسود فى الذوبان والتراجع ببطء . وانقذت الشواطىء ولو مؤقتا ..

إن مشهد طيور البحر وهى تتخبط محتضرة وسط السائل الاسود الذى ملأ جوفها والتصق بريشها على مقربة من كثير من الشواطىء القطرية يدفعنا للتفكير اكثر من مرة فى هذه المشكلة التى فرضت نفسها علينا ..

الانسان عدو بيئته

الانسان هو العدو الأول للبيئة التى تحيط به فهو لا يكتفى بالعيش فيها

ماذا بعد بقعة الزيت على شواطئ قطر؟

الماء، وفى كل مرة يبرز راس من رؤوسه الكثيرة .. فهو امام قطر جاء ببقعة الزيت وقبل ذلك تسبب فى هجرة «الروبيان» إلى اماكن بعيدة .. وامام الكويت كان الامر اكثر خطورة عندما فوجىء سكان ميناء الشعيبه بالآف الأطنان من السمك الميت وهى تطفو ميتة.

انبوبة ضيقة

بالفعل الخليج انبوبة ضيقة . لسان مائى محاصر بين اليابسه لا يستطيع العودة إلى المحيط الهندى الأب ولا مواصلة طريقه . من مضيق هرمز جنوباً حتى شط العرب شمالا حوالي ١٠٠٠ كيلو متر . ليكون مسطحاً مائياً تبلغ مساحته ٢٢٦ الف كيلو متر مربع .. ولا يجب ان تغرنا الضخامة النسبيه لهذه الأرقام .. فهذه المساحة اشبه بالزجاجة قاعدتها عند شط العرب حيث يتراوح إتساع الخليج بين ٣٠٠ و ٢٠٠ كيلومتر ثم تضيق عند مضيق هرمز لتصل إلى ٦٠ كيلومتراً .. واذا قارناه بالمحيط الهندى الزاخر بالحياه والحركة سوف نكتشف ان الخليج بحيرة شبه راكدة .. اقصى عمق فيه لا يزيد عن ١٠٠ متر .. بينما يبلغ فى إجزاء كثيرة منه اقل من ٢٠ متراً وعلى الناقلات الضخمة ان تاخذ طريقها في حذر شديد وسط المياه العميقة وبعيداً عن الـ ١٣٠ جزيرة صخرية التى تتناثر على طول إتساعه ..

هذه الانبوبة الضيقة محاصرة بثمانية دول كلها تعيش حركة تطور نشيطة .. هى العراق والكويت والسعودية وقطر والامارات وعمان والبحرين وإيران .. منها سبع دول الخليج هو منفذها المائى الوحيد . والسعودية الدولة الثامنة لا يوجد لها موانىء بترولية على البحر الاحمر .. كل هذا جعل قدرة الخليج على تصريف النفايات التى تسبب له التلوث محدودة للغاية . اضف إلى ذلك درجة الحرارة العالية وارتفاع نسبة الرطوبة طوال العام .

الخليج كان يعد واحداً من اكثر مناطق العالم ثراء بالكائنات البحرية .



تنظيف الشاطىء من بقعة الزيت .

وقد قدر خبراء مصائد الاسماك بمنظمة الاغذية والزراعة الطاقة الانتاجية للخليج اكثر من ٥٠٠ مليجرام لكل سنتمتر مربع . ويبدو واضحاً ان هذه النسبة قد تراجعت إلى حد كبير . والمشكلة ان الخليج بخلاف كل بحار العالم هو الأمل الوحيد لمستقبل هذه المنطقة ذات الطبيعة القاسية فامكانيات الانتشار الزراعى محدودة . والبترول ثروة ناضبة . وبذلك تعود الانظار لتتركز عليه باعتباره هو مصدر الحياة الوحيد .. والباقى .. هذا الخليج قد صبر طويلاً على ما يجرى على صفحته وعلى شواطئه .. وتحمل الكثير.. عبء الاكتشاف .. ومتاعب التنمية .. ومرارة الصراعات السياسية .. ولكن إلى متى .. ؟ ..

البترول عصب الحياة

مع ظهور البترول بدات الحياة فى التدفق بسرعة رهيبة على المنطقة . واسرعت حاملات النفط العملاقة فى صفوف طويله وضاقت المسافة بين الحاملة والاخرى إلى كيلومتر واحد . واصبح يدخل الخليج سنويا اكثر من ٤ الاف ناقلة للنفط فقط . ففى هذه المنطقة وحدها يوجد اكثر من ٥٠٪ من مجموع احتياطى البترول العالمى وحوالى ١٣٪ من احتياطى الغاز الطبيعى وبلغت كمية البترول المنتجة من ٣٠ حقلا بحريا فى الخليج ما يقارب ٣٫٦ مليون طن يوميا .. واضاف التنقيب المستمر تحت الماء بعداً جديداً للتلوث البحرى نتيجة لتسرب البترول اثناء عملية الحفر ..

وعلى طول خط المواصلات الحيوى هذا نشات العديد من المشاكل .. فلا يكفى ماتتركه هذه الحاملات خلفها من بقايا نفايات الوقود والانسان .. بل ان هناك مشكلة «مياه التوازن» فالحاملات الفارغة وهى متجهة إلى موانىء النفط تحاول ان تحافظ على توازنها لذلك تملأ خزاناتها الضخمة الخالية بالمياه حتى إذا اقتربت من المصدر الذى تتزود منه اخذت تفرغ حمولتها شيئاً فشيئاً . وتكون النتيجة ان تنساب مع كل ناقلة كمية كبيرة من المياه المختلطة بالزيت .. وقد بلغت هذه المشكلة من الخطورة ان دفعت حكومة البحرين إلى سن قوانين ضدها فى الأشهر الأخيرة .

وهناك ايضاً مخاطر الانسكاب العفوى اثناء شحن البترول . وهى مخاطر لا يمكن تلافيها مع الأسف ويقدرها الخبراء بانسكاب حوالى نصف برميل مع تعبئة كل الف برميل .. وترتفع هذه النسبة الضئيلة مع تعبئة ملايين البراميل بشكل يومى ودائم .. وقد زادت هذه النسبة عند حدها وحاصرت بقع الانسكاب موانىء الشعيبة والشويخ



إزاحة الرمال أمام الشاطىء .

وسعود بالكويت فى عام ١٩٧٤ .
والنفط مادة غير قابلة للذوبان لذلك تشكل كتلاً متماسكة تطفو او تغوص او تندفع نحو الشاطىء .

والانسكاب العفوى يمثل للخليج نوعاً من الاستنزاف الدائم .. فاللتر الواحد من النفط يؤدى إلى استهلاك كمية من الاوكسجين موجودة فى حوالى ٤٠٠ الف لتر من ماء البحر ويمثل هذا الحرمان للكائنات البحرية اخلالا خطيراً بالتوازن الذى تعيش فيه .. وهكذا صعدت إلى اكثر من منطقة لافته تقول .. ممنوع السباحة .. وسوف تصعد لافته اخرى لتقول .. «ممنوع الصيد» .. وماذا بعد ان تتكاثر اللافتات ..

المدن مشكلة اخرى

والخليج الآن هو احدى مناطق الجذب الهامة للأيدى العاملة ولهذا فقد ارتفعت معدلات الاستهلاك وازداد طموح الخطط العمرانية . وامتد الاسفلت وسط الصحراء ينتهك هدوءها وسكنيتها بالاف السيارات التى يتوقع ان تصل إلى مليون سيارة فى أواخر العام يتصاعد منها ٨٠ الف طن من الغازات.

لقد نمت حول الخليج ما يقارب العشرين مدينة تضم حوالى ٥ ملايين نسمة اهمها .



لقطتان لعمليات المقاومة .

مدينة الكويت	٧٠٠ الف نسمة
مدينة البصرة	٣٥٠ الف نسمة
مدينة عبدان	٣٥٠ الف نسمة
ابو ظبى	١٨٠ الف نسمة
الدوحـــة	١٥٠ الف نسمة
الدمـــام	١٣٠ الف نسمة
دبى	١٢٠ الف نسمة
المنامة	١٢٠ الف نسمة
بندر عباس	٥٠ الف نسمة

وقد صاحب الارتفاع الكبير فى عدد السكان ارتفاع نسبة النفايات والفضلات والمجارى . وبدا لفترة من الزمن كأن الخليج قد تحول إلى بالوعة ضخمة يتحمل كل يوم كميات غير معقوله من المواد الصلبة والمتحجرة والاوراق والمواد الكيماوية والمواد العضوية . وبدأت أسماكه تسبح فى بحيرة غريبة .. معادية تزداد نسبة البكتريا فيها يوماً بعد يوم وتزداد نسبة الطحالب تبعاً لذلك مهما تهدد بالزحف على المؤسسات الصناعية وسد منافذها على المياه وتلويثها ..

وقد تنبهت مدن الخليج لخطورة إلقاء فضلاتها فى الخليج دون معالجة .. وأقيم فى الكويت أول مصنع لمعالجة مياه المجارى وصلت طاقته الانتاجية إلى حوالى ١٠٠ الف متر مكعب يوميا . واقامت قطر مصنعها الضخم فى منطقة النعيجه ويقوم هو ايضا بنفس الدور .

ومع تزايد السكان ازدادت الحركة التجارية ، فأصبح يعبر مضيق هرمز سفينة محملة كل خمس دقائق سواء دخولا او خروجا . وتكدست السفن فى الموانىء الخليجية الصغيرة نسبيا وأصبحت عرضة للانتظار الشهور الطويلة ولا يبدو أن هذه الحركة سوف تتناقص بل هى فى تزايد مستمر .. وهكذا بدأ الخليج واهب الحياة يدفع ثمن ازدهار الحياة على شواطئه .

الأمل والمخاوف

ومع ارتفاع أسعار النفط حدثت تغيرات أساسية اخرى . كان لابد فى موازاة الطفرة الحضارية بتبنى خطط طموحة للتنمية ، واول هذه الخطط هو بداية التصنع السريع .

وفى التاريخ المعاصر بدأ التلوث مع عصر النهضة الصناعية .. ولكن أهمية الصناعة فى الخليج أنها إحدى البدائل الهامة للمستقبل فالبترول سوف ينفد . والأرض الزراعية محدودة العطاء امام



هكذا تركت بقعة الزيت مخلفاتها

● ماذا بعد أن تتكاثر لافتات "ممنوع السباحة" أو "ممنوع الصيد"؟

● هكذا تنبهت المدن لخطورة إلقاء فضلاتها في الخليج دون معالجة

الحلم بالازدهار العمرانى الدائم.لم يكن من الممكن أن تترك الدول الخليجية مستقبلها للصدفة العمياء .

كانت الصناعة إذن فى مقدمة التغييرات الاقتصادية التى دخلت المنطقة . وعلى مدى العشر سنوات الماضية اقيمت على ساحل الخليج سلسلة من مصافى البترول العملاقة لكى تستطيع ملاحقة الآف السفن التى ترسو فى موانيها ولتلاحق ايضا احتياجاتها العمرانية وتستغل ثرواتها وقد بلغت الطاقة التكريرية فى منطقة الخليج ٤،٧٪ من طاقة العالم التكريرية وسوف تصل فى العام القادم الى ٨،٦٪ . وبذلك تكون الطاقة التكريرية قد وصلت الى ٩٦ مليون طن من خلال ٨ مصاف . اى حوالى ١٢ مليون طن لكل مصاف .. فاذا علمنا ان الطاقة التكريرية لاى مصفاة نفط فى غرب أوربا لا تتجاوز ٦٠ طن ادركنا مدى خطورة هذه النسبة المضاعفة .. ولوقت قريب كانت الدول الصناعية تقاوم بشدة قيام الدول المنتجة بتكرير منتجاتها ..

ولكن مع ارتفاع درجة التلوث الكبير فى أوربا انقلبت هذه المعارضة الى تشجيع مفاجىء .

ثم توالت المشاريع الصناعية .. وانشقت الرمال الهادئة عن مناطق صناعية جديدة حافلة بعشرات المشروعات . ولا يمكن لأى عاقل ان يقف فى وجه هذا التطور المطلوب .. فالتطور الصناعى هو صورة المستقبل المشرق إذا وضعنا له الضوابط التى تجعله متكيفا مع البيئة التى تحيط به ..

فالمشكلة أن معظم هذه الصناعات تعتمد على البترول او على مشتقاته .. واصبح الخليج يستقبل كميات كبيرة من الأمونيا من مصانع الاسمدة ومصافى البترول . وتتدفق إليه المياه الساخنة العالية التركيز بالاملاح وتحدث فى كل



آثار الزيت .

● الحاجة إلى إنشاء مركز خليجي لمكافحة تلوث البيئة وحماية المستقبل..

وضرورة أن تحيط كل المناطق الصناعية بحزام واقٍ من الأرض الخضراء

لحظة العديد من التغيرات الكيمائية والطبيعية التى تحاصر الكائنات الحية

الخليج مسؤولية أهل الخليج

والمؤسف ان معلوماتنا عن الخليج ضئيلة .. وعن التلوث اشد ضآله .. وامام الدراسات الواسعة التى درست هذا الموضوع فى كل مكان بالعالم تبدو الحاجة ملحة إلى وضع برامج واسعة للتعليم البيئي . فهناك ثغرات واسعة فى المعرفة الاساسية للوضع البيولوجى للخليج ونفتقد وجود «أطلس» يبين لنا توزيع الكائنات البحرية على طول الشواطىء ونفتقد الكثير من الخرائط عن حركة التيارات المائية والمد والجزر .

الخليج هو مسئولية أهل الخليج . وهو مسئولية جماعية لا تخص دولة بمفردها لأن المشكلة متعددة الاطراف لقد دخلت كثير من دول الخليج فى اتفاقيات مكافحة التلوث الدولية واقيمت الندوات والمؤتمرات حول هذا الموضوع . وعقدت جامعة قطر منذ اشهر قليلة ندوة تحت عنوان «رؤية مستقبلية للبيئة ومشكلات التنمية» وبدات الجهود الصناعية فى منطقة أم سعيد فى تنقية اجوائها من غبار اليوريا وانشات غلايات لتبخير سلفات الامونيا .. واخذت تتحكم فى نوعية المياه التى تخرج من وحداتها .. ولكن الحل يحتاج إلى جهد خليجى منظم وموحد ..

اننا فى حاجة لانشاء مركز خليجى لمكافحة التلوث يعطى له من الصلاحيات ما يمكنه من القيام بعمليات المسح الدورى لكل المسح المائى والقيام بدراسات حديثه ثم يقوم بالتدخل الفورى فى الوقت الذى يراه مناسباً .. ويمكن لهذا المركز ان يخلق ويدرب الكوادر المحلية التى سوف تتولى حماية الخليج فى المستقبل . ويجب ايضاً ان يرافقه إنشاء صندوق لمكافحة التلوث تشترك فى تمويله كل الدول المنتجة وشركات النفط وتفرض نسبة رسوم خاصة به على كل برميل بترول يتم تصديره ويمكن لهذا الصندوق ان يحل مشكلة تمويل المعدات التى قد لا تقدر عليها دولة بمفردها .

كما يجب اعادة تخطيط المناطق الصناعية وذلك بخلق رؤيا متوازنة بين ضرورات البيئة ومطالب التنمية وقبل ذلك يجب أن نحيط كل هذه المناطق بحزام واق من الأرض الخضراء .. ويجب نشر هذا الحزام بطول الخليج . فالنبات هو الحل الوحيد لاستعادة هذا التوازن المفقود ..

إن السفن العابرة للخليج يجب أن تراقب بدقة .. وتعد قائمة سوداء لأية سفينة تلقى مياه توازنها فى مياهنا .. ولكن تجهز مستودعات خاصة لهذه المياه يمكن بعد ذلك معالجتها او تصريفها بطريقة عالمية . وكل سفينة تخالف ذلك تفرض عليها مقاطعة خليجية عامة ..

ولكن .. الامر يتطلب حلولا اكثر جذرية ..

الايمكن أن تخترق خطوط التابلاين الصحراء متجهة غرباً أو جنوباً لتبتدع على البحار المفتوحة موانىء جديدة .. الفكرة قد تبدو غريبة وجنونية بعض الشىء ولكن الا تمثل حلا ينقذ هذا الخليج الهادىء من مياه التوازن والانسكاب العفوى وبقع الزيت السابحة ..

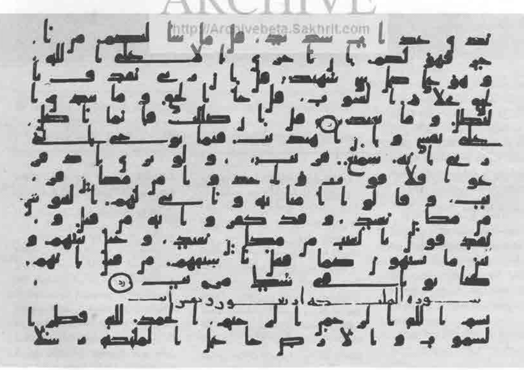
فكروا فى الأمر قبل ان تذوب بقعة الزيت ويبقى الخطر كامنا فى ضمير المجهول ..

درويش مصطفى الفار

وادي المُكتّب والقرآن الكريم

- ذلك الوادي الذي يحفر طريقه ميمّماً صوب خليج السويس
- من المؤكد أن الخط العربي هو أجمل خطوط أية لغة من اللغات

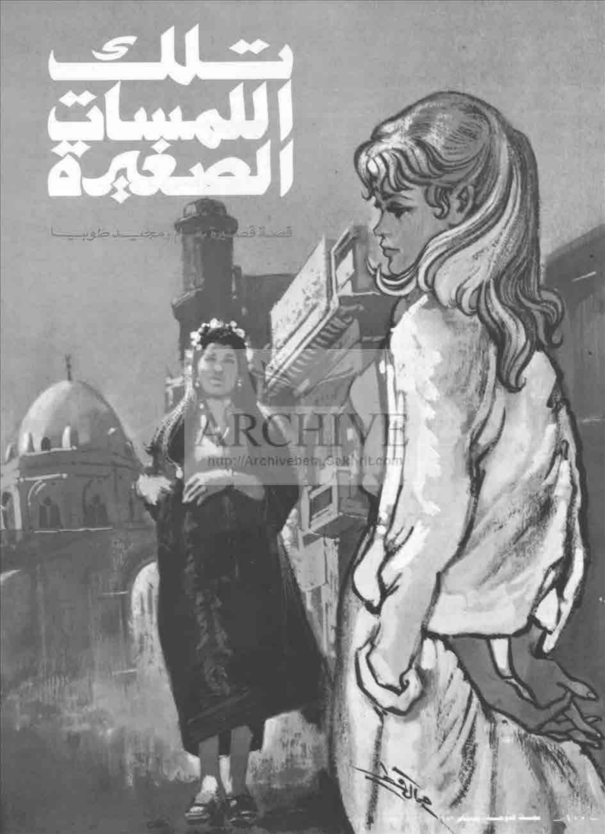
في شبه جزيرة سيناء ، بين مصر وفلسطين ، هنالك واد يطلق عليه البدو اسم (وادى المكتب) على وزن (مخطط ومعظم) وذلك لكثرة ما فيه من الكتابات والنقوش على حوائط الحجر الرملى النوبى ، الذى يحفر ذلك الوادى طريقه فى طبقاته السميكة ، ميمماً صوب خليج السويس ، او بحر القلزم كما سماه اجدادنا حين (كانوا) سادة البحار ، أيام احمد بن ماجد أو بدر الدين لؤلؤ ... ولقد تصدى كثير من الباحثين لدراسة تلك النقوش ... فخرج بعضهم براى يقول إن تلك النقوش (السينائية) هى أصل الأبجديات كلها !!! وأنها من اختراع عمال المناجم ومهندسي الجيولوجيا ، الذين كانوا قبل الميلاد بالفى عام أو تزيد ، يستخرجون النحاس والفيروز من منطقة (سرابيط الخادم) وما حولها ... وكانوا حينذاك خليطاً متجانساً من المصريين والفلسطينيين (الكنعانيين) متشاركين ، على السراء والضراء ، فى اقامة صرح الحضارة العربية حول وادى النيل العظيم ... ويقول أولئك العلماء إن تلك الأبجدية قد تسربت بصورة ما الى (جنوب) الجزيرة العربية الام ونشات عنها الكتابات السباية واللحيانية ، كما انتقلت الى شمالى الجزيرة العربية كذلك ، حيث نقلها



الفينيقيون من الشام الى بلاد الاغريق فكانت هنالك مصدر كل أبجديات أوروبا ، اللاتينى منها والتيوتونى والسلافى .. ويقول اولئك الباحثون ايضا ، ان العرب الانباط ، فى شرق سيناء وجنوب فلسطين والأردن ، حول سلع (البطراء) ، خلطوا مع تلك الابجدية السينائية شيئا من حروف الآراميين ، فكانت جذور الابجدية (العربية) ، التى نمت وترعرعت فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والبصرة ... وقد يكون هنالك خلاف بين العلماء ، فى ذلك السياق الذى أسلفناه ، بالنسبة لأصل الأبجدية العربية .. ولكن من المؤكد ، انه لا يوجد اى خلاف على الاطلاق ، فى أن (الخط العربى) بمختلف صفاته الفنية وروعاته الهندسية ، هو لا جدال اجمل الخطوط التى تكتب بها لغة من لغات البشر ، منذ ان اخترع الانسان الكتابة ، وميزه الله بها عن بقية خلقه اجمعين .. كما انه من المؤكد ان محبة كتاب الاسلام ، ودستور المسلمين ، القرآن المجيد ، كانت الدافع الأول والأخير للمسلمين (عربا وغير عرب) لتطوير الخط العربى واختراع انماطه الخالدة ، التى بلغت اوج عظمتها قبيل سقوط دار الخلافة الاسلامية (بايدى ابنائها وأعدائها) بعيد الحرب العالمية الأولى ...

ولما كانت الكتابة بالابجدية العربية ، مرتبطة كل الارتباط بالقرآن ، فقد كان واضحا لكل ذى بصيرة ، ارتباط كل المحاولات المشبوهة ، من دعوة الى الكتابة (بالحروف اللاتينية) الى مناداة باستقلال كل قطر عربى (بلهجته) الدارجة ، ثقافة وكتابة وشعرا وفنا ، بسوء النية تجاه القرآن ذاته معنى ومبنى .. وفى لجة العصر التجارية ، اتخذ طلاب الربح طباعة كتاب الله سلعة لا يبالون فيها بحرمته ، كما سكت العارفون عن الفروق بين المصاحف الشريفة المتداولة اليوم بين المسلمين ، فهنالك طبعات بالخط (المغربى) وطبعات بالخط (النسخى) وطبعات بخطوط إخواننا المسلمين فى جنوب وجنوب شرق اسيا ، وبين هذه الطبعات فروق لا تؤهل الرجل القارىء العادى ، هنا فى الدوحة مثلا ، ان يقرأ آيات (لا يحفظها) على صفحات مصحف شريف مطبوع فى تونس أو الدار البيضاء ... واقترح أن ننظر ، ونحن فى مطلع القرن الخامس عشر ، فى مسالة أن تتبنى جميع الهيئات الاسلامية فى كل أقطار الاسلام ، فكرة الحصول على نسخة من المصحف الذى ينسب الى الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لنطبع مصحفا جديدا يتداوله كل المسلمين ، بتصويره بالطرق الحديثة الدقيقة ، بحيث تكون الصفحات اليمنى (أو اليسرى) حاملة لصورة (طبق الأصل) من ذلك المصحف الشريف ، وعلى الصفحة المقابلة نفس الآيات بالخط (النسخ) وحولها هوامش تحمل تفسيرا مبسطا للمفردات ، ومعانى الآيات ، مستقاة من التفاسير المعتمدة السابقة وآراء الفقهاء الكبار ، المعاصرين ، طبقا للمعطيات العلمية الحاضرة ، اى أن يجمع هذا المصحف الشريف بين دفتيه ، صورة من الماضى المشرق العظيم ولا اعتقد ان هنالك مسلما لا يتمنى اليوم اقتناء صورة (طبق الأصل من مصاحف القرن الهجرى الأول، مع تفسير مبسط واضح حول النص القرآنى الكريم بالخط النسخى الاكثر انتشارا بين المسلمين ... وهل اطمع إن تباطأت الهيئات ، كما هى العادة ، ان يتصدى لتنفيذ الأمر احد اغنياء المسلمين ، وهم كثير ، مجندا له من البذل والسخاء ، ما ينفعه يوم الفزع الأكبر .. إنا لمنتظرون ...

يدي عذاب شديد، قل ما سألتكم من
أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله
وهو على كل شيء شهيد، قل إن ربي يقذف
بالحق علام الغيوب، قل جاء الحق وما يبدئ
الباطل وما يعيد ○ قل إن ضللت فإنما أضل
على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي
ربي إنه سميع قريب. ولو ترى إذ فزعوا
فلا فوت وأخذوا من مكان قريب.
وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش
من مكان بعيد. وقد كفروا به من قبل
ويقذفون بالغيب من مكان بعيد، وحيل بينهم
وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم
كانوا في شك مريب (٥٤)
سورة الملائكة أو سورة
بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله فاطر
السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا...


تلك
اللمسات
الصغيرة
قصة قصيرة بقلم مجيد طوبيا

لم يجد فى جرائد الصباح ما يستهويه ، ولم يطق المكوث فى البيت وحيداً ، فخرج ولم يكن مرتبطا باى موعد

فى ميدان «تريمف» صادقه الدكتور حسن ، لاحظ توتره فساله .. زل لسانه وكان ينوى كتمان الامر :

– اليوم اتم الاربعين !

– يوم ملائم لان تتزوج .

– نصيحة طبيب ؟؟

– طبيب وصديق .. وعلينا ان نحتفل بك اليوم .

رفض الفكرة مستنكرا : كيف يحتفل بفقد عام كامل من عمره الصغير ؟!

ركبا معاً إلى وسط المدينة .. قبل ان يفترقا اعطاه الدكتور قرصاً صغيراً :

– إن جافاك النوم ليلا ابتلع هذا ،

دقائق قليلة وتنام ، وقد تحلم احلاما سعيدة اخذه مبتسما ، ومضى وحيداً شاحبا ، متسكعاً دون هدف ، إلى ان شعر بالضيق ، فوقف حائراً متردداً ، ثم قصد كافيتريا «ل» متوقعا وجود اصحاب له ، متوقعاً موضوع حديثهم مسبقاً ، حكاية جليسهم «ن» مع الفتاة «ز» (لم يكن قد كون رايا بعد فى الفتاة ، وكان



تلك اللمسات الصغيرة

يرى أن «ن» معتل النفس) .. بالفعل وجدهم ينمون فى هذه السيرة ، ربما هرباً من سيرة الشرق الأوسط وأزماته ، ربما يأساً من عدم جدوى آرائهم !

فشل فى الاندماج معهم .. طلب قهوة باللبن ــ اكتشف نسيان ساعته بالبيت ــ فكر أكثر من مرة فى الانصراف ولم يفعل وظل يؤجل ، إلى أن دوى فى المكان انفجار مهول وأصوات زجاج يتهشم ، ثم هرولة الزبائن خارجين ، فخرج مع أصحابه .. عرفوا أن أنبوبة بوتاجاز قد انفجرت ، وشاهدوا نيراناً تشتعل ، سرعان ما أخمدها العمال (ودهش وأصحابه لأن آلة الاطفاء الخاصة كانت صالحة للعمل) .. ثم تفرق الشمل ..

ــ ٢ ــ

وحيداً مرة أخرى ، هائماً على غير هدى ..وجد «تاكسى» خالياً فركبه عائداً إلى مصر الجديدة .. فى الطريق حدثه السائق كالعادة عن أزمات المرور والاسكان وطوابير الخبز . حدثه أيضاً عن فساد الذمم .. شاركه ببعض الهمهمات ، وانظاره مشدودة إلى حسناء تحت العشرين ، زادها صغر السن حسناً لعله صار كبيراً على مثلها ، لو قابلها فى العمر الملائم لما تركها تضيع منه .. هز رأسه ساخراً فى بداية الشباب قابل من هى أروع ولم يطاردها (بل وربما هرب) .. ومنذ عامين فقط أحبته «منى»بجمالها وربيعها ، ورغم انجذابه ظل يروغ منها ، كان اتساع عينيها يربكه ، فخاف من الوقوع فى حبها ، شعر بأنه لن يحتمل من جديد مضاعفات الهوى (شوق ، غيرة ، عتاب ، فرحة خفية ، وجوم مبهم ، وغض الطرف عن الأخريات !) .. فلما ضاقت من تهربه ، نظرت إلى بياض سالفيه وقالت منذرة :

ــ حذار ، كن لطيفاً معى ..

ــ ٣ ــ

مع دخوله إلى المطعم بمصر الجديدة شرد إلى الصيف الماضى ، فى هذا المكان كان يتعشى مع صديقته الايطالية ، تقربه فى العمر ، ذكية ولطيفة ، كان ينبهر بطريقتها فى طلب الأشياء ..

تمنى لو كانت معه فى هذه الأثناء ، ينشغل بلطفها عن يومه الطويل هذا .. لكن لماذا يتهيب من هذا اليوم ؟! .. أليس يوما كباقى الأيام ، له ليل ونهار وأربع وعشرين ساعة ؟! .. الآن الناس يظنون أن سن الأربعين هى فاتحة أمراض الشيخوخة ؟! الآن الأطباء ينصحون فى هذه السن بالاقلال من التدخين والقهوة شعر بأنه لن ينام ليلا إلا بقرص صديقه الدكتور حسن ، القرص المنوم !!

منقبضاً خرج من شروده ــ لاحظ عينى امرأة ترنو إليه فى اهتمام ــ نادى على الجرسون :

ــ فنجان قهوة سادة .

شرب القهوة ، بعد الغداء سيدخن الشيشة ، وليرى ماسيحدث لقلبه هذا (الذى ظل ينبض أربعين عاماً كاملة بنجاح ساحق !!) .

جاءه الطعام .. مازالت المرأة تنظر إليه ، أنيقة الملبس ، بديعة التجمل ، تقترب من الخامسة والأربعين !! شعر بصدره ينضغط . كادت رأسه تنفجر ، فتذكر القرص المنوم ، وقرر أن يغيظ المرأة ويبتلعه ، كى ترى فارسها وقد غلبه النعاس وثقلت رأسه ونام على المائدة ، فيخيب أملها فيه وتكف عن النظر إليه !!

.. أحس بقطة المطعم تتمسح فى ساقه ــ كره الاستجداء فى عينى المرأة ــ مد إلى القطة قطعة لحم ، شمتها ثم عادت تتمسح فى ساقه .. تأملها منفعلا . ليس الطعام ما تريد وإنما الحنان ..

نادى على الجرسون كى يدفع ، سيتقاضى هذه المرة إن غالطه فى الحساب ، لكن الحساب جاء مضبوطاً .. ترك بقشيشاً كبيراً ومضى ، هو أيضاً لن يغالط الزمن !! .. رأى تجاعيد المرأة وهو ينصرف ، تذكر أباه على فراش الموت .. تأمل متعجبا وجوه المارة ، عاما بعد عام يبدد الانسان عمره ، وعندما يظن أنه أنجز شيئاً يجد شبابه قد بدأ يولى !! .. أما هو فحتى هذا الوهم لم يشغل باله به

توجه إلى مقهى الشيشة ، وجلس يدخن .. سرعان ما شعر بالسأم ، ليس موعد التدخين فلماذا جاء ؟! .. بعد تفكير تذكر ، إنما أراد أن يجرب قلبه ! ..



استصغر الفكرة ونهض سائراً .. ثم استقل المترو إلى بيته .

— ٤ —

قشعريرة خفيفة !! لم يعجبه هواء الشقة ، المرأة تمنح البيت رائحة أفضل ، مزيجاً من هواء الطبيعة وعطرها ورائحة الطبيخ .. لماذا لم تشغله فكرة الزواج كثيراً ؟! .. مرة واحدة أوشك فيها ، وكانت «ميرفت» .. احب خفة ظلها وعودها ، وعشق عينيها الواسعتين ، كعينى أميرة فرعونية (الآن يعرف سبب ربكته من منى ، لها شبيه عينى ميرفت) ثم حدث اللبس وسوء الفهم وابتعد !! .. وها هو الآن حائرفى شقته وحيد ، لا يستقر فى غرفة ، لا تستهويه الشرفة ، والذكريات تتزاحم ، دون فعل أو عمل ، فهل جاءه زمن الركود ، يتحرك قليلا ويشطح مع الذكريات كثيراً ؟! .

اتجه إلى المطبخ ، ربما لأن الصداع هاجمه ، ملأ براد الشاى بالماء ، أشعل البوتاجاز ، ثم سار إلى الشرفة .. نبح

كلب الجيران فعاد يدخل (على غير العادة لم يستمع إلى نشرات الأخبار المختلفة ، هذا يوم أزمته هو) .. امسك بمجلة يقلبها ، القاها .. ثم ارتدى «البلوفر» وخرج .. وسار طويلا إلى أن استقر فى مقهى الشيشة ، فجلس يدخن وإلى جواره فنجان القهوة ، وهو يأسف أشد الأسف لأنه لم يدع أصحابه يشاركونه ذكرى ميلاده ! .

— ٥ —

فجأة وهو يرشف القهوة تذكر انه لم يطفىء البوتاجاز قبل أن يخرج !! .. هب مهرولا إلى البيت .. فى الصباح انفجرت انبوبة فى محل عام ، والآن توشك انبوبته الخاصة ان تنفجر !! .. أهذا يوم الانفجارات ؟! .

أدرك البيت وماء البراد قارب الجفاف أطفأ الشعلة .. ثم عاد إلى شيشته بالمقهى ، سلمت هذه المرة ، وإن حكاها لصديق فسينصحه بالزواج ، وهو مضرب عنه ، وإنما الفرصة لم تأته بعد .

تنبه إلى الجرسون يضع أمامه قهوة جديدة ، اندهش فهو لم يطلبها ، ابتسم الجرسون :

— عوضاً عن القهوة التى تركتها وبردت .

مجاملة صغيرة ، ابتسم لها شاكراً وأشعرته بسعادة خفية ، اعتبرها هدية عيد ميلاد دون علم هاديها .. أخذ يرشفها وعيناه على الشارع ، مع الرشفة الأخيرة كانت الكآبة قد عادت تقبض قلبه .. أدهشه حال المارة ، سائرين ، متلكئين ، متصامين .. والليل يهبط ، والسيارات من كل صنف .

جاء صديقه الذى يعمل محققاً بالنيابة ، ابتسم له مجاملا مرحباً .. ثم طلب شيشة جديدة ..

— ٦ —

حدثه وكيل النيابة عن آخر قضية يحقق فيها ، جريمة قتل حارس فى مسرح فكاهى ، اغتيل بعد منتصف الليل امام زوجته وطفلته ، الملابسات غامضة ، شهادة الزوجة تزيد البلبلة ، والطفلة عاجزة عن الكلام ذعراً !!

أزعجته ضجة السيارات ، ولم تشده التفاصيل .. مع دخان الشيشة الجديدة تشتت خواطره ، كيف جاء إلى هذه الدنيا ؟! ..

سمع صديقه المحقق يقول مندهشاً :

— تصور !! لم تخرج الزوجة إلى طلب النجدة إلا حوالى العاشرة والنصف صباحاً !! .

— وما الغريب فى هذا ؟؟ .

— يبدو أنك لم تركز معى .. الجريمة تمت قرب منتصف الليل ، فماذا كانت تفعل حتى الصباح ، يعنى طوال تسع ساعات تقريباً !! .

— أفادكم الله ودمتم !! .

(بالتأكيد لن ينام إلا بالقرص المنوم)

.. انحنى يصلح من حجر الشيشة ، فوجد طفلا على الرصيف يحملق مدهوشاً ويهم بلمس النار ، حذره مبتسماً ، احتار الطفل ثم سار خلف أبيه الذى ناداه .. تابع الطفل بنظراته ، فلما التفت إليه مبتسماً شعر بأعصابه تسترخى ، وبعاطفة مريحة تترقرق بداخله .. فجاءت أمه على باله وتمناها على قيد الحياة .. كان وهو طفل بالصعيد يهرب منها ويتجه غرباً ، حيث المعبد الفرعونى المتهدم ، وحيث كباش الغجر وماعزهم .. كان يحب اللهو مع الكباش ، يتقافز من حولها ويقع ضاحكاً عندما ينطحه أحدها .. وكان كلما تأخر عن موعد الغداء أرسلت أمه من يحضره

— الولد العفريت ، ذهب ثانية يلعب عند الغجر .. جدى هو !!

أين ميرفت الآن ؟؟ هاجرت مع أسرتها إلى استراليا ، لعلها تزوجت وأنجبت ، لكم ندم عليها (لعلها أيضاً ترهلت !) .. وهو الآن تؤرقه فكرة العودة إلى البيت الخالى .

ولكن ما هذا الذى يفعله ؟! أيعزى نفسه بما مضى ؟! .. أجدى له الذهاب إلى البيت وابتلاع القرص ، ثم يحلم كما وعده الدكتور حسن .. وغداً سيكون بداية عام جديد فى حياته ، رضى أم لم يرض !! .

— ٧ —

ركب المترو .. كانت به مقاعد خالية لكنه فضل الوقوف ، راح يتأمل وجوه الجالسين ، إجهاد اليوم يطل من عيونهم والاحباط ، عدا ثلاثة شبان يتحادثون بأصوات عالية .. وعلى مقعد قريب رأى رجلا وزوجته وطفلة بديعة العينين ، تعلقت أنظاره بها ، كانت منشغلة بالتطلع إلى الطريق ، وعندما التفتت ورائه ينظر إليها خجلت والتصقت بأمها ، احتوتها المرأة فى حنان وأعطته بسمة طيبة .. تشجعت الطفلة ورمقته ، ثم عادت تلعب لعبة الخجل مرة ثانية وثالثة ..

قبل أن ينزل كانت الطفلة قد ألفته ، ومنحته ابتسامة وديعة ملأت قلبه بالسكينة .. فلما نزل إلى الرصيف اشرأبت من النافذة تلوح له مودعة ، فلوح لها ضاحكاً ، وظل واقفاً بابتسامة عريضة ، حتى بارح المترو المحطة ..

استدار إلى بيته ، خفيف الخطو منتعشاً ، سعيداً ببشاشة الطفلة وتلويحها .. دخل شقته وهو ما زال مأخوذاً بها ، بحلاوتها وبراءتها ، فوجد نفسه يتمنى لها ولوالديها السعادة والصحة .. خلع ملابسه وارتدى البيجامة ثم دخل السرير هادىء البال قرير النفس .. أطفأ النور ، سرعان ما نام دون معونة القرص المنوم .. لكنه حلم بطفل يشبهه ، تسلل من وراء أمه بالصعيد ، إلى أطلال المعبد القديم ، رأى كباش الغجر فانطلق يلاعبها ، كلما أوقعه جدى هب واقفاً مواصلا قفزه من جديد .

مجيد طوبيا







كيف تتغلب على الألم بدون طبيب؟

تأليف : د. روجر دالت

ما إن ظهر هذا الكتاب حتى تصدر قائمة المبيعات . وبيعت من طبعاته المتتالية ملايين النسخ . وذلك لأنه الوحيد من نوعه الذى يزودك بطريقة جيدة وبسيطة تخلصك من الألم فوراً . ويتراوح هذا الألم ما بين الصداع النصفى . ووجع الظهر . ووجع الأسنان

.. وعشرات الآلام التى تقض على راحة الانسان .

والجديد هنا انك تستطيع أن تريح نفسك بنفسك .. لا تنتظر طبيباً ولا تضطر لتعاطى الدواء الذى تكرهه . كل هذا يتحقق بضغطة بسيطة من أصبعك. وسوف تبين الصور المرافقة للكلمات

كيف يمكن ان تحقق ذلك عندما تحدد مكان مصدر الالم وتحرك أصابعك عليه فى اتجاه عقارب الساعة .. فتتخلص من الألم دون حاجة لتعاطى الأسبرين .

لقد جربت طريقة دكتور روجر دالت مؤلف هذا الكتاب بواسطة مئات الآلاف من الناس . واخذ كل واحد منهم يصف





كيف تتغلب على الألم بدون طبيب ؟

هذا الكتاب لصديقه . وهو يتجاوز الالام الموضوعية ليتدخل فى حالات الحروق . والشد العصبى . والامساك . والاسهال . ومتاعب التنفس والتهاب الحلق .. وعشرات الأعراض الأخرى .

ولكن علينا ان نعرف جيداً أن طريقة د. دالت ليست للعلاج إنما هى نوع من مساعدة النفس على تحمل الالم والتخلص منه .. وهذا الكتاب يسهل لك هذه المهمة .

بقى أن تعرف أن الدكتور روجر دالت متخصص فى طب الأعصاب بمستشفى بياجون فى باريس .

عن الألم

التقسيم التقليدى للحواس خمس : اللمس . التذوق . الشم . السمع . الرؤية ولكن هناك حاسة سادسة .. هى «الألم» . والكثير منا لا يرى فى الألم غير الجانب السيء فقط . ولكن الذين يولدون بدون هذه الحاسة يشعرون بمدى اهميتها . يحدث ذلك حين تصيبهم الجروح الدامية دون ان يحسوا بها .. بينما يمثل الألم بالنسبة لمعظمنا تحذيراً مبكراً مع أول خدش أو اضطراب يصيب أجسادنا

إن قيمة الألم الحقيقية هو أنه منبه جيد للخطأ بحيث يتطلب العناية الطبية . ولكن احياناً يتحول الالم الى إحساس زائف بالخطر وهو يعطى إحساساً اكثر من قيمته الحقيقية .. والكتاب يحاول التخفيف من حدة هذا النوع من الآلام .

وكل واحد فى هذه الأيام قد سمع عن الابر الصينية . وحتى وقت قريب كنا نعتقد انها سر غامض تحيط به رهبة شرقية لا يقدر عليها إلا من تمرس بها . ولكن بعد أن فتحت الصين ابوابها للزوار الاجانب استطاع الكثير من الأخصائيين حضور العمليات الجراحية التى تجرى تحت تأثير الوخز بالابر . وشاهدوا استخدام الابر فى علاج الكثير من الحالات المستعصية مثل «الصمم» وقد نشرت العديد من الأبحاث حول هذا الموضوع وكيفية استعمال الابر بطريقة صحيحة .

وفى الصين نفسها يوجد آلاف من الرجال والنساء الذين يطلق عليهم الأطباء الحفاة الذين تمرسوا بهذه الطريقة على علاج أسرهم وجيرانهم .

اى واحد منا يمكنه ان يتعلم كيف يريح نفسه من الألم .. أو يريح اطفاله او اصدقاءه بنفس الطريقة .. ونحن هنا لا نتحدث عن الاجراءات المتبعة فى إبر الوخز فهذه الطريقة تحتاج الى متخصصين .. إنما نتحدث عن محاولة سريعة وربما مؤقتة للراحة .. يمكن تطبيقها بسهولة ولكنها تعتمد على نفس المبادىء التى تتم بها عملية الوخز فى اعتمادها على اى نوع من المعالجة الدوائية .

عن طريق الاستعمال

نقاط الوخز عرفت فى الصين فى وقت مبكر .. إنها النقط التى يمكن منها معرفة مكان العصب الذى يغذى منطقة من الجسم . وعن طريق ادخال ابر مختلفة الأطوال فى هذه النقط . وعندما تتاثر هذه النقط تتاثر بالتالى المنطقة التابعة لها ويحدث الاستجابة لهذا المؤثر .

كيف تؤثر على هذه النقط ؟ .. اولا حدد النقطة بدقة كما هو موضح بالدوائر الملونة على مختلف اجزاء الجسم فى الصور المرفقة . وكل نقطة تحتل مساحة صغيرة جداً .. تقريباً حوالى نصف ملليمتر مربع .. ومتى حددتها لن تخطىء مرة اخرى لأنها منطقة عالية الحساسية والاحساس بها مختلف عن بقية المنطقة التى تحيط بها .. وسوف نشرح السبب العملى لذلك فيما بعد ..

ما إن تحدد هذه النقطة حتى تبدأ فى معالجتها بالوخز .. ليس بالابر بالطبع ولكن بالضغط عليها باصبعك .. ضع قمة اصبعك الاكبر أو السبابة على النقطة واضغط الى أسفل ثم حرك اصبعك لكى تعطى نوعاً من التدليك السريع والبسيط مع حركة الاصبع فى اتجاه عقارب الساعة .

وإذا أردت نتيجة اسرع يمكن ان تستخدم غطاء احد الاقلام وتضعه فى طرف اصابعك وتضغط بنفس الطريقة السابقة .. ويمكن ايضاً استعمال الحرارة ولكن بحذر شديد .. ويمكن استعمال بعض التيارات الكهربية الخفيفة .. ولكن افضل وأبسط شيء هو







طرف اصبعك بالطبع ..

وزمن الراحة من الألم يختلف من مريض لآخر .. من بضع دقائق الى ساعات طويلة الى ايام .. ولكن تأثير هذه المغنطة لا يذهب ابداً .. ويمكن استخدامها المرة بعد الأخرى . والآن سوف نرى كيف يمكن معالجة بعض الآلام .

الرأس

١ ـ كيف نعالج وجع الأذن ؟

هناك ثلاثة اجزاء للأذن . الأذن الخارجية . والوسطى . والداخلية . وكل واحدة منهم تقود للأخرى . فالأذن الخارجية تقود الى قناة السمع ثم الى الطبلة . وفى الأذن الوسطى يقع فراغ الأذن يحيط به أربعة عظام متداخلة هى التى تنقل الصوت .. والأذن الداخلية هى التى تحفظ التوازن .. وهى لا تحدث ألماً ولكن أعراض الاضطراب فيها يتجلى فى الدوخة والطنين فى الأذن والصمم وهى ليست تهمنا فى هذا المجال .



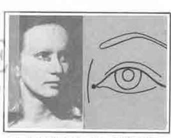
الأذن الخارجية والوسطى هما إذن الأكثر عرضة للألم .. بسبب ظهور البثور الصغير أو الالتهابات وهى تحدث ألماً شديداً فى كل المنطقة المحيطة بالأذن

ويمكن أن تحدث بعض المضاعفات مثل فقدان السمع الجزئى .

والصورة توضح النقطة التى يمكن الضغط عليها وتدليكها لكى ترتاح من وجع الاذن . إنها تقع تماماً على العظمة البارزة خلف الاذن . ازح الأذن الى الأمام وسوف تجد النقطة فوق العظمة .

٢ ـ كيف تعالج وجع العين ؟ :

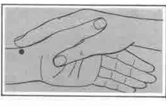
العيون يمكن أن تشعر بالألم لأسباب عديدة .. التراب .. الهواء العاصف .. الاجهاد .. الالتهاب . فى الملتحمة او الألم الذى يحدثه مرض الجلوكوما وهو ارتفاع ضغط العين . وفى منطقة هامة مثل لعين يجب أن تسرع باستشارة طبيبك .. ولكن حتى يتم علاجها بواسطة العلاج يمكنك ان تتبع هذه الوسيلة لتخفيف الألم بها ..

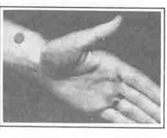


هناك نقطة يمكن ان تخفف عن ألم عينك المريضة .. هذه النقطة تقع بالقرب من عينك الاخرى السليمة بجانب ركن العين الداخلى . اضغط على الجانب الأيسر لكى تريح الجانب الأيمن . والعكس صحيح . ولو كانت العينان متعبتين اضغط على النقطتين فى نفس الوقت .

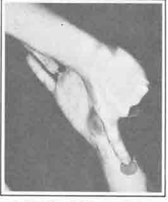
٣ ـ كيف تعالج الصداع ؟ :

ربما يكون الصداع هو اكثر الآلام انتشاراً . واسبابه كثيرة جداً .. والفحص الطبى الدقيق يجب أن يتم . ولكن يمكن إراحة آلام الصداع من ثلاث نقاط تعتمد على نوعية الصداع ومكانه .. فهناك صداع فى مقدمة الراس او فى جانبى الصدغين . وهناك صداع فى مؤخرة الراس فى مكان الاتصال مع الرقبة .. وهناك صداع الجمجمة نفسها







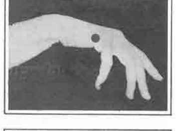


ويصعب تحديد مكانه فهو يشمل الراس كلها ..

بالنسبة للنوع الاول الموجود فى مقدمة الراس او الصدغ سواء كان فى جانب واحد او فى الجانبين .. فان النقطة المؤثرة موجودة فى رسغ اليد فى نفس المكان الذى يشعر فيه الانسان بالنبض ولكن اعلى قليلا فى اتجاه المرفق . ولكى تحددها بدقة فى الرسغ الايمن على سبيل المثال . افتح يدك اليمنى بحيث يكون الكف الى اعلى والأصبع الأكبر للخارج . ادخل أصبعك الأكبر فى اليد اليمنى مع اصبعك الأكبر فى اليد اليسرى وضع بقية اصابع يدك اليسرى خلف ظهر اليد اليمنى وسوف يقع أصبعك السبابة اذا كان فى خط مستقيم على النقطة الحساسة .

ولو كان الصداع فى مقدمة الراس عليك ان تجرى التدليك فى الرسغين الايمن والأيسر . واذا كان الصداع موجوداً فى جانب عليك ان تجرى التدليك فى الرسغ الآخر بمعنى انه لو كان الصداع موجوداً فى الجانب الأيسر عليك أن تجرى التدليك فى الجانب الايمن .. والعكس بالعكس .

بالنسبة للصداع الموجود فى مؤخرة الراس .. فان النقطة المؤثرة موجودة فى الأصبع الأصغر فى جانب اليد . اطو يدك نصف طية وسوف تلاحظ ثنية خط الراس . واذا تحسستها بأصبعك سوف تجد العظمة الخامسة من عظام اليد . وسوف تشعر بقليل من الالم عندما تضغط عليها وهذه هى النقطة التى يجب أن تدلكها .. وبالطبع سوف تدلك









اليد اليمنى إذا كان الألم فى الجانب الأيسر ..

بالنسبة للصداع الذى يشمل الرأس كلها يمكن تدليك كل النقط السابقة بالاضافة الى نقطة اخرى يمكن ان نسميها «الثالثة» وهى موجودة فى الجانب الخارجى من الساق فى التجويف البسيط الذى يقع فى اول العظمة الرفيعة التى تكون مع عظمة اخرى الساق . لكى تجدها بدقة حاول ان تكتشفها بواسطة الأصبع الاكبر وبقية الأصابع بعد ان تضع أصبعك الاصغر على بروز الكعب .. وراقب الرسم .

اضغط على هاتين النقطتين بيديك فى وقت واحد مع تقاطع اليدين .

وبشكل عام فهذا العلاج فعال جدا بالنسبة للصداع ما عدا الصداع الناتج عن أورام المخ او بعض الحالات الخطرة .

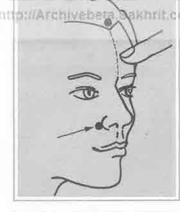


٤ ـ كيف تعالج انسداد الأنف .. ؟

مع الشتاء تزداد درجة الحساسية فى الأنف . وانسداد الأنف هو اول أعراض الاصابة بفيروس الزكام . ومن الممكن ان تظهر هذه الأعراض أيضاً مع بعض حالات الالتهاب المزمنة مثل التهاب الجيوب الأنفية .

وهناك نقطتان للتخلص من أعراض انسداد الأنف . واحدة ضرورية وموجودة فى منتصف مقدمة الرأس تماماً فوق مستوى خط نمو الشعر . ولو لم يكن هناك شعر .. ن العثور عليها يكون أسهل . مر بأصابعك من فوق كوبرى الأنف فوق الجبهة وسوف تعثر على انخفاض بسيط بعدها . وهى تحتاج الى ضغط قوى بعض الشىء .

وفى حالة ما إذا كانت فتحة الأنف اكثر احتقاناً من الفتحة فإن هناك نقطة فى زاوية الأنف . ويجرى تدليك الجانب الأيمن للجانب الأيمن والجانب الأيسر للجانب الأيسر .



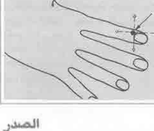
٥ ـ كيف تعالج الم الأسنان ؟ :

كل واحد يعانى آلام الأسنان من وقت لآخر . ولذلك فمن المهم جداً ان نعرف النقطة المؤثرة التى تريح من الألم ومن حسن الحظ فان تحديدها سهل جداً . النقطةموجودة فى اصبع السبابة فى الثلث الذى يحدده الخط الافقى الذى يرسم على قاعدة الظفر والخط الرأسى الذى يرسم على حافة الظفر . والنقطة بينهما فعالة جداً فى حالة ألم الأسنان ..

وبالطبع هذا لا يشفى الألم الناتج عن التسوس أو البثور الموجودة فى اللثة ولكنك تستطيع ان تخفف الألم بعض الشىء حتى تذهب الى الطبيب وهى يمكن أن تساعدك على تحمل العلاج بدون استعمال مخدر .







الصدر

١ ـ كيف تعالج حالة ضيق التنفس ؟

ضيق التنفس قد يكون احد الأعراض الخطيرة لبعض متاعب القلب خاصة فى كبار السن . أو فى الرئة . وفى الجهاز العصبى . وهكذا إذا كنت تعانى من ضيق التنفس بدون سبب ظاهر فعليك أن تسارع باستشارة طبيبك ، ولكنها قد تكون مجرد حالة مؤقتة كما

يحدث فى بعض الالتهابات الرئوية .. أو حتى الحالات الانفعالية . أو نتيجة لبعض الانعكاسات العصبية كما دلت بعض الأبحاث الأخيرة .. وهذا ما يستدعى بالطبع التدخل للعلاج بالوخز.

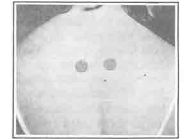
هناك مرض ضيق التنفس هو المرض الأساسى فيه .. وهذا المرض بالطبع هو الربو . والربو يحدث مع التعرض للتيارات الهوائية العنيفة . إذا كان الشخص مصاباً بالحساسية .. أو بسبب الاضطرابات العاطفية ويمكن لهذه الحالة أن تتطور وتصيب المريض بطريقة مزمنة ..

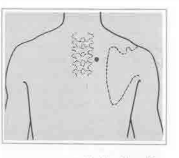
لذلك فمن المفيد ان نعرف الطريقة التى تحقق بها راحة سريعة للشخص الذى يعانى من ضيق التنفس وذلك بتحديد النقاط الحساسة على ظهر المريض ..

هناك نقطتان على جانب العمود الفقرى لظهر المريض . بعرض أصبعين من الخط الموجود فى منتصف الظهر فى مستوى الفقرة الغضروفية الثالثة . ولكى تجد هذه الفقرة يجب على المريض

ان يجلس وان يحنى راسه الى اسفل وبالتالى سوف نلاحظ البروز الذى ظهر فى مؤخرة العنق وهو اخر فقرات العنق ونبدأ فى عد الفقرات الى اسفل حتى الرقم ثلاثة وبذلك نصل الى مستوى الفقرة الصدرية الثالثة .

النقطتان إذن على بعد أصبعين من اليمين ومن اليسار . وهما يحتاجان للضغط المتواصل لمدة من الزمن وبالتدريج سوف يبدأ ضيق التنفس وأزيز الصدر فى الاختفاء ولكن اذا كانت الحالة قاسية فلابد من التدخل الطبى فى الحال .



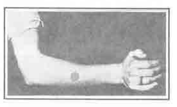


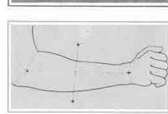
٢ ـ علاج الم الصدر :

الام الصدر قد يكون سببها الأعضاء الموجودة داخل الصدر .. القلب والرئتان .. او فى عضلات الصدر او عظام القفص الصدرى . إذا كان الألم بدون سبب ظاهر كالجروح فقد يكون الأمر خطيرا وعليك ان تراجع طبيبك . فمن الممكن ان تكون بسبب جلطة فى الشريان التاجى او حالة نبحة وهى تظهر غالباً بعد الاجهاد الشديد او جلطة فى الشريان الرئوى .

على العموم فان الام الصدر تظهر لدى اقل عارض . وشدة الألم تدل على شدة المرض . وهناك بعض الآلام الروماتزمية التى تصيب جدار الصدر وعظام القفص الصدرى وتسبب الألم .

والنقطة الحساسة هنا تقع فى منتصف ظهر ساعد اليد . بالضبط فى منتصف المسافة بين المرفق والرسغ . وتحتاج للضغط بشدة . وبهذه الطريقة استطاع الجراحون الصينيون أن يستأصلوا أجزاء من الرئة بدون استعمال أى مخدر .







البطن

١ ـ علاج الام البطن :

الام البطن هى المغص .. وهو اكثر من نوع .. هناك المغص المعوى الذى يصدر من اضطرابات الأمعاء . والمغص المرارى نسبة الى القناة المرارية .. ومغص الحالب حين يكون به بعض الحصوات .

وفى كل الحالات .. يكون المغص قاسيا ومفاجئا وقد يقود المريض للاغماء .. والراحة هامة هنا تماما كتشخيص المرض لان الالم قد يضاعف من خطورة الحالة . والضغط السريع على النقاط الحساسة والضغط عليها يقلل من الالم ويقلل أيضاً من انقباضات الأمعاء .

النقط الحساسة موجودة على الجانب الداخلى للركبتين . على الحافة الخلفية لعظمة الساق الشظية وعندما نتبع حافة العظمة باصابعنا من اسفل الى اعلى سوف نجد زاوية حيث تتراجع حافة العظمة الى الداخل . النقطة الحساسة فى هذه الزاوية .



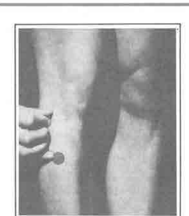
٢ ـ علاج الاسهال :

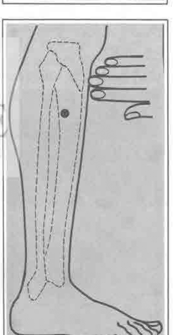
الاسهال غير سار بالطبع . واسبابه كثيرة .. ولكنه يسبب فقدان الجسم الكثير من السوائل والمواد الهامة .. ويمكن أن يكون سببه هو اى اضطراب معدى أو عددى ضعيفة . ولكنه قد يكون خطيراً وبسبب سوء التغذية . وهو فى



كتاب الشهر

كيف تتغلب على الألم بدون طبيب ؟





أشد الأعراض ظهوراً لأمراض المنطقة الاستوائية . مثل الدوسنتاريا . وتسمم الطعام .. والكوليرا .

الاسهال الشديد فى حاجة الى عناية طبية ، ولكن الضغط على النقاط الحساسة يمكن أن يعالج الحالات المتوسطة الشدة ، وقدم استخدم الصينيون هذه النقاط فى علاج الكوليرا

ايجاد النقطة الحساسة يحتاج الى بعض العناية .. فهى موجودة على بعد خمسة اصابع من الركبة الى الخارج فى منتصف المسافة بين عظمتى الساق .

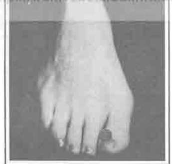
٣ ـ علاج الامساك :

الامساك احد الأعراض المنتشرة ، وهو ناتج عن قلة التمارين والغذاء غير الصحى خاصة هؤلاء الذين لا يشربون سوائل كافية أو ياكلون خضروات كافية .

وعلاج الامساك بالمسهلات أسوأ . لأن الأمعاء الحساسة من الامساك سرعان ما تنقلب الى اسهال .. ويؤدى هذا الى الجفاف وفقدان الأملاح الهامة للجسم .

وقد تؤدى المسهلات ايضا الى أمراض مزمنة فى الأمعاء . والضغط بالأصابع يحدث نتيجة فعالة وسهلة .

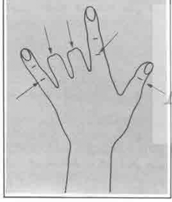
النقطة الحساسة موجودة فى الزاوية الداخلية لظفر الأصبع الكبير كما هو موضح فى الرسم .



اليد

آلام الأصابع :

يمكن للأصابع أن تؤلم فى حالات الجروح . أو حالات الروماتزم وخاصة فى كبار السن . ووجود نقاط للضغط مفيدة فى مثل هذه الآلام وكلها فى ظهر الأصابع عند العضل الأول . ويمكن تدليك الأصبع الذى تشعر بالألم فيه . وإذا كانت اصابعك كلها تؤلك فحسب التقاليد الصينية إبدأ أولا بالخنصر . ثم الابهام . ثم الأوسط . ثم السبابة . ثم الأصبع الصغير .

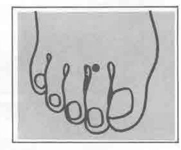


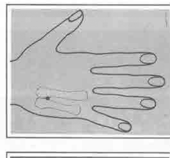
الأرجل والأقدام

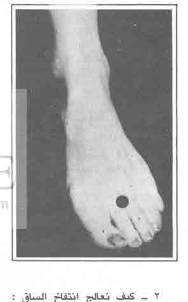
١ ـ علاج آلام القدم والأصابع :

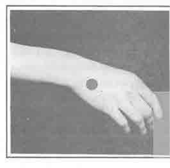
أقدامنا المسكينة تعانى كثيراً . فهى محبوسة داخل الأحذية وعرضة للتشوه بسبب الكعوب العالية . وأحيانا تحتاج الى تدخل جراحى . ولقد واجه الصينيون هذه الأعراض منذ وقت طويل إذ تقضى التقاليد بوضع اقدام الفتيات داخل قوالب صغيرة لتكون اقدامهن صغيرة وجميلة . ولأن هذه العملية كانت مؤلمة فقد خففت النقط الحساسة هذه الآلام الى حد كبير .

والنقطة الحساسة هنا موجودة على القدم بالضبط فى مؤخرة الأصبع الثانى وهى تحتاج للتدليك الشديد حتى يظهر تأثيرها .











٢ - كيف نعالج انتفاخ الساق :

تصاب الساق بالانتفاخ فى العادة عندما يحدث تقصير فى عمل الكليتين أو هبوط فى القلب . وهى بشكل عام احد الأعراض الخطيرة . وقد يكون سببها اضطراب فى الأجهزة الليمفاوية ..

والبعض يعانى من التورم بسبب الجاذبية الأرضية وهى تبدو واضحة عندما تتلف صمامات بعض شرايين الساق . والعلاج يكون أحيانا فى النوم لفترات كافية مع رفع الساقين الى اعلى والنقط الحساسة تسبب بعضا من الراحة .

هذه النقطة موجودة على القدم عند تقابل العظام التى تكون قوس القدم وهى على الخط الممتد بين الأصبع الأول والأصبع الثانى .

كيف تعالج آلام الظهر ؟

هذا واحد من الظواهر الاجتماعية الحديثة . وهو ينتج من الالتهابات الروماتزمية أو الام العمود الفقرى . وينتج غالبا من المكوث فى وضع سىء الى فترة طويلة وهو يصنع نوعا من التشنج والتيبس فى عضلات العمود الفقرى .

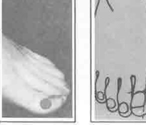
والظهر يتأثر بأشياء كثيرة .. حتى بطريقة السير . وارتداء الكعوب العالية النقاط الحساسة تفيد فى تخفيف الكثير من آلام الظهر .

النقطة الحساسة موجودة فى ظهر اليد فى الزاوية بين العظمتين على طول الخط بين الخنصر والبنصر .

كيف تخففين من آلام العادة الشهرية ؟

احيانا تأتى العادة الشهرية بكمية كبيرة من الدم .. وبآلام شديدة . وتعانى كثير من النساء من هذه الأعراض . ويجب عليها أن تحاول الاستشارة الطبية . ولكن تدليك النقطة الحساسة يقدم مساعدة كبيرة ..

ولتنظيم العادة هناك نقطة فعالة فى القدم . فى الزاوية اليمنى التى تتكون من الخط الذى يرسم عند قاعدة ظفر الأصبع الأكبر وبالخط الذى يرسم فى موازاة الجانب الخارجى لنفس الظفر كما هو مبين بالرسم .





بقلم : محـمد فتـحي

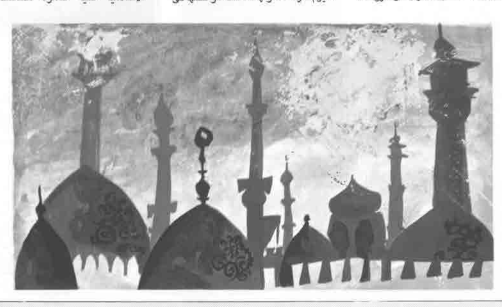
تأملات إعلامية عند منعطف
القـرن الهجري الخامس عشر

لو كنت سفيراً لبلد اوربى لدى حكومة السودان لارسلت الى دولتى تقريراً سنوياً خطير الطابع .. عن مناخ رهيب حل فجاة ، واخذ يفرض نفسه فرضاً منتظماً متصاعداً ، واثق الخطى ، على كل دوائر المجتمع الواعية ، من معاهد وقوى ، سياسية ورئاسية واكاديمية واهلية .. فى تناسق عجيب ، ودون اية مقدمات ؛ دون خطة موضوعة ، ودون دفع من جهة بعينها ، او تبن واضح .. وإنما فى تلقائية عجيبة ، تلقائية الغيث حين ينهمر ، او النيل تزخر مياهه وتتدافع عند الفيضان ...

مثل هذا السفير تجرى فى عروقه ، فى اغلب الظن ، اثارة من دماء الصليبية هذه الموجة المتعالية التى ارتفعت على حين غرة ، وكانما انصاعت لامر علوى ، عندما دقت الساعة الكونية مؤذنة ببزوغ فجر القرن الخامس عشر الهجرى بعثت فى قرارة نفسه رجفة ، واثارت المخاوف الدفينة عنده وعند العالم المتوجس من الاسلام المتربص به خيفة قومة معهودة مؤثرة للمسلمين ، عند منعطف كل قرن ..

غير ان إطلالة هذا القرن الجديد ـ فيما يتبين لعين الرقيب ـ تهل فى ظروف جد مختلفة . فامة الاسلام تملك اليوم امرها .. دولها مستقلة ، وحكمها فى ايدى ابنائها .. والمغلوبون على امرهم من المسلمين فى هذه القارة او تلك ، لا يستسلمون ابداً .. يصارعون اعداءهم العتاة ، فى شجاعة واستبسال ، دفاعاً عن ارضهم وعقيدتهم واوطانهم .. لم يعودوا اتباعاً وذيولا ومستعمرات ..!

قد يدخل فى قلب غير المسلم ، شعور بالارتياح والغبطة إذ يرى المسلمين يتقاتلون فيما بينهم ، وإذ يرى كلمتهم غير مجتمعة وغير موحدة ، وإذ يراهم متفرقين شيعاً واحزاباً .. ! لكن هذا الشعور وهم زائف .. لانه لا يكشف عن الحقيقة الثابتة . ! وهى ان قاعدة الامة الاسلامية نقية طاهرة متماسكة ،



الحكم الاسلامي يكفل للمواطن الحريات والحماية من الشرور الاجتماعية

مستمسكة بقواعد دينها وتعاليمه ، مؤمنة بان المؤمنين إخوة وان المصير واحد ، والغاية واحدة .. فمبدأ التوحيد والوحدانية فى الله ركن مكين من اركان دينهم . فاذا ما تقاتل حكام المسلمين اليوم فيما بينهم ، واختلفوا وتفرقوا فذهبت ريحهم .. فانما تلك مرحلة موقوته مالها إلى زوال ، إذ لا راد لارادة الشعوب ، لا سيما إذا كانت القضية هى كلمة الله .!

بصر المسلمون بانهم على ابواب تحول كبير ، بلغ عندهم مرتبة اليقين ! اليقين بان القرن الجديد سيشهد الثورة الفكرية السياسية الشاملة ، المؤدية الى ان يصبح المسلمون كياناً قوياً موحداً يستهدى بالكتاب والسنة . ويرون ، تبعاً لذلك ، أن تغييراً جذرياً سيشمل الكون ، وان آثار هذا التعديل الشامل ستشمل الحدود الجغرافية والعلاقات الدولية والمعالجات السياسية ...

ان للحلم الذى حلم به المجددون ، طوال القرنين الماضيين ، من أمثال ابن عبد الوهاب ، وجمال الدين الافغانى فى تحركاته فى مصر وإيران وتركيا ، وإقبال وغيرهم .. ان للحلم العظيم ان يتحقق ! «حسن مكي» .

يقينهم هذا ــ فيما يرى الرقيب ــ يقينهم هذا بانبعاث الاسلام ليس مستشفاً من البصيرة أو عن طريق الغيبيات . إنما سبيلهم اليه دلالات ومؤشرات لا تتنكب المنطق وطبيعة الأشياء . دلالات تفجرت وسط ذلك التيار الزاخر ، الذى ملأ الصحائف والكتب ورددت نبضه ودقاته الاذاعات المسموعة والمرئية والخطابات المنعقدة فى الصحف والجامعات والمنتديات !

يتساءل المقرر .. هل يختلف هذا الذى يجرى فى السودان ، مالئاً الاسماع والأبصار ، نابعاً من الضمائر والأفئدة .. هل يختلف عما هو واقع فى بلدان الأمة الاسلامية جمعاء ؟ الشواهد كلها تنطق بانه لا خلاف .

يلتقى كثير من الراى فى ان الحضارة الغربية تتداعى .. وفى ان علائم الشيخوخة ، واضحة الظهور ، تدب فى اوصالها .. فى نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وان الخواء الروحى الحاد ، المتمثل فى انصراف اصحاب الحضارة السائدة عن اديانهم ومعتقداتهم ، وفى طغيان القيم المادية وتسيدها ، قد ايقظ المسلمين وحركهم الى التفكر فى جدوى ما استوردوه من نظم ليبرالية وشيوعية تشهر فى مواطنها إفلاسها ! وان عودتهم الى منابع قوتهم او التوطن من جديد اصبحت امراً حتمياً لا محيص عنه !

يرى المسلمون اليوم راى العين ان الدعامة الكبرى لكل نهضة حضارية هى العقيدة .. وذلك كما يشير محمد حسين ابوسم ــ وانه لا قيمة لراى او لفكر ما لم تدعمه العقيدة . ويوضحون ان العقيدة ليست مجرد الايمان الظاهرى او الشكلى وإنما هو الايمان المعنى فى قوله تعالى : «قالت الأعراب امنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم .. إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، اولئك هم الصادقون» .

اجل .. لقد دب الوهن والضعف فى نفوس المسلمين لان الارتياب فى امر عقيدتهم داخل نفوسهم .. وظنوا ان حضارة الغرب المادية الطامسة للروحانية والساخرة من العقيدة هى الاقوى والأعز ، وانها السبيل الذى لا سبيل سواه للرخاء والنعيم !

لكنهم اليوم ، وعند منعطف القرن الهجرى ، يتدبرون امرهم ، وينقلب ارتيابهم فى دينهم ، الى ارتياب فيما اوحى اليهم وادخل عليهم ، من ان دينهم هو مظهر التخلف والمسبب له . أو من ان الدين هو افيون الشعوب ؟!

الآن يجهرون ــ كما يقول هاشم عوض ــ بان امة الاسلام ليست فى حاجة الى نظم مستوردة . فاذا كان الأمر امر حريات فالحكم الاسلامى يكفل للمواطن الحريات ، والحماية من الفقر ومن الشرور الاجتماعية ، اضعاف ما يطالبه به من واجبات . وان النظام الاسلامى يعالج جميع مشاكل المجتمع العصرى فالاصلاح السياسى هو إحدى ركائز الدعوة واحد اعمدتها الأساسية .. كانما برق فى خاطرهم فجاة ان «الاسلام» يجعل الشورى اساس الحكم بل ويلزم الحاكم بالتشاور مع الآخرين ، حتى وإن كان ذلك الحاكم هو سيد المرسلين وخير البرية قاطبة وهو المصطفى عليه الصلاة والسلام . الانفراد باتخاذ القرار وبغير استشارة يجافى روح الاسلام ونصوصه الصريحة، لم يكتف رسول الله بتحذير طلاب السلطة فى ان لا يحرصوا على الامارة ، ولكنه دعا امته لعدم تاييد المتكالبين عليها حين قال «لا تولى الامارة لأحد سالها ، ولا حرص عليها ، فان اخونكم عندنا من طلب هذا الأمر» والاسلام يجعل قبول الناس لحكامهم معياراً لقبولهم عند الله تعالى فيقول الرسول «خيار ائمتكم .. الذين تحبونهم ويحبونكم . وشرار ائمتكم .. الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم» وسمعته السيدة عائشة رضى الله عنها يدعو الله فيقول .. «اللهم من ولى من امر امتى شيئاً فشق عليهم ، فاشقق عليه ، ومن ولى من امر امتى شيئاً فرق بهم فارفق به» .

وفى المجال الحيوى ، مجال الاقتصاد يرون أن الاصلاح الاقتصادى ركيزة اخرى هامة من ركائز النظام الاسلامى للحكم . فاول ما يحرص عليه هو العدل

رسالة الســودان

تأملات إعلامية عند منعطف

القــرن الهجري الخامس عشر



الاجتماعي ، خاصة فى جانب تطبيق الفوارق فى الدخول ، وضمان متطلبات الحياة الأساسية للأفراد . وفى ذلك جرى الاسلام على أن لا يكون المال دولة بين الأغنياء ووقفا عليها . المال فى الاسلام مال الله ، وما الانسان إلا مخلف مؤتمن عليه فحسب . والاسلام يحرم تملك أى فرد للموارد الطبيعية التى تتهيأ للناس من دون جهد بشرى كالمراعى والغابات والمياه الجارية والوقود . ومع هذا فان الاسلام لا يثبط المرء على السعى للثراء، طالما كان له اكتسابه له بالطرق المشروعة مع اداء حق الفقراء والمحتاجين فيه .

واشير الى الركيزة الثالثة من ركائز النظام الاسلامى وهى الاصلاح الاجتماعى . فهو فى جوهره شرط مسبق لتحقيق الاصلاح السياسى والاقتصادى.

إن الأمراض الاجتماعية فى نظر الاسلام هى سبب الكوارث السياسية والاقتصادية .. يستشهدون بقوله تعالى «ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحت عليهم بركات من السماء والأرض» . ويرون أن تغيير الأوضاع يجب ان يسبقه تغيير فى مواقف الناس من مجريات الأمور . فمن آيات القرآن «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم» وهذه الآية تنطوى على حقيقة من الحقائق الثابتة التى توصل اليها اهل الاعلام اخيراً وتتركز فيها وظيفة الاعلام او الاتصال كعلم من علوم السوسيولوجيا .

واضح من صيغة النهج الاسلامى بركائزه الثلاث المبينة انه يقوم على الديمقراطية والعدالة والقضاء على الفساد .

ومن الدلالات ذات المغزى الداعية لتفاؤل المسلمين واستبشارهم بالفجر الجديد والتى نوه ــ كما يقول حسن الترابى ــ عنها بقدر غير قليل من الارتياح انه ثبت فى السنوات الأخيرة من القرن المنصرم ، نبت كثيف من شباب الأمة استيقظ لحقيقة هويته المؤمنة . هذا التيار الدينى المتعاظم وسط الشباب ليس وحده مرد الخطورة فى الأمر ، فالملحوظ أن التحرك نحو النهج الاسلامى ــ باجماع ورضا ــ نابع من القاعدة ، متنزل من القمة ! اى ان تجاوب الوجدان تام بين السلطان والقاعدة . ما هى بفورة انقلاب بغيتها تبديل سطح الحياة العامة او شكلها ، بل هى قوة تاريخية جليلة تدفع المسلمين مع دورة القرن حتى يسارعوا الخطى ويدوروا بواقعهم الحضارى نحو نهضة جديدة تتبارك مع تقدم القرن .

يخلص المسلمون ــ فيما يقرر الرقيب

إزاء هذا التفاؤل الذى له شواهده ومبرراته ، وإزاء الاقتناع الوجدانى التام ، وإزاء الفراغ الروحى الملموس فى العالم ، ثم تلمس مفكرى الغرب للاسلام وانكبابهم على درسه وتفهمه بامل أن يكون فيه نجاة العالم مما جرته اليه عبادة المادة ، وإزاء الكنز الاسلامى الذى يملكونه وقدراته على معالجة جميع مشكلات المجتمع العصرى ، وإزاء موضع العالم الاسلامى فى خريطة المعمورة ، وهو موضع القلب ، وان العالم كل العالم يتأثر بما يجرى ، ويحس ، وينفعل اكثر من أى جزء آخر من العالم ..

وإزاء ما حباه الله بهم من قوة استراتيجية بسبب حيازتهم للنفط ، وما فجره من قدرات مادية هائلة عند اهله ، وما يمكن ان يفجر من قدرات اخرى ، إذا التفتوا الى تاريخهم وحضارتهم الضاربة فى الأعماق .

إزاء ذلك كله .. يخلص المسلمون الى أن طريقهم مرسومة ، قد يرونها فى قوة يقينهم ، خطى كتبت عليهم .. وانه لذلك يتعين عليهم أن يحزموا امرهم ويبادروا بنبذ النظم المستوردة ، متجاوزين بذلك التبعية ، ومؤكدين الأصالة ، ومبتعثين نظامهم الاسلامى الشامل ابتعاثاً جديداً فتياً ..

لعلهم الآن يتباحثون فى اعطاء البديل الحضارى للعالم فما يزال ــ كما يقول الصادق المهدى ــ ينقصهم الجانب العلمى لوضعه موضع التجريب والتنفيذ إزاء تعقيدات المجتمع العصرى .

● ● ●

هل الفجر الذى لاحت لعين الرقيب فى السودان المسلم بشائره .. هو الفجر الصادق .. ؟!

وهل طلائع النور فى ديار المسلمين حقاً تهل ؟!

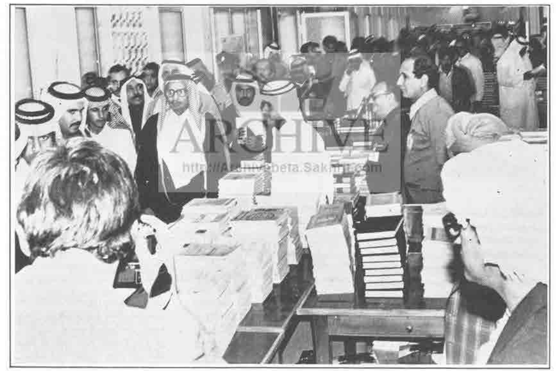
محمد فتحى ــ ام درمان

في معـرض الدوحة الثالث للكتـاب العـربي

احتفت الكتب

رغـم أن الـكـتاب العـربي في أزمـة

- ماهي نوعية الكتب التي نفدت في الأيام الأولى من المعـرض؟
- لماذا طالب الناشرون بمدة أطول، وكيف التزموا بأسعار الكتب المعروضة؟



وزير التربية والتعليم سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثاني يفتتح معرض الدوحة الثالث للكتاب العربي .

منذ اليوم الثانى لمعرض الدوحة الثالث للكتاب العربى طلب الناشرون الاستجابة لهم لاحضار المزيد من الكتب التى نفدت نتيجة الشغف الشديد للزوار فى إقتناء الكتاب ، رغم كثرة عدد الكتب المعروضة فى هذا العام ، والتى بلغت ١١ الف عنوان تعرضها ٤٣ دار نشر عربية !

وإذا كان الزوار قد جاوزوا إثنى عشر الفاً من الرجال فى اليوم الأول وعشرة الاف من النساء فى اليوم الثانى فالملاحظ أن اكثر الكتب التى نفدت فى اول يومين هى كتب الحضارة الاسلامية والروايات والقصص والتدبير المنزلى والأطفال والكتب العلمية المتخصصة ! وقد لوحظ من زوار اليوم الثانى توافد الكثير من طالبات الجامعة والمدارس وربات البيوت .. وهذا الاقبال الواضح من المرأة القطرية على اقتناء الكتب ، إنما هو خير دليل على أن المرأة فى قطر قارئة ممتازة ، ليس هذا فحسب ، بل وجدنا اكثر النساء يحرصن على إحضار اطفالهن الى المعرض وتشجيعهم على إقتناء الكتب ، مما يؤكد حرصهن على

في معرض الدوحة الثالث للكتاب العربي



في جناح الكتب القادمة من سلطنة عمان

ثقافة أطفالهن وتنمية عادة القراءة لديهم حتى يكونوا النواة الصالحة لمستقبل الحركة الفكرية والثقافية والعلمية في البلاد ..

لماذا وسط المدينة ؟

وقد طالب الناشرون بمدة اكثر من أسبوعين نتيجة لزيادة اقبال الجمهور على المعرض وعدم قدرتهم على تلبية الطلبات في هذه المدة المحددة ، إلا أن الاستجابة لهذا الطلب كانت في حكم المستحيل بعد أن اتضح أن هذه المدة تعتبر اطول فترة لمعرض كتاب في العالم العربي ، ففي الغالب لم تتجاوز مدة إنعقاد مثل هذا المعرض اكثر من عشرة أيام في أي بلد عربي !

ونتيجة للنظام الدقيق الذي أعدته اللجنة التحضيرية للمعرض ، وجدنا جميع الناشرين يلتزمون بالأسعار المحددة للكتب ولا يتجاوزونها كما حدث في معرض الكتاب السابق .. وهذا يرجع الى الحرص على إدراج جميع أسعار الكتب في دليل المعرض ،حتى لو اختلف السعر للكتاب الواحد والطبعة الواحدة في عدة مكتبات ..

ومن الواضح ان دليل المعرض اعد هذا العام بطريقة علمية اكثر دقة من دليل المعرض السابق ، فالدليل رتب موضوعيا بطريقة تتيح لأي باحث أو قارىء اختيار الموضوع الواقع في دائرة اهتمامه ، بالاضافة الى وجود كشاف المؤلفين الذي يعطي القارىء فرصة العثورعلى جميع كتب مؤلفه المفضل !

إلا ان إختيار موقع المعرض الحالي كانت فيه بعض الايجابيات والسلبيات .. من ايجابياته انه في وسط المدينة وامام دار الكتب القطرية وقريب من المدارس والدوائر الحكومية والوصول اليه سهل من جميع المواطنين .. ومن سلبياته ضيق قاعة الاحتفالات والمعارض رغم تضاعف الزوار الذين تجاوزوا في المعرض السابق ٢٥ الف زائر

وهذه الحقيقة تدفعنا الى ضرورة الحرص على اقامة المعرض القادم في مكان اكثر اتساعاً ، معد الاعداد الكامل لاقامة معارض الكتب ، به قاعات للعرض وقاعات للبيع ، وأثاث عرض حديث ، وتحيط به الساحات الفسيحة لاستقبال السيارات وأماكن لتخزين الكتب والمعروضات !

أهمية الكتب الجديدة

وفي لقاء مع مدير دار الكتب القطرية ورئيس اللجنة التحضيرية للمعرض محمد حمد النصر ، قال ان ترتيبات إقامة معرض الدوحة الثالث للكتاب العربي ، بدأت عندما تمت موافقة سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثاني وزير التربية والتعليم على اقامة المعرض ، واجتمعنا بالسيد عبد الله تركي وكيل الوزارة لتتكون اللجنة التحضيرية من ذوي الدراية بالنشر وصناعة الكتاب وخدمته ولتضع الدولة كافة امكانياتها المادية

ماذا قالوا عن مناقشة كافة القضايا المتعلقة بالكتاب العربي؟

الاقبال على قصص الأطفال .



طلبة المدارس فى المعرض .



وقف يتأمل عناوين الكتب قبل أن يختار .

والبشرية فى خدمة هذا المعرض الذى رأينا من مجموعة عناوينه انه يتضمن أعداداً هائلة من الكتب الجديدة التى تحتاجها المكتبات المدرسية والجامعية والعامة ودار الكتب القطرية بفروعها الجديدة .. الى جانب حاجة المواطنين وشغفهم الشديد بالكتاب ..

وقال مدير دار الكتب القطرية ان الاهتمام بالكتاب الثقافى جعل الدولة تقيم أول معرض للكتاب فى قطر عام ١٩٧٢ ، ثم أقيم المعرض الثانى فى عام ١٩٧٧ ، ثم رأينا اليوم هذا المعرض الذى اقيم فى مرحلة استكملت فيها الجامعة القطرية كلياتها المتعددة وازداد عدد الخريجين وظهرت بالتأكيد اعداد هائلة من الكتب الجديدة التى اخرجتها المطابع العربية ، واصبح الاهتمام بتيسير الكتاب العربى ضرورة واجبة فى مجال التعليم والثقافة ، وذلك لدعم النهضة الشاملة فى كل فروع الحياة وتقديراً لدور الكاتب ورسالة الكتابة ..

ماذا يقول الناشرون ؟

والمعروف أن ظاهرة المعارض لم تبدأ فى العالم العربى إلا ببدايات متواضعة عندما اقيم منذ حوالى عشرين عاماً اول معرض للكتاب العربى فى المركز الثقافى العربى فى بيروت .. كما اقيم أول معرض للكتاب الدولى فى العالم العربى منذ ١٣ عاماً فى القاهرة ..

ولعل وجود أعداد كبيرة من الناشرين العرب فى معرض قطر الثالث للكتاب العربى ، هو الذى دفعنا الى ان نناقش معهم كافة القضايا المتعلقة بالكتاب العربى ..

ومن بين الناشرين الذين التقيت بهم شريف الانصارى وأحمد عويدات من لبنان ويحيى الربيعان من الكويت وعبد المحسن العلى من السعودية وعقيله الكاديكى من ليبيا وسمير ابو داود وابراهيم المعلم من مصر وعبد الوهاب الانسى من اليمن وغيرهم ..

فحول العقبات التى تقف أمام الكتاب نجد أن أهم المشاكل تكمن فى اهمية التقدير الجدى للكلمة ، فالمحنة تبدأ منذ لحظة اغلاق اغلب الابواب امامه بسبب اختلاف الايدولوجيات ، فالكتاب المسموح به فى مكان ما يمنع فى مكان اخر على بعد بضعة كيلو مترات من المكان الأول !

ثم تأتى مشكلة كلفة الكتاب وغلائه ، ورغم ان الكتاب العربى بكلفته التى تكاد تكون واحدة فى كل انحاء العالم ، يعتبر فى نظر القراء مرتفع السعر ، فسيرتفع سعره أكثر فى المستقبل القريب عما هو عليه ، والعلة الأولى فى ارتفاع سعر الكتاب تكمن فى حجم المطبوع فى امة تعدادها ١٥٠ مليون نسمة ولا تتجاوز فيها طباعة الكتاب سبعة الاف نسخة ، مع مدة لا تقل عن عامين للتصريف !

وهذا بخلاف عدم وجود مواصلات مباشرة فيما عدا الطيران وتكاليفه المرتفعة ، وايضاً دخول عملة ثالثة فى

في معرض الدوحة الثالث للكتاب العربي

التعامل بين البلاد العربية نظرا لاننا مازلنا حتى اليوم لا نستطيع التعامل بما لدينا من عملات محلية !









محمد حمد النصر
مدير دار الكتب

شريف الانصاري
لبنان

يحيى الربيعان
الكويت

عبد المحسن العلي
السعودية

تزوير الكتاب

وحول تزوير الكتاب العربي ، مما يترتب عليه ضياع حقوق الكتاب واحتمالات التزوير في النصوص نفسها اجمع من تحدثت معهم من الناشرين ، على ان قضية تزوير الكتاب اصبحت مبالغ فيها واصبحت كقميص عثمان بين بعض الناشرين الذين يقفون رواء هذه التقليعة وترويجها فيما بينهم ، وهذا نوع من المنافسة غير الشريفة ، فالكتاب المزور هو الذي يتوفر فيه شرطان ، ان يكون مؤلفه مازال موجوداً ، او ان يكون الناشر الأصلي له مازال صاحب الحق في نشره !

والواقع ان كل الضغوط التي دفعت لعملية تزوير الكتاب ، تعود اصلا للناشر الأصلي ، وذلك لعدم توفيره الكتاب في الأسواق وبسعر معقول يتيح للقارىء ان يستفيد فيما ينشر !

كما ان السنوات الأخيرة رات تراجعاً في تزوير الكتاب ، لادراك الجهات المستوردة لمدى بشاعة هذا العمل غير الاخلاقي ، وأصبحت اليوم المؤسسات الرسمية في البلاد العربية تحارب عملية تزوير الكتاب ، بحرصها على استيراد الكتاب من مصدره الأصلي ، وهذا مطبق بصورة واضحة في الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر بالجزائر ، ووزارة المعارف في المملكة العربية السعودية التي تشترط الحصول من المؤلف أو المحقق او المترجم على إذن خطي حتى يتم التعاقد بينها وبين الناشر على اى كتاب اختارته للتداول !

قضية التراث

وعندما تطرقنا في الحديث الى التراث العربي ومن المسئول عن نشره ومن هو قارؤه ، اتضح ان مسئولية نشره مازالت متروكة للاقدار ، فلا يوجد واحد يمكنه ان يدعي حق هذا الشرف ، وكل ما هنالك انه توجد رغبة ملحة في ان تتوحد الجهود لنشر التراث بطريقة علمية تسد احتياجاتنا الملحة الى الثقافة الانسانية في هذا العصر ..



وزير التربية والتعليم سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثاني في معرض الدوحة الثالث للكتاب العربي

دعم الكتاب الخليجى من الدولة هو الحل المؤقت لانتشاره بين أيدي القراء !


عقيلة الكاديكى
ليبيا


عبد الوهاب الآنسى
اليمن



سمير أبو داود
مصر



أحمد عويدات
لبنان



ابراهيم المعلم
مصر


عبد الرحيم صادق
العراق

ورغم الجهود والمحاولات البسيطة والمتواضعة من عدة مؤسسات علمية وجامعية ، إلا أن المتتبع لهذا الميدان يعثر على بعض الأخبار لجهود متناثرة فى أحياء التراث ، غير انها لا تمثل الطموحات !

والقارىء للتراث هو كل عربى وكل مسلم .. فضغوط العصر ، والظروف التى تمر بها البلاد العربية والعالم الاسلامى أرغمت القارىء على أن يفتش فى خزائنه عن الكنوز القديمة ، وهى بداية تبشر بعودة الصحوة المرغوبة بعد مرحلة من الاندفاع نحو الثقافة الغربية جعلتنا نعود مضطرين للاستفادة من عمل الأجيال التى سبقتنا والتى عملت باخلاص وأمانة رغم مرورها بمحن تعتبر أكبر مما نعانيه اليوم ، لأن الأسباب المتاحة لنا فى هذا العصر لم تظفر بها الأمة الاسلامية ولا العربية فى أى عصر من عصورها .. وبالطبع ما نعنيه من أسباب متاحة يتلخص فى وجود أموال متوفرة وعقليات دارسة بأعداد كبيرة وبمستويات مختلفة !

المؤسسات الرسمية

أما الشكوى من المنافسة بين دور النشر الرسمية ودور النشر الخاصة ، فقد كان أكثر من تحدث عنها بواقعية هو مدير مكتب موسوعة التشريعات العربية فى أثينا حبيب اللمسي الذى رأى أن هذه المنافسة فى صالح الكتاب وفى صالح الثقافة العربية ، لأن الدور الذى يمكن أن تلعبه المؤسسات الرسمية لا يمكن بأى حال أن يتوفر للقطاع الخاص ، وهو دور فيه تدعيم للثقافة ككل ، وهو الذى يجعل الكتاب الصادر عن المؤسسات العامة ثمنه أقل بكثير مما يصدر عن المؤسسات الخاصة ، لاختلاف دور كل منهما ، فمثلا فى كتب التراث كتاب من عشرين أو ثلاثين مجلداً تجد أن تكلفته ومجالات توزيعه يعجز عنها القطاع الخاص ، كما أن المتتبع لأغلب ما صدر خلال الربع قرن الأخير من المطولات يجد وراءها دائماً المؤسسات الرسمية والتى تبلورت أخيراً فى دور نشر تتولاها الحكومات مباشرة وبالكامل كما هو الحال عليه الآن فى القاهرة والجزائر وتونس والعراق وليبيا ، وننتظر أن تعزز هذه المؤسسات بأخرى جديدة فى سوريا مع مطلع هذا العام .

ولذا فإن دخول المؤسسات الرسمية فى مجال النشر سيضع أقدامنا على بداية نهضة ثقافية وعلمية .. كما أن تعاون المؤسسات العامة والخاصة ، كل منها فى ميدانها ومجال تخصصاتها ، سيؤدى الى دعم الكتاب العربى وزيادة انتشاره ..

الكتاب الخليجى

وتتوالى القضايا الأخرى المتعلقة بالكتاب فيما دار بينى وبين الناشرين من حديث لساعات طويلة ..

وفى مقدمتها أزمة الكتاب الخليجى ، فقد اتضح أنه من العوامل التى أدت الى تأخير انتشار الكتاب الخليجى على مستوى الوطن العربى هى : ارتفاع سعره ، فيما عدا الكتب التى تدعمها الدولة مثل كتب سلسلة التراث التى تصدرها وزارة الاعلام فى الكويت والكتب التى تصدر عن دائرة الثقافة والفنون فى قطر .. وهذا بالاضافة الى عدم وجود شركات توزيع تقف وراء طموحات الشباب المثقف الخليجى ونشر أعماله .. وقصور دور الاعلام عن إعطاء الكتاب الخليجى حقه من النقد الموضوعى مع عدم وجود قائمة تعريف بالكتاب الخليجى وعدم وجود تغطية كافية من المؤلفين لكل تخصصات العلوم .. كما أن معظم كتاب الخليج مازالوا يفضلون نشر أعمالهم الشعرية والأدبية فى دور النشر بالقاهرة وبيروت ودمشق ، وهذا مما عاق وجود حركة ثقافية واسعة داخل بلدان الخليج !

وللأسف فان أغلب الناشرين فى العالم العربى مازالوا يؤمنون بأن الأدب الخليجى أدب بيئة وأدب منطقة محددة تأثر بالتراث والتقاليد وحافظ عليها ، ولذا فان التنوع فيه نادر ، وهذه النظرة الخاطئة كانت تمثل سياجاً أمام كافة الأعمال الجادة لأدباء وكتاب وشعراء المنطقة ..

ولذا فان الحل المؤقت الآن يتمثل فى ضرورة دعم الكتاب الخليجى من الدولة بحيث يصبح هذا الكتاب فى متناول أيدى القراء فى أية دولة عربية ، وبالتالى يزداد انتشاره بالشكل الذى يجعله مرآة لبلاده ، يعبر عن الرؤية القومية لانسان المنطقة وعن كافة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ويحمل سمات وخصائص هذه المنطقة بكل ما فيها من أصالة وعطاء ..

وهكذا نرى أن الكتاب العربى بكل مشاكله وقضاياه ، يحاول الخروج من الشرنقة التى تلتصق بجلده .. يحاول أن يتبنى قضية أو يعرض رأياً أو يحل مشكلة انسانية ، بصورة أوسع انتشاراً وأكثر تأثيراً فى الجماهير العريضة !

كمال سعد

الشاعر البحريني

إبراهيم العريض

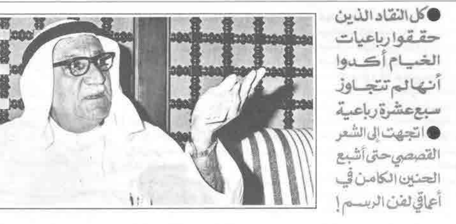
من الرسم بالألوان .. إلى الرسم بثلاث لغات!



حينما تكون عاشقا مخلصا فى العشق ، صادقا – فيما تقول – كل الصدق .. وتجلس كى تكتب لحبيبتك البعيدة عنك رسالة خاصة ، فانك – ولا شك – ستتخير من الالفاظ ارقها واصفاها .. ولكن الامر يختلف عندما تجلس كى تكتب لمجموعة من الاصدقاء البعيدين .. لان درجة الخصوصية ستختفى شيئا فشيئا ، وقد تقترب من الاطار العام .. ويختلف الامر عن هذا وعن ذاك عندما تجلس كي تكتب طلبا رسميا لاحدى الدوائر الحكومية بشان امر يتعلق بك

فى الحالة الاخيرة لن يختلف اسلوبك كثيرا عن اساليب المئات بل الالوف من الموظفين ، بينما فى الحالة الاولى لابد ان يكون اسلوبك متفردا دالا عليك وعلى ما تعكسه نفسيتك .. اما الحالة الثانية ، فانها الحالة الوسط ما بين الخصوصية والعمومية .. وهذا الذى نتحدث عنه هو ما عبر عنه الشاعر العربى – البحرينى الكبير ابراهيم العريض .. عندما تعرض لاحدى قضايا الشعر العربى .. وعكس هذه الحالات على المواقف التى يتعرض لها الشاعر بوجه عام .. لقد عبر الشاعر الكبير خير تعبير عن إدراكه لاختلاف اللغة من موقف إلى الآخر ، فقال : «يخطىء هؤلاء الذين يقسمون الشعر ابوابا ، حسب ملابساته الخارجية من مدح ورثاء وفخر او حماس وغزل او عتاب ، دون ان ينظروا إلى موقف الشاعر نفسه إزاء هذه الملابسات . فالروح التى تدفعك أنت لتستفز جماعة من البشر فى حفل حاشد هى غير الروح التى تتحدث

● كل النقاد الذين حققوا رباعيات الخيام أكدوا أنها لم تتجاوز سبع عشرة رباعية
● اتجهت إلى الشعر القصصي حتى أشبع الحنين الكامن في أعماقي لفن الرسم!



بها إلى واحد من هؤلاء ممن هو قريب إلى نفسك ، وهى بالأحرى غير هذه الروح التى تناجى فيها نفسك وحدها ..» .

وبطبيعة الحال فان هذا التصور لطبيعة الشعر ، تصور مغاير لتصورات الشعراء السابقين على شاعرنا العربى ـ البحرينى الكبير ـ وهو تصور يؤكد مدى تغلغل الرومانسية داخل أعماق إبراهيم العريض ، الذى يعده كثيرون من النقاد رائد الاتجاه الرومانسى فى الخليج العربى، وهو الاتجاه الذى جاء بمثابة رد فعل تجاه الكلاسيكية بوقارها ورزانتها ، وإيمانها المطلق بالشكليات على حساب الجوهر الانسانى بكل ما يضطرم فيه من عواطف متصارعة ومشاعر متضاربة .

قطعة حية من تاريخنا

كان لقائى بالشاعر الكبير هو اللقاء الأول .. لكننى لم اشعر بجو الكلفة الذى يسود عادة اول لقاء .. بل على العكس .. أحسست بالفة حميمة ، تغمر ارجاء روحى .. وليس هذا بعجيب او غريب .. فابراهيم العريض شاعر تجاوزت شهرته حدود الساحة الأدبية الخليجية .. وذاع صيته باعتباره شاعراً متميزاً ومتألقا فى ارجاء الساحة الأدبية العربية بأسرها .. وهو شاعر .. قرات له العديد من قصائده على صفحات مجلة «الرسالة» العظيمة ، التى كانت بمثابة جامعة أدبية شامخة ، تخرج فيها الكثيرون من الأدباء العرب على اختلاف أقطارهم التى ينتمون إليها

احسست وانا أصافحه .. بأننى امام قطعة حية من التاريخ العربى المعاصر .. اننى امام مَعْلم من معالم نهضتنا الأدبية والفكرية الحديثة .. وحياة إبراهيم العريض ـ فى حد ذاتها ـ حياة تستحق ممن يتعرف على سيرتها كل إكبار وإعجاب فقد ولد فى مدينة بومباى بالهند .. وبعد شهر واحد فحسب من ميلاده .. رحلت والدته عن عالمنا .. فتعهدته بالرعاية سيدة هندية .. وعندما التحق بالمدرسة الابتدائية كانت الدراسة باللغة الأوردية .. أما فى المدرسة الثانوية ، فقد كانت دراسته بالانجليزية إلى جانب الفارسية .. وقد قدر له أن ينتقل إلى البحرين بعد حصوله على شهادة الثانوية .. وكان بصحبة والده .. كان هذا فى عام ١٩٢٦ .. اى أربعة وخمسين عاماً .. ومن المعروف ان عام ١٩٢٦ هو ايضاً العام الذى شهد ميلاد ثلاثة من كبار شعرائنا العرب العراقيين بدر شاكر السياب ـ بلند الحيدرى ـ عبد الوهاب البياتى ... وإذا كان إبراهيم العريض قد ظل لفترة طويلة غير عارف بأصول لغتنا العربية العريقة ، فانه اصبح بعدها من شعرائها المرموقين الكبار .. وهذا ـ فى حد ذاته ـ أمر جدير بالاكبار والاعجاب ..

لم اكن متجها إلى الشعر !

قلت له : حدثنى عن علاقتك بالشعر .. كيف كانت البداية ؟ ومن الذى اعجبت بهم من شعرائنا العرب أو غير العرب ؟

.. وهل ظل إعجابك بهم كما هو إلى الآن .. ام ان الصورة قد تغيرت ؟! .

قال : قد تستغرب لو قلت لك ان اتجاهى بادىء الأمر لم يكن تجاه الشعر .. فعندما كنت طالبا بالمدارس الهندية .. كنت متوجها ـ بكل حساسيتى ـ إلى فن التصوير والرسم .. وظللت على هذه الحال ، حتى شعرت بان الرسم يحتاج إلى أن انتقل لعالم فنى معين .. يتيح لى أن أرسم لوحاتى بعمق وصدق اكثر .. وكان الانتقال بصورة طبيعية من فن الرسم .. إلى فن الشعر .. وكنت ـ فى ذلك الوقت ـ قد قمت ببعض محاولات شعرية فى النظم بالأوردية والانجليزية .. وعندما اتيت إلى البحرين كان مجال النظم باللغة العربية محدوداً نتيجة الضعف فى التعبير وعدم القدرة على التحكم ـ بدقة ـ فى أوزان الشعر .. وقد اقتضى هذا أن اعكف ـ قرابة اربعة اعوام ـ على قراءة امهات الكتب التراثية : الإغانى ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه ـ الكتب الاخرى من النحو وغير النحو .. وقد افدت كثيراً من زمالتى للمعلمين المعارين من مصر والعراق والأردن إلى البحرين .. وبعدها استطعت أن أتحول من النظم بالأوردية إلى النظم باللغة الأم .. اللغة العربية . وتوالت قصائدى بالفصحى .. إلى ان تألف منها ـ مجتمعة ـ ديوان «الذكرى» .. ولكننى لا أعد هذا الديون سوى مجرد محاولات أولية أخطو بها على درب الشعر .. درب الفن الشاق .. والحق اننى إذا كنت قد طبعت هذا الديوان ، فانه ـ



الشاعر البحريني
ابراهيم العريض
من الرسم بالألوان.. إلى الرسم بثلاث لغات



من وجهة نظرى – ليس سوى معلم من معالم الطريق لا أكثر ولا أقل .

«الذكرى» .. وبعدها المطولات

● وماذا بعد هذه المحاولة التى تمثلت فى «الذكرى» ؟ .. ماذا عن الشعر القصصى الذى اشتهرت بنظمه ؟

– لا اخفى عليك اننى اتجهت إلى الشعر القصصى ، نتيجة حنينى الكامن فى أعماقى لفن الرسم ، ففى تقديرى ان هذا اللون من الشعر فيه جانب من التصوير والرسم .. وهكذا بدات النظم .. وكانت المحاولة الأولى تتمثل فى مطولة «عروسى» ، وهى أول نتاج انشره فى مجلة «الرسالة» وقد احتفى الأديب الكبير المرحوم احمد حسن الزيات بها أيما احتفاء ... وكان هذا عام ١٩٣٤ .. ثم تتابعت مطولاتى القصصية واذكر منها «التمثال الحى» و «قلب راقصة» واخواتها .. وقد نشرتها متتالية فى «الرسالة» من عام ١٩٣٤ حتى عام ١٩٤٠ ..

● لكنك حتى الآن لم تاخذ بيدنا إلى عالمك الشعرى .. لم تحدثنا بعد عمن تاثرت بهم من الشعراء .. فهل آن الأوان ؟!

– قلت لك إن معرفتى بأسرار اللغة العربية جاءت تالية لمعرفتى بالأوردية والفارسية والانجليزية .. ومن هنا فاننى كنت أول عهدى – أتذوق – بشكل أعمق – الشعراء العرب الذين كانت أساليبهم اقرب إلى الأساليب التى تذوقتهافى غير محيط اللغة العربية وآدابها .. ولذلك اقول باننى قد تاثرت بجبران خليل جبران لمعاصرته وتفتحه وخياله الرحب .. وكذلك تاثرت بايليا ابو ماضى لبساطته وعمقه .. ومن غير شعراء المهجر .. تاثرت بمعروف الرصافى وجميل الزهاوى لبساطتهما .. ومازلت – إلى الآن – رغم انقضاء السنوات أرى أن جبران وأبو ماضى يستحقان المنزلة التى يحتلانها فى العالم العربى .. وفى قلبى .

● تحدثنا عن لغتنا الأم .. واللغات التى عرفتها من قبلها .. ولكن هناك سؤالا دائمايلح على ذاكرتى .. وقد وجهته لعدد كبير من الشعراء الذين التقيت بهم قبل لقائنا هذا .. هذا السؤال هو : هل هناك خطر يتهدد لغتنا العربية نتيجة توافد اجناس غير عربية على منطقة الخليج العربى ؟ .. ولا باسهنا من أن اذكر لك كيف اجاب الشاعر البحرينى الساخر عبد الرحمن رفيع على هذا السؤال .. إنه كان قد اسمعنى لتوه مجموعة من قصائده العامية ، وعندما واجهته بالسؤال .. قال : لكى نتخلص من هذا الخطر .. يتحتم علينا ان نحارب شعر العامية !!

الخطر الذى يتهدد لغتنا

● ابتسم ابراهيم العريض ابتسامته الهادئة .. وقال إنه يختلف تماما مع عبد الرحمن رفيع .. ثم استطرد قائلا : أنا لا أعتقد بان هناك خطراً يتهدد لغتنا من الخارج .. فالخطر الذى يتهددها ياتى من عوامل داخلية فى جسم الأمة العربية .. وهناك عامل اكبر .. هو الامية فانها كانت مسيطرة على العالم العربى .. وهى التى خلقت البرزخ الواسع القائم بين اللغةالعربية الفصحى وبين اللغات أو اللهجات الدارجة التى تتحدث بها الشعوب العربية .. ولهذا فان القضاء على العامية يجب أن يكون هدفنا الرئيسى الذى نسعى جميعا لتحقيقه ، فبالقضاء على العامية لا تستطيع الشعوب العربية أن تحافظ على سلامة لغتنا العريقة فحسب بل إنها تستطيع ايضاً أن تحافظ على كيانها السياسى والاجتماعى والاقتصادى ..

عمر الخيام .. ورباعياته

غيرت مجرى حديثنا .. سالته عن عمر الخيام الذى افتتن به .. قلت له أيها الشاعر العربىالكبير .. لقد ترجمت «رباعيات الخيام» .. وآخرون فعلوا هذا أيضاً ، فكيف ترى موقع ترجمتكبين الترجمات الأخرى ؟

– أريد أولا أن أوضح نقطة هامة .. هى أن أغلب المجموعات المطروحة بأسواق الكتب والتى تنسب للخيام .. لها تاريخ .. إنك تلاحظ أن النقاد الذين حققوا رباعيات الخيام أكدوا أنها لم تكن تتجاوز سبع عشرة رباعية .. والذى رفع من شأن الخيام هو الشاعر الانجليزى الشهير فيتزجرالد الذى ترجم الرباعيات بعد أن شاهد نسخة منها فى مكتبة حكومة الهند بكلكتا .. وتحتوى هذه المجموعة على مائة واثنتين وخمسين رباعية وهى منسوخة بعد وفاة الخيام بنحو مائتى سنة .. أى قرنين من الزمان .. وحدث ما نعرفه جميعا من تزيد وانتحال لدرجة أن عدد الرباعيات تجاوز الألف !! ومن الجدير بالذكر أن الفرس الايرانيين مختلفون فى صحة نسبة عدد كبير من الرباعيات إلى الخيام .. فهناك الكاتب الروائى الايرانى الشهير صادق هدايت الذى جمع (٢٥٢) رباعية ، راى أنها صحيحة النسبة .. وهناك «فروغى» الذى عد (٢٨٢) رباعية صحيحة ! وعلى هذا فانه إذا قال أحد المترجمين بانه ترجم رباعيات الخيام .. فانه إنما يقصد أنه تخير منها . والواقع أن الخيام ليس من شعراء الدرجة الأولى عند الفرس ، كما أنه كان عالما وفلكيا أكثر منه شاعراً وقد تعرفت أنا على ترجمات الرباعيات إلى لغتنا العربية .. تعرفت على ترجمة «البستانى» الذى هو أول المترجمين .. ومحمد السباعى .. والزهاوى .. واحمد الصافى النجفى .. وأحمد رامى .. وفيما يتعلق بترجمتى ، فانا أقول باننى مرتاح لها ، لأنها تعطى صورة عن الخيام هى أقرب ما تكون إلى حقيقية .

ينظم بثلاث لغات !

● تذكرت كيف صور الشاعر العربى – البحرينى ابراهيم العريض .. ملامح الشاعر – المثال .. وهى صورة رسمها شاعرنا منذ أكثر من اربعين عاماً ضمن قصيدة له نشرها فى «الرسالة» عام ١٩٣٩ .. حاولت أن أستعيد صورة الشاعر كما صورها العريض :

هو من أحلامه فى جنة
فاذا حدث عنها قيل : جنا
هو يهفو لجمال .. ربما
خفيت آثاره فى الكون عنا
فاذا شاهده فى روضة
أو سحاب مثل الاحساس فنا
والذى يطربنا من نغم
مسترقا كلما الليل اجنا
لم يكن غير نياط الحب فى
قلبه كالوتر الحساس رنا
هو فى نشوته يفضى بها
نغمات تملأ الآفاق حسنا
لا تقل دنياه ظل زائل
فشعاع الحب فيها ليس يفنى
لو تجلت قدرة الخلاق فى
لفظة .. صاغ لها الشاعر معنى

تذكرت هذه الصورة .. وفى ذهنى سؤال لا يستطيع أن يجيب عنه سوى شاعرنا الكبير .. قلت : أنت تكتب بثلاث لغات ، الأوردية ـ الانجليزية ـ العربية .. فهل تستطيع ـ بالفعل ـ أن تعبر عما تريد التعبير عنه من خلال كل لغة من تلك اللغات .. باعتبار أن لكل لغة إيحاءاتها وظلالها الخاصة .. وأى اللغات أقرب إلى قلبك عندما ما تريد أن تعبر ؟! .

قال : انا ممن يعتقدون بأن لكل لغة عبقريتها الخاصة .. وانت لا تستطيع ان تحسن النظم او تاتى بعمل فنى يستحق هذا الاسم إلا إذا كنت على اطلاع عميق بالآثار الجيدة التى تعتز بها اللغة التى كتبت بها هذه الآثار .. ولهذا فانه لابد لكل شاعر ينظم بالعربية أن يطلع على آثارها .. كذلك الأمر فيما يتعلق باللغة الانجليزية .. وهو ما حاولته .. أما فيما يتعلق باللغة الأوردية فاننى لم أنظم بها طيلة حياتى .. لكننى منذ نحو عامين فحسب ، وجدت نفسى وقد جئت إلى الفصل الاخير من فصول حياتى .. فرحت أقلب صفحاته وما سبقها من صفحات .. وقلت لنفسى إنك نشأت فى هذه اللغة وانت تتقنها .. فلماذا لا تحاول اليوم أن تترك أثراً فيها .. وكان عام الطفل .. حيث كتبت أولى قصائدى بالأوردية .. ثم جاء استهلال القرن الخامس عشر الهجرى .. حيث نظمت بالأوردية تحية له .. وقدمت القصيدتين لسفير الباكستان فى البحرين ـ باعتباره صديقاً حميماً لى ـ وكنت أتصور أن هاتين القصيدتين ربما تضحكانه .. لكنه وجد فيهما شيئاً فنياً كبيراً .. وهكذا أرسلهما إلى باكستان حيث نشرت الأولى فى مجلة خاصة بالطفل وفى صفحة بارزة .. وهناك قصيدة بالأوردية ، كنت قد نظمتها .. وعندما دعيت إلى ناد أدبى من أكبر النوادى الباكستانية ، قلت لنفسى .. ما دامت لدى تلك القصيدة ، فلماذا لا ألقيها على الجمهور .. وكانت المفاجأة ان المتلقين الذين كانوا موجودين عدّوا قصيدتى من القصائد الرائعة ، وعلقوها فى مكان بارز داخل النادى .

قلت لابراهيم العريض : هل يمكننا الآن أن ننتقل إلى حركة الشعر الحر .. لنرى كيف يحكم عليها شاعر ـ فى مثل منزلتك ـ شاعر عاصر مدارس ومذاهب شعرية مختلفة.. ما رأيك ـ يا ترى ـ فى حركة الشعر الحر؟ .. سألت هذا السؤال وفى ذهنى أن ابراهيم العريض سيبدى اعتراضا على الشعر بعد أن تقدم العمر بشاعرنا .. لكنه أجاب إجابة حاسمة :

ـ أحب أن أكون معك صريحاً .. أنا من المؤيدين المتحمسين للشعر الحر .. وقد قرأت نتاج بعض شعرائه الممتازين .. أمثال نازك الملائكة وصلاح عبد الصبور وبدر شاكر السياب ونزار قبانى .. وأعجبت بعطائهم الذى قدموه للشعر العربى فى أيامنا هذه . وأنا أعتقد أن قصائد عديدة من قصائد هؤلاء الشعراء جديرة بأن تترجم إلى اللغات الأوربية ، حتى يتعرف العالم على معالم نهضتنا الأدبية التى نعيشها .. ولعلى أذهب أبعد من هذا ، وقد تخالفنى أنت فى الرأى فأقول إنه ليس شرطا لكى يكون الشعر شعراً أن يكون موزونا أو مقفى بالمرة .. فالمهم هو أن نجعل الشعر مصداقاً للحياة التى نعيشها ، ومعبراً عن المعاناة التى نعانيها .. أما إذا جعلنا الشعر بمعزل عن الحياة ، كما كان يفعل شعراؤنا .. بحيث نراهم إذا مدحوا فانهم يجعلون الممدوح أكرم من حاتم الطائى .. وإذا وصفوه بالحماسة والقدرة على المعارك جعلوه عنترة بن شداد .. وهذا بالطبع لا يسمى شعراً لأنه بمعزل عن الحياة .

.. أردت أن أخفف من تحمس شاعرنا الكبير للشعر الحر .. وهو تحمس فوجئت به مفاجأة سارة بطبيعة الحال .. وخشيت أن يكون الأمر مجرد مجاملة لى ولأبناء جيلى ممن يكتبون الشعر الحر .. فعرجت بالحوار إلى جانب من الجوانب السلبية فى حركة الشعر الحر .. قلت :

ما رأيك فى الشعر الغامض الذى نطالع الكثير من نماذجه عند أدونيس وغيره من مقلديه .. ؟ .. ألا ترى أن هذا الشعر الغامض يسهم فى تخريب ثقافتنا كما أنه ضد طبيعة مهمة الأدب باعتباره عامل تحريك للجماهير كى تتجاوز واقعها إلى مستقبل مشرق .. هذا فى وقت نحتاج فيه إلى جهود كل المثقفين العرب لدعم مسيرة أمتنا .

قال : هناك جوانب متعددة لقضية الغموض .. فأنا لا أستطيع أن آتى إلى شاعر ، وأجبره على أن يقدم لى اللون الذى أستسيغه وحده ، دون بقية الالوان الأخرى .. وأنا أعتقد أن الشاعر عندما ينظم فانما ينظم لنفسه قبل أن ينظم إلى أحد .. وكل ما فى الأمر أن الشاعر إذا عد كتاباته موجهة لسواه ، ففى هذه الحالة يتوجب عليه أن يوجد أرضية مشتركة بين إبداعه وبين من يتلقون هذا الابداع.

* * *

حين نهضت محيياً ومودعاً ، أحسست بأن الوقت كان يمضى بسرعة ولا عجب .. فحينما يكون الانسان أمام قطعة حية من التاريخ العربى المعاصر .. فانه لا يشبع من التأمل .. ولا يكف عن التساؤل .. وحينما يكون الانسان مع إنسان آخر يلتقى به لأول مرة دون أن يشعر بجو الكلفة الذى يسود ـ عادة ـ أول لقاء .. وإنما يحس بألفة حميمة تغمر أرجاء روحه .. فى هذه الحالة لابد وأن ينقضى الوقت ـ مهما يكن طويلا ـ دون أن نشعر به .. وهذا حقاً ما أحسست به طيلة لقائى بالشاعر العربى ـ البحرينى الكبير ابراهيم العريض .. أمد الله فى عمره .. ليظل عطاؤه متجدداً .. فى مثل تجدد مياه النبع الصافى .

حسن توفيق

فسيفساء

شعر: حسن طلب



يا مرسلةً غزلانكِ في قمحي
في كرْمي .. تاركةً خيلكِ

ما كان أضلَّ خروجكِ لي
تحت الدوح .. وكان أضلَّكِ
كنتِ مصوبةً نَبْلكِ
لكأنكِ كنتِ حساماً
والعشق استلَّكِ

بل لكأنكِ أنتِ المنذورةُ لي
منذ زمانين ..
فأيّ دليلٍ دلَّكِ؟
هل شجر الليلكِ؟

مهلكِ ..
عنّي عنّي رُدّي خيلَكِ

إنّي سوف بأكثركِ أردّ أقلَّكِ
وبِهتانِكِ .. مُنْهَلَّكِ

ويلي منكِ
ومني ويلكِ

أحببتك حبّاً :
لوْ قد تحتكِ كان أقلَّكِ
أوْ لو قد فوقكِ كان أظلَّكِ
أوْ لو قد حولَكِ

ويلكِ !
من لي بكِ .. بي من لكِ؟

حرّملكِ القمح عليّ
ولكنّ الدوح أحلَّكِ

ويلي أوْ ويلكِ
أيةُ آلهةٍ وصلتْ بنهاري ليْلَكِ؟



لي ماتركتِ إلا جسدًا
لو قتلُ
الوصلُ
اعتلَّ
فعُودي مُعتَلَّكِ

هذي ساعة ماإنْ ظلٌّ..
إلا ظلَّكِ
رحمتكِ .. وعدلكِ
ماإنْ بعدكِ طيفُ حبيبةٍ استهديتُ..
وماإنْ قبلكِ
فلتدعي غزلاني
تغزو حقلكِ
سوف بحقلي
أفعل فعلكِ

بل سوف أُغنِّيكِ .. وأُغويكِ
لعلَّ فؤادكِ .. أو .. فلعلَّكِ
ويلكِ

لي قلب .. لو أنَّ الحلم محلٌّ..
كان أحلَّكِ
هل لكِ؟

أوَلَوْكان حبيبٌ
دون حبيبٍ
ملَّ حبيبًا .. ما ملَّكِ
وَبلكِ يرجو .. لاطلَّكِ

ويلكِ
سوف أسوس بوعدي .. سهلكِ
قولي لي قولكِ منذ زمانٍ
وميلي ميلكِ

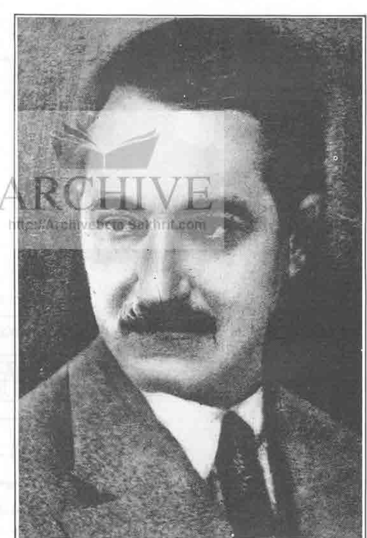
ولسوف بشملي .. شملكِ

ويلكِ

ماكان أجلَّ خروجكِ لي تحت الدوح
.. وكان أجلَّكِ
ويلكِ

كمال سعد

حياة العقاد في التليفزيون


العقاد فى شبابه

حياة العقاد حافلة بالذكريات والصفحات المجهولة التى تكشف دائماً كل جديد عن حياة المفكر الراحل الذى نعتبره واحداً من ابرز جيل الرواد فى تلك القرن !

ولذلك فان مسلسل العقاد الذى سنراه فى تليفزيون قطر ما هو إلا إضافة جديدة تكشف جوانب هامة عن الحياة الخاصة فى حياة العقاد ، وهذه الجوانب ليست جديدة على الذين عاصروا المفكر عن قرب او الذين تخصصوا فى دراسته ، ولكنها ـ بدون شك ـ جديدة على المتفرجين الذين لم يتعرفوا على العقاد إلا من خلال كتاباته !

ومسلسل العقاد ـ أو العملاق ـ كما سموه يمثل خطة انتاج يشترك فيها التليفزيون القطرى ضمن سلسلة من الأعمال عن مشاهير المفكرين والادباء فى العالم الاسلامى أمثال مصطفى صادق الرافعى ، وعلي أحمد باكثير ، ومحمد رشيد رضا ، واحمد محرم شاعر العروبة والاسلام ، ومحمد إقبال ، وعبد الحميد ابن باديس ، وعمر المختار ، ومحمد عبده والشيخ المراغى ، وعبد القادر الحسينى وغيرهم ..

صلابة المفكر

وفى هذا المسلسل نرى حياة العقاد ، منذ نشاته الاولى حتى عام ١٩٥٢ ، كمحور تنعكس عليه الأحداث السياسية والحركة الاجتماعية فى مصر .. ونرى ما يعترى هذه الحياة من احداث صاخبة وانفعالات حادة ، ربطته بالتيارات الوطنية التى شارك فيها منذ صباه !

وقد روعى فى اختيار شخصية هذا العملاق ـ بالذات ـ ما تحمله من ثراء فكرى واجتماعى وسياسى ، وصدارته لمقدمة قمم الادب والفكر فى الوطن

- لماذا تجاهلنا الفترة التى اتجه فيها بكل قواه إلى إكمال العبقريات؟
- لم يكن للعقاد مكتب في صحيفته .. بل كان يعمل بنظام القطعة!
- الخطأ الذي صححه الأديب على أدهم للعقاد في ندوته الأسبوعية!
- عندما أصرّ العقاد على الاحتفال بشاعر النيل حافظ إبراهيم

العربى ، ولذا فان تقديم الشخصية فى عمل درامى إنما يهدف الى تعريف أبناء هذا الجيل والأجيال القادمة بحياته ذات الأثر الواضح فى فكرنا منذ بداية هذا القرن !

ولعل اختيار الفنان محمود مرسى لأداء هذا الدور ، إنما هو نتيجة لتميزه باختيار الادوار الواعية ، فهو لا يهتم بأن يكون فى دور الفتى الوسيم بقدر ما يهمه اختيار الانماط الصعبة المعقدة التركيب ، والتى رأينا من بينها عيسى الدباغ وأزمته فى رواية «السمان والخريف» ودوره في «الشحاذ» الذى يجعلنا نشعر بمعاناته من رؤية الظواهر المحيطة به ، وعتريس فى شىء من الخوف ، وعبد الهادى فى ليل وقضبان ، والشاويش فى أغنية على الممر ، ودور عبد الهادى النجار فى المسلسل التليفزيونى الأخير «زينب والعرش» الذى رأينا من خلاله إنساناً ذا إرادة خائرة ، فطبيعته — دائماً — تخونه أمام حبه لزينب لأنه يريد امتلاكها دون أن يتحمل مسئولية تحريرها وتعليمها !

وهو فى شخصية العقاد يتحدى نفسه أمام قدرات المفكر وسماته الواضحة الكامنة فى الكبرياء والاعتزاز بالنفس وصلابة الدفاع عن المواقف والشموخ أمام كل ما يواجهه من مشكلات !

كما انه يتقمص أدواره الواقعية أثناء موقفه فى مجلس النواب الذى سجن بسببه ، وموقفه عندما هدد بالقتل من بعض الجماعات السرية ، ورفضه للوزارة ومنصب الباشاوية وتفضيله لشرف التعيين كعضو بالمجمع اللغوى !

إلا اننى استغربت عندما وجدت ان المسلسل تتوقف أحداثه عند عام ١٩٥٢ ، وكان من المفروض ان يلقى الأضواء على تلك الفترة الهامة من حياته التى اتجه فيها بكل قواه الى الكتابة وإكمال العبقريات وباقى مؤلفاته الاسلامية التى مازالت حية فى نفوسنا !

العقاد فى المجمع اللغوى

الاعتراف بالخطأ

ولعلنى فى هذا الصدد اتذكر ان العقاد فى سنواته الأخيرة كان ينشر مقالا اسبوعياً فى صحيفة الأخبار صباح كل اربعاء ، يستلهم فيه موضوعاته من وحى عصره ، فيتناوله بطريقة تعتمد على الحجة والسند وعمق العلم واللغة والخبرة بالناس ..

وكان بريد العقاد يحمل يومياً عشرات الرسائل ، التى كان يقرأها له كل عصر ابن أخيه عامر العقاد — كاتب قصة المسلسل — وكان أصحاب تلك الرسائل يتصورون ان للعقاد مكتباً فى جريدة الأخبار ، وانه يتقاضى مرتباً من الجريدة رغم ان العقاد كان يكتب فى الجريدة بنظام القطعة ، وكان يتقاضى عن يومياته فى الجريدة أجراً زهيداً ، قال لي مرة انه يصل فى مجموعه شهرياً الى قيمة ما تتقاضاه أى راقصة فى ربع ساعة مذاعة فى التليفزيون !

ومن الوقائع النادرة فى ندوته الأسبوعية التى كانت تقام فى صباح كل يوم جمعة ، ما رواه لي عامر العقاد عن المقال الذى كتبه فى صحيفة الاخبار ١٩٦٢ وقبل وفاته بعامين ..وكان المقال عن اديبين من المشاهير الألمان هما «هينى و لسنج» ذكر انهما من اصل يهودى .. واعترض الاديب المعروف علي أدهم على ذلك وجاء فى الندوة ليصحح ما وقع فيه العقاد من خطأ بالنسبة للناقد الألمانى الشهير «لسنج» .. وفى الندوة قرر العقاد ان يعود الى دائرة المعارف اليهودية التى ما إن احضرها حتى اتضح انه ليس يهودياً ولكنه كان يميل الى العطف على اليهود ، فاسرع العقاد ليصحح ذلك فى يومياته التالية ، وقال انه خلط بينه وبين «ثيودور لسنج» الفيلسوف الذى ولد فى عام ١٨٧٢ وتزوج من إحدى بنات الأسر الألمانية النبيلة ، وارتد مع أهله وأقاربه الى اليهودية وهو فى نحو الخمسين من عمره ، وانضم الى صفوف الصهاينة حتى لقى حتفه على ايدى النازيين عام ١٩٣٣ !

أدب الاعتراف

وهذا المثل الواضح يدل على تقبل العقاد لتصحيح أى خطأ يقع فيه دون الشعور بأن ذلك يقلل من قيمته وقدره ، فقد كان يقول دائماً لكل الذين من حوله إن الجهل هو الاصرار على الخطأ والتمادى فيه ، وان أمانة العلم تستدعى الاعتراف بالخطأ إذا وقعنا فيه !

وتحضرنى هنا واقعة أخرى فى هذا




قبل الحاكمة

في لقاء مع الفنانة



حديث مع ابنة مفتش الري

الصدد ، فقد اكتشف الكاتب الاسلامى محمود محمد شاكر بالصدفة وجود خطا فى الطبعات الثلاث من كتاب «ابن الرومى حياته من شعره» فاتصل بالعقاد ليخبره بأن هذا الخطا يكمن فى بيتين من شعر ابن الرومى ، وعلى الفور بدأ الكاتب الكبير فى مراجعة العديد من كتب التراث التى وردت بها بعض أشعار ابن الرومى ، واكتشف حقيقة البيتين ليشكر محمود شاكر على تلك الملاحظة ، وليجرى تصحيح البيتين بنفسه فى الطبعة الرابعة !

ومثل هذه الوقائع وغيرها ، تجعلنا دائما نتعجب لأن العقاد لم يتحدث بصورة وافية عن نفسه وعن شخصيته فى بعض مؤلفاته إلا فيما صدر منها بعد وفاته مثل «انا» و «حياة قلم» .. ولعل ذلك يعود الى ما قاله فى كتابه «ردود وحدود» الى انه غير مطبوع على التوجه الى محراب الاعتراف ، لانه ضرب من الاستغفار لا يستريح اليه ، ولأنه يدخر لنفسه خباياها وينزهها عن البوح بها لأحد غير مستثن من ذلك إلا القليل !

غير أن كاتب قصة المسلسل ـ عامر العقاد ـ يرى أن هذا الاقتناع جعل سيرة العقاد مازالت غامضة على كثير من القراء ، فهى تحتاج الى تفسير ، ففى مواقف الأديب او المفكر ما يعتبر درساً مفيداً للأجيال لا يمكن اغفال ذكره ، ولذا فان هذا النوع من الأدب الذى يطلق عليه النقاد «أدب الاعتراف» لا يضير الكاتب فى قليل او كثير ، بل يجعله اقرب الى القلب والعقل معاً !

قصيدة للمناسبة

إن حياة العقاد التى ترك خلالها للمكتبة العربية تراثاً فكرياً فى شتى موضوعات الحياة وفى الشعر ، مليئة بالمواقف الحية التى كنت اتمنى أن يتضمنها المسلسل ، فعندما تاسس المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى بداية الخمسينات ، تكونت لجانه التى تراس فيها طه حسين لجنة النثر ، وتراس توفيق الحكيم لجنة المسرح ، بينما تراس العقاد لجنة الشعر التى اخذت تخلد الشعراء أمثال محمود سامى البارودى واحمد شوقى ثم قررت أن تخلد الشاعر حافظ ابراهيم ، فجاءهم من يطالب بتاجيل هذا الاحتفال بناء من توصية لرئيس المجلس وقتئذ ، فرفض العقاد ذلك ولوح باستقالته فى حالة الغاء الاحتفال ، وعندئذ اجتمع المجلس فى مواجهة رئيس المجلس وليقول فى وجهه: يكفى حافظ ابراهيم لكى نحتفل به انه كان من أوائل المتمردين على الاحتلال فى اول ثورة عسكرية على الانجليز فى السودان عام ١٨٩٩ حينما كان ضابطاً فى الجيش المصرى !

وعقب هذا الاجتماع تقرر الاحتفال بحافظ ابراهيم لأربعة ايام فى الاسكندرية ، وشارك فى هذا الاحتفال مندوبون من بعض البلاد العربية ، وكان مما قاله العقاد فى ذلك الاحتفال عن حافظ : «لا نعرف هاتفاً بالقول المنظوم نافس الخطباء المفوهين فى ميادينهم كما



مصطفى النحاس وروز اليوسف



شخصيات من العصر الذى عاش فيه

نافسهم هذا الصناجة البليغ بصوته الأجش ونغمته المعبرة وبعده عن التكلف والاسترسال» !

وكان قد اعد قصيدة من اجل المناسبة لم يجهزها ولكنه استلهم وحيها وهو فى القطار ينظر عبر النافذة الى سنابل القمح فى الحقول الخضراء ، ولذا ما ان وصل الى شقته حتى طلب من ابن اخيه عامر العقاد أن يحضر دفترا وقلما ، وبدا يمليه قصيدته عن حافظ التى جاءت فى ٣٥ بيتا كان مطلعها :

ارفعوا ذكـره عليـــا مبينـــا
إنما الذكـــر رفعة الذاكرينـــا
حافـــظ فـى ثـراه لم يفتقدنـــا
وافتقدناه نحن حينـــا فحينـــا
من مضى فى غنى عـــن الحـــي
والحـــى عن الذاهبين لا يغنينـــا
وإذا الحمد فات نابـــغ قـــوم
فهو مـــوت الباقين لا الذاهبيـــن

وفى هذه القصيدة اشاد بمواقف حافظ ابراهيم فى الدفاع عن لغة الضاد عندما قال :

حافظا انت كنت للضـــاد لمـــا
غفها اهلها وظنوا الظنونـــا
اين فى المنكريـــن مـن ليس يروى
لك قولا وجزلا ونســجا متينـــا

ودليـــلا على غناهـــا إذا مـــا
سامها الفقر معشر مفلســـونا
بين شـــعر لـه رنين ونثـــر
يشبه الشـــعر فى السماع رنينـــا

ولعل شدة تعلق العقاد بحافظ ودفاعه عنه الى هذا الحد ، هو تلك الصداقة الخاصة التى كانت تربط بينه وبين شاعر النيل ، والتى جعلته يكتشف فى حافظ نفسا انسانية لها مواقف وكوامن واطوار لا تتكرر كثيرا فى العصر الواحد .. وكان يراه ـ دائما ـ فى كل احواله ، عندما كانت صدمات الزمن تؤلمه وعندما كانت شكوى الضعيف تؤرقه !

العقاد الانسان

ورغم ان المسلسل التليفزيونى الذى اخرجه يحيى العلمى لم يتعرض لهذه الواقعة وغيرها ، فان كلمة الحق التى تقال انه قدم شخصية العقاد كانسان بكل ما فيها من جوانب ضعف وقوة ، فمثلا عندما يحس انه مطعون فى حبه يبدا فى القلق والحيرة ويصل الى مرحلة الهزة العصبية الحادة ، وعندما يسمع بموت صديقه عبد القادر المازنى يشعر بالأسى يهزه بعنف ويجهش بالبكاء .. فهذا الانسان الشامخ العملاق لا يفلت من جوانب الضعف الانسانى ، ولا يقلل هذا الضعف ـ مطلقا ـ من شموخه النفسى والفكرى !

ويتعرض المسلسل لحب العقاد للقراءة فى صباه عندما كان يتردد على مكتبة يملكها رجل انجليزى فى اسوان ، يطلب منه ان يعلم ابنته اللغة العربية ، وتتعلق «سالى» التى تقوم بدورها «شيرين» بالفتى الذى لم يستطع ان يبادلها هذا التعلق وتركها راحلا الى حى شعبى فى القاهرة ليؤسس جريدة يعبر فيها عن رايه الى ان اضطر الى اغلاقها بعد افلاسه !

وفى تلك الفترة تصادفه بنت الحارة «قمر» التى تؤدى دورها ماجدة الخطيب ، وتعرض عليه عقب افلاسه تحويشة عمرها ولكنه يرفض باباء الخروج من ضائقته المالية !

اما الاديبة مى زيادة فى المسلسل التليفزيونى فتقوم بدورها «شهيرة» التى تتعرف عليه من خلال هجومه على جبران خليل جبران ، فقد طلبت منه ان يوقف حملته الظالمة ، واستطاعت منذ لقائها به ان تقتنع بشخصيته وأرائه وان تجذبه الى صالونها الادبى الذى كان من اشهر المنتديات الادبية وكان يتردد عليه نخبة من رجال الفكر والأدب والسياسة ..

وفى المسلسل نرى «سارة» وتقوم بدورها صفاء ابو السعود ، وهى توقظ فيه شك المحب وغيرته ، ورغم انه لم يستطع ان يجد فى حبها الاخلاص الذى ينشده لأنها كانت حريصة على ان تعطيه الاحساس بانه ليس الحب الوحيد فى حياتها ، إلا أن صورتها ظلت فى مخيلته لفترة طويلة وحاول نسيانها بكافة الوسائل . ولكن طيف وجهها ظل يؤرقه ليال واياما !

كل ذلك وغيره من الشرائح المختلفة التى التقى بها العقاد فى حياته ، نلتقى بها فى المسلسل التليفزيونى «العملاق» لتخدم الغرض الدرامى فى حياته الفكرية والانسانية على حد سواء !

كمـــال ســـعد

حوار مع الدكتورة أميرة حلمي مطر

حول قضايا الفن والجمال

● الحوار بين الحضارات مبدأ يتبعه الغرب .. فلماذا نتقوقع؟

● المطلوب حرية التعبير للفنان بعيداً عن التزمت والقيود

دعت جامعة قطر فى الشهر الماضى الدكتورة أميرة حلمى مطر رئيسة قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة .. وقد أجرت مجلة الدوحة معها هذا الحوار(اجرى الحوار : حسن طلب)

تزور قطر هذه الأيام ، الدكتورة أميرة حلمى مطر ، رئيسة قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة ،حيث تستضيفها كلية الانسانيات بالجامعة القطرية .

وللدكتورة أميرة مطر ، جهد وافر ، وبحوث فلسفية جادة ، أسهمت بها فى اثراء المكتبة العربية على مدى عشرين عاماً تقريباً ، وشاركت فى إذكاء الوعى الفلسفى لدى القارىء العربى الجاد ، الذى يتطلع الى مثل هذه البحوث الفلسفية المتخصصة .

وقد صدرت الدكتورة أميرة مطر فى كتاباتها ، عن روح موضوعية قدمت من خلالها اهم التيارات القديمة والمعاصرة فى مجرى الفكر الأوربى ، خاصة فى مجال علم الجمال وفلسفة الحضارة . وذلك إدراكا منها للمهمة الحضارية الكبرى التى تقع على كاهل المشتغلين بالفكر والثقافة فى الوطن العربى

ولم يكن دور الدكتورة أميرة مطر ، مقصوراً على مجرد العرض والتعريف والتقديم — وهو فى حد ذاته دور هام ومهمة جليلة — بل لقد كان شاغلها فى معظم كتاباتها أن تنقد وتحلل وتقوم ، بعد أن تعرض وتقدم وتشرح ، تشهد على ذلك كتاباتها المتنوعة فى الفلسفة القديمة وفلسفة السياسة والحضارة وعلم الجمال .

ومن الدراسات التى قدمتها أميرة مطر فى مجال فلسفة الفن وعلم الجمال : فلسفة الجمال (١٩٦٢) فى فلسفة الجمال من افلاطون الى سارتر (١٩٧٤)— مقدمة فى علم الجمال (١٩٧٦) — كما اشتمل كتابها الأخير : دراسات يونانية (١٩٨٠) ، على فصل طويل فى علم الجمال عند الاغريق ، هذا عدا المقالات الأخرى العديدة حول الفن والجمال والتى نشرت فى دوريات مصرية مثل «الطليعة» — «الفكر المعاصر» — «الفنون» ..الخ ، والتى جمع بعضها فى كتاب «مقالات فلسفية حول القيم والحضارة ١٩٧٩» . كما كانت الدكتورة أميرة قد ترجمت من قبل ، كتاب الاستطيقا (علم الجمال) للكاتب الفرنسى دينس هويسمان .

ولا شك أن هذا الانتاج الغزير فى مجال بكر هو مجال الدراسات الجمالية ، يعبر عن إيمان أميرة مطر بمدى خطورة واهمية ذلك الفرع من الدراسات الفلسفية ، وهى التى دابت على نشر الوعى بالفن والجمال ، ليس فقط لدى طلابها فى كلية الآداب وكلية الفنون التطبيقية ومعهد التذوق الفنى ، بل ايضاً لدى القراء والمثقفين بصفة عامة .

وفى لقائنا مع الدكتورة أميرة مطر دار الحديث بيننا حول تلك الاهتمامات التى تشغلها على الدوام ، وتشغل بال الثقافة والمثقفين هذه الأيام .

قلت لها :

● تعانى حياتنا الثقافية الآن ، من البلبلة والاختلاط اللذين يشوبان مفهوم الفن ، فهل يمكن أن نبدأ بتحديد هذا المفهوم ، بحيث نستطيع أن نتعرف أولا على ماهية الفن وطبيعته ؟

قالت :

— الفن فى حقيقته ليس محاكاة للواقع ، كما درج الكثيرون على وصفه بذلك ، فالفن الحقيقى ترجمة للواقع وليس محاكاة له ، ولا شك أن الصورة المحاكية للواقع المباشر لم تعد لها اليوم قيمة الصورة الموحية ، والحق أن فهم الفن على أنه محاكاة للواقع ، قد جنى على فنوننا وجنى على مبدعينا ومتذوقينا ، فاصبحنا لا نألف إلا الشعر المباشر والفن المباشر الذى ينقل الينا تفاصيل الواقع مباشرة ويحاكى دقائقه . بمعنى أصح ، نقول ، إن محاكاة الفن للواقع ، وما يتبع ذلك من قيم المباشرة والسهولة ، افسدت ذوقنا الجمالى وجنت على حاستنا الفنية .

● ولكن ما هو المقصود بالضبط من القول بأن الفن ترجمة للواقع وليس محاكاة له

الفن (لغة أخرى)

— أقول : إن الفن ليس محاكاة ، وإنما هو ترجمة الواقع بواسطة الكلمات والالوان والأصوات ، ترجمة موحية ، عندئذ يصبح الفن غذاء لروح الانسان ، هذا هو الفن فى أوج عصوره ، خذ مثلا : دانتى ، وشكسبير ، وجوته ، أو بيتهوفن ، وموزار ، وديبوس ، أو ماتيس ، وبيكاسو ودالى . ومن حضارتنا العربية خذ شعر العذريين والمتنبى وابى العلاء ، كل اولئك الفنانين الكبار تركوا فنا خالداً قادراً على أن يغذينا باستمرار ، ومهما تقادم عليه العهد ، لسبب بسيط ، هو انهم كانوا يترجمون الواقع فى فنونهم الى لغة اخرى ، ويعبرون عنه بأبجدية جديدة ، ولم يكونوا ليقتصروا على مجرد محاكاته كما هو ، وبنفس لغته ومفرداته وإلا ما استطاعت أعمالهم أن تصمد أمام



الزمن وتستشرف الخلود وتاسر نفوسنا . نعم إن الفن ترجمة للواقع ، وبغير هذا لا نستطيع أن نفهم الفن المعاصر حولنا .

إضافة وابتكار

● فاذا ما انتقلنا من الفن الى الفنان وسالنا : على اية صورة يمكن للفنان ان يترجم الواقع حتى يصير فنانا بحق ؟

ــ الفنان الحق هو الفنان المجدد ، هو ذلك الذى يعرف كيف يستخدم لغة جديدة ورموزاً اكثر جدة ، تكون أصدق فى ترجمتها للواقع عما عداها واكثر مواءمة لمقتضيات اللحظة الحضارية . الجديد هوباستمرار اضافة الى الواقع ، والفن إضافة وابتكار وإن لم يكن اضافة فهو مجرد تزيد ، ولن يشتمل حينئذ إلا على مجرد الأفكار والمضامين .

● جئنا الى مشكلة الشكل والمضمون يبدو أن مثل هذا الكلام يقف الى جانب الشكل ، فهل هذا صحيح ؟ وإذا كان كذلك فما هى الحيثيات ؟

ــ يقال بالفعل ان هذا الكلام يتجه بنا الى سيادة الشكل على المضمون ، ولكن فى ذلك مفارقة ، فالشكل والمضمون ليسا على هذا النحو من التقابل ، وإلا ، فهل يمكن أن يكون هناك شكل فارغ ؟

حقا ، إن الشكل يجر وراءه دائما مضمونا غير مباشر ، وذلك فى الفن الحقيقى والأصيل ، اما المضمون المباشر فليس إلا مجرد تسطيح وتبسيط مخل ومبتذل . بعكس المضمون الذى يتكشف من خلال شكل ما ، فهو قطعاً الذى يؤثر على شعور الانسان ، والفن يخاطب الشعور والوجدان قبل ان يخاطب العقل وإلا تحول الى علم من العلوم .

الشكل لا يخلو قطعا من المضمون ، فقط اترك الشكل يتحكم وعندئذ سترى انه مرتبط كل الارتباط بمضمون ما ، خذ الفن التجريدى مثلا .. وستجد انه لا يخلو قط من المضمون ، لان هناك تكثيفاً وليس تعميماً ، تلخيصاً وليس عرضاً ، وهذه مقولة بديهية فى فلسفة الفن الحديث والمعاصر .

الفوضى الشكلانية

قلت :

● ولكن لابد لنا من وقفة صغيرة هنا حتى لا تختلط الامور ، فالنظر الى العمل الفنى باعتباره شكلاً فى الأساس ، كثيراً ما يكون مدعاة للاتهام بالشكلانية ومظنة للانصياع لتعاليم القائلين «بالفن من اجل الفن»

ــ هذه اتهامات وادعاءات ينبغى الا نلقى بالا اليها ، فلا تصدق ان هناك شكلا دون محتوى او دون مضمون .. فليس هناك شكل خالص اللهم إلا فى مجال المنطق فحسب .

● ولكن الشكل فى المنطق موضوع آخر . إنه علاقات صورية مجردة بطبيعتها من اجل تنظيم الافكار ، وقيمتها فى هذا التجريد ، فهو الذى يمكنها من اداء وظيفتها على النحو المراد لها ، اما الشكل فى العمل الفنى ، فهو امر آخر ، إنه نسيج العمل الفنى ذاته ، اى انه هنا ينحو نحو التجسيد لا التجريد .

ــ ولهذا السبب عينه فهو لايمكن ان يكون بدون مضمون ، انت قلت منذ لحظة انه تجسيد .. فماذا عساه يجسد ؟ طبعاً يجسد المضامين ولكن من خلال بناء فنى معين ، وبواسطة صورة حية موحية .

● هذا حقيقى ، فانا ايضاً اومن اشد الايمان بقيمة الشكل والتشكيل ، وما كنت إلا مستفسراً عن بعض الملابسات العالقة بالمصطلح .. وإنى اود الآن ان اسال عن قضية اخرى طال النقاش حولها خلال العقود الماضية ، اقصد قضية الأصالة والمعاصرة

وما اريد ان اسال عنه هنا ، هو ما يتعلق بالفن والجمال من هذه القضية

ــ بالطبع هناك الكثير من القيم الجمالية يمكن استلهامها والانطلاق منها الى افاق إبداعية ارحب ، خذ مثلا الزخرفة العربية ، الموسيقى العربية ، كل هذه قيم جمالية موجودة فى تراثنا ، ولا تزال تؤثر على ذوقنا وتستقر فى وجداننا ، وهى التى تميزنا فى نفس الوقت ، لانها مستمدة من بيئتنا ، ويمكن أن نستوحى قيمها الشكلية ونطوعها للمضامين الجديدة .

شعر التفعيلة

● الا يعنى ذلك ان الشكل ليس سوى قالب جامد نصب فيه هذا المضمون

ــ انا لا اومن بفصل الشكل عن المضمون ، فالشكل ليس قالباً هندسياً ، وانا لا أوافق الدكتور زكى نجيب محمود على نظرته الى الشكل بهذا الفهم ، وما قلته عن الشعر الحديث امر يحدث فى كل الحضارات والفنون التى تتطور قيمها الشكليةباستمرار ، خذ مثلا الحضارة الاوروبية ، وكيف خرجت موسيقاها عن السلم الموسيقى الى الموسيقى اللامقامية لتعبر عن الزحام والضجيج وصخب الآلات الكاتبة ، .. الخ ، كما خرج التصوير عن قواعد المنظور .. كل هذا تطور فى الأشكال ، حدث من اجل تطويع الأشكال القديمة للمضامين الجديدة والواقع الجديد ، وهو تطويع لن يحدث كما قلت إلا بالتطوير ، بابتكار اشكال جديدة فى النهاية .

● بمناسبة الحديث عن الحضارة الغربية ، هل يمكن ان نستفيد من القيم الجمالية الغربية ، والى اى مدى ؟

ــ ينبغى الا ندعو الى التقوقع حول الذات ، بل يجب ان ننفتح على الحضارات الاخرى ، ولا نكف عن الحوار معها ، فالحوار بين الحضارات مبدأ تتبعه الحضارة الغربية نفسها . ولا يعنى ذلك التخلى عن ثراء تراثنا ، وغنى فنوننا .

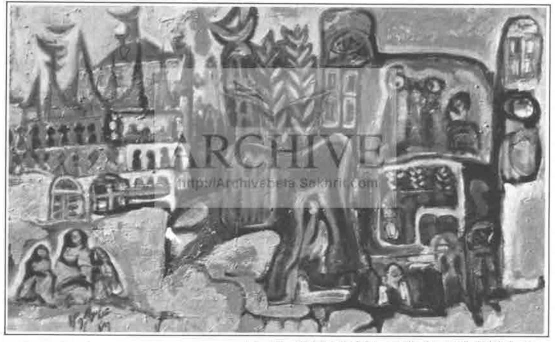
سؤال اخير :

● هل ترين ان هناك شروطا مفتقدة وراء انخفاض مستوى الوعى الفنى والجمال العربى ؟

ــ المهم ان يكون هناك قدر واف من حرية التعبير ، يتيح خلق اشكال فنية جديدة بعيداً عن التزمت والحجر المفروض على الفن والفنانين المبدعين .

أين نحن من حركة الفنون المعاصرة ؟

جمال قطب



● فى الحياة للفنان البحرينى عباس المحروس . معالجة متطورة لاستخلاص الطابع المحلى .

تحدثنا فى المقالات الثلاث السابقة عن ابعاد الأزمة الراهنة والتى تتمثل فى انفصال القطاع العريض من الجمهور عن إبداعات الفنانين الذين يعانون من عدم التقاء الناس وتفاعلهم بانتاجهم ، والتمسنا العذر والمبررات لهذا السلوك لكلا الطرفين ، وفى نفس الوقت اوضحنا اسباب القصور عند كل منهما إزاء الآخر أو الظروف التى فرضت عليهما سوياً ، وبتدارس جذور المشكلة ، بدانا المسيرة مع التلميذ منذ أول عهده بالمدرسة ورأينا هذا الخلط الغريب بين مهمة (الأداء) وما يجب أن تكون عليه التربية الفنية وأهدافها فى ترسيخ وتنمية التذوق الفنى بمعناه الشامل ، ولمسنا المستوى الثقافى الذى يجب أن يكون عليه المدرس لكى يكون أهلا لهذه المسئولية الحضارية الخطيرة .

وكان ذلك احد الأركان الهامة للمشكلة ونستمر اليوم فى استقصائنا واستعراض كافة الجوانب الأخرى ، علنا ننشىء جيلا متفتحا ، وقد دربنا بصيرته على التذوق الفنى والاستمتاع بالقيم الجمالية ولمسات الابداع فى كل مرافق الحياة .

التربية الفنية

إننا نسائل انفسنا : هل نحن جادون حقيقة فى دراسة التربية الفنية للنشء فى مراحل الدراسة المتتالية ؟ أقول هذا وأنا أوقن أن عالم اليوم لا يحتمل إلا الجدية فى كل مخططات التعليم والثقافة المتطورة . وما الفن إلا قمة



● ملامح عربية للفنان اللبناني رشيد وهبي ـ الأداء الفني بأبسط الأساليب ـ



● الفنان والزمن (أندريا ماسون) التطرف في الحديث

السلوك الانسانى المهذب الذى يتسم به طابع الحضارة ! والخطا كل الخطا أن نظن ونحن فى زحام الأحداث والعقول المكدودة والأذهان المثقلة بمشاكل التطور والتسابق العلمى المحموم ، أن الفن تخصص ثانوى لفئة محدودة نطلق عليهم الفنانين ! أو أن رواده ومحبيه ومتذوقيه هم مجموعة من هواة الفنون المترفين ! فلنتدارس قول أوسكار وايلد :

«إن روعة الشعور بالجمال فى المبتكرات الفنية هى سمة حضارة الشعب ، ولقد علمتنا الفلسفة هدوء النفس واتزان العقل لاحتمال أخطاء الغير ، كما استطعنا بالعلم أن نرقى بمشاعرنا ونهذب سلوكنا لنتسامى بمستوانا الانسانى . أما الفن فيجعل حياة الفرد جنة دنياه ، وبينما الفلاسفة يتساقطون كحبات الرمال ، كما تتساقط معتقداتهم كأوراق الخريف ، يظل الفن الجميل متعة الحياة كفصول السنة التى تتغير فى نظام بديع ودائم » .

ويقول (هافلوك إيليس) فى هذا المعنى :

« بالفن وحده نجد حلولا لمشاكل الحياة ، والفن النقى الخالص لا يعرف الغش أو الخداع ، بل يتسامى على الظلم والآلام والأحزان ليؤكد أسمى معانى الجمال من اجل إسعاد شعب جدير بالحياة . والفنون الجميلة هى دليل العبقرية المبدعة ، وهى بدورها ثمرة من ثمار مجتمع متعلم ومثقف» . ولمعظم القادة والمفكرين من هذه الآراء والاقوال ، نقرا ونعلم الكثير .

فاذا كان الحال كذلك .. نعود إلى تساؤلنا عن مدى جديتنا فى تنشئة ابنائنا وتوجيههم وجهة فنية سليمة . وإذا هدفنا إلى هذه الغاية ، فما معنى ان تنقطع صلة التلميذ بالدراسة الفنية منذ المراحل الأولى لتعليمه ؟ .

إن أخطر فترة تربوية تتبلور فيها الملكات والمهارات هى فترة مرحلة الدراسة الثانوية .. وهى نفس المرحلة التى يحرم فيها الطالب من دراسة الفن حسب المناهج الدراسية عندنا . وكانها عبء ثقيل أراد المخططون أن يزيحوه عن كاهله لكى يتفرغ لباقى المقررات ويجيد حفظها ويحصل على (المجموع) ! وإذا أراد بعض الطلبة من ذوى المواهب الفردية أن يلتحقوا بكليات الفنون بعد ذلك ، كان لزاما عليهم قبل كل شىء ان يخضعوا لقيود المجموع ومكاتب التنسيق واجتياز الامتحان ! وقد يتمكن بعض الشبان من أن ينخرطوا فى كليات الفنون الجميلة بطريقة أو بأخرى كالزهور البرية تتفتح دون أن نتعهدها بالعناية أو الرعاية .. فيجدون انفسهم فى أكاديميات يجب أن تدرس أعلى مستويات الفن الرفيع ، وكل محصلتهم السابقة من الدراسة الفنية لا تعدو أكثر من معلومات سطحية باهتة غطاها غبار السنين .. تلك التى كانت حصيلة تلقينية من ممارسات ساذجة لا يكاد أن يذكرها الطالب فى فترة المراحل الدراسية الأولى من أيام الطفولة .. وقد تحدثنا فى مقال الشهر الماضى عن هذه الفترة بكل ملابساتها وما يجب أن تكون عليه من حيث مقدرة مدرس التربية الفنية ، والمناخ اللازم توفره ، والمناهج المدروسة الواعية ، لا لتدريس مادة بعينها .. ولكن لتنمية ملكات التذوق الفنى بمعناه الكبير .

الامكانيات المفقودة

ومن الغريب حقا اننا نفتقر إلى الامكانيات البسيطة حتى فى معاهدنا وكلياتنا الفنية المتخصصة ، ويجب ان يكون النقد الذاتى البناء هو هدفنا بتجرد كامل ! وقد يسرح الخيال ليصور هذه الامكانيات بحجم يفوق طاقة الاحتمال ... ولكن الامر مختلف تماما . إن الفن التشكيلى بصفة عامة يعتمد أساسا على الطاقة البشرية والموهبة المستعرة فى نفوس الفنانين والتوعية المستنيرة .. وبأقل القليل تسير قافلة الابداع .. طالما كان هناك الوعى والاحساس بمسيرتها .. ومشكلتنا الحقيقية هى ذلك الوعى المفقود ! وزيارة واحدة لبعض هذه الكليات كفيلة بتاكيد المعنى الذى أرمى إليه .. وعلى سبيل المثال ، فقد خطت كلية الفنون الجميلة بالقاهرة خطوة تقدمية رائعة فى مجال التوسع الأفقى العام . باستحداث اقسام تواكب الاهتمامات المعاصرة مثل (فن الرسوم المتحركة والاعلان السينمائى ورسم وإخراج الكتب .. وغيرها). ومثل هذه التخصصات وغيرها نجدها الآن فى كليات الفنون العديدة فى مصر .

ومن الغريب أن مجموعة كبيرة من الدارسين الموهوبين فى هذه الأقسام قد شقوا طريقهم بنجاح مثير ، ولكننا إذا نظرنا إلى الادوات والآلات البدائية التى درسوا ومارسوا فنهم بواسطتها .. أشفقنا على هذه البراعم المتفتحة التى تمتد إلى جذور فنية وتراثية عريقة ، وتصورنا فى نفس الوقت ، ماذا يكون عليه المستوى إذا ما وفرنا لهم أحدث الخامات والآلات المتطورة التى ينعم بها أقرانهم فى كثير من دول العالم .. وعلى ذلك فالمطلوب ـ وهو طلب غاية فى التواضع ـ تحديث كليات الفنون وإمدادها بكافة الخامات والآلات المتطورة التى تدعم رسالتها على الوجه الأمثل . وكما ذكرت ، فعملية التحديث هذه لاتكلف الملايين ، ولكنها تحتاج إلى



● من وحى الصيد للفنان القطرى جاسم زينى . معالجة الشكل بالتكعيب لاخفاء الحداثة على أسلوبه .

أرقام متواضعة .. أما والحال كما هى عليه الآن ، حيث نزوع الفنان إلى الانطوائية والتقوقع ، وانفصال الجمهور عنه وعدم تفاعلهم مع إبداعه ، فلن نستطيع اقناع المسئولين أو غير المسئولين بجدوى وقيمة الفن عامة طالما رأينا هذه الظاهرة السلبية : وهى تباعد الجمهور عن الفنان ، وما المسئولون والمخططون إلا قطاع من هذا الجمهور !

أجهزة الاعلام

وهناك ظاهرة أخرى فى عالمنا العربى فى الوقت ذاته تدعو إلى التامل مع أنها منطقية مع ما وصلنا إليه من عدم الاهتمام بالفنون التشكيلية : فلا نعجب إذا كان الانطباع السائد فى أذهان المواطن العادى عن أن الفنان هو من يرقص أو يغنى أو يمثل أو يدق الطبول !

.. ومن المتعذر أن يقفز إلى ذهنه أن الفنان التشكيلى هو الفنان الذى يستحق هذا اللقب قبل غيره .. وليس هذا تغاليا أو تحيزاً أو انفعالا ولكنها الحقيقة المعروفة فى العالم أجمع وفى كل لغاته الحية ومصطلحاته ! والسبب فى ذلك يعود فى المقام الأول إلى قصور أجهزة الاعلام وافتقارها إلى المحلل أو الناقد للفنون الجميلة ، وعدم اهتمامها الاهتمام الواجب بهذا النوع من الابداع.

وإذا تناولنا الصحف كمجال للكلمة والصورة ، فاننا نجد ـ باستثناء بعض الكتابات الجادة النادرة ـ أن أغلب ما ينشر عن الفنون التشكيلية عبارة عن كتابات أكثر تعقيداً من الأعمال الفنية نفسها ، أو مجرد حصر وصفى للمعروضات يكتب بسلبية غريبة ، أو على أحسن الفروض تسجيل لانطباعات عابرة ..

وفى جانب آخر نرى أن ما يكتب لا يخرج عن تقولات من التهجمات أو إطراء من المجاملات دون منطق يحكمها أو فهم يؤيدها .. والاهم فى الأمر أن الجمهور يتصفح هذه الكتابات غير عابىء بها فهى لا تعنيه فى شىء .. بنفس السلبية التى يشاهد بها الانتاج الفنى ذاته ! .

أى أننا نفتقر إلى عملية النقد الفنى كعلم له أصوله وأهدافه .

ومن الأمور العادية فى صحافتنا وأجهزة اعلامنا المتعددة ، أن نرى أى إنسان يكتب أو يقول أى كلام عن الفن التشكيلى ! فبعد أن كاد يفقد هذا الفن تأثيره وخطورته على الحركة الثقافية والفكرية عامة ، لم يعد لما يقال عنه بالتالى أى تأثير أو خطورة . وفى هذا المجال لا يسعنا أن نعدد ما يجب أن يكون عليه الناقد من وعى ثقافى وأخلاقى ، ولن نتناول مذاهب النقد ومدارسه المختلفة .. لأنها ستكون ـ والحال هذه ـ دون معنى أو مبرر ! طالما أن المشكلة برمتها فى مثل هذه الضرورة من العلاج الحاسم من كل جوانبها

المتاحف والمعارض

هناك قول ماثور لأحد الأعلام ـ لايحضرنى اسمه ـ مفاده أن الانسان إذا أراد أن يقف على حضارة أمة من الامم .. فعليه أولا أن يحيط علماً بمتاحفها وان يعلم مدى اهتمامها باقامة هذه المتاحف . وقد سبق أن تناولت (الفن الاسلامى) فى أبحاث ومقالات متتالية نشرت تباعاً فى بعض الجرائد والمجلات المتخصصة ، وكان نصيب «الدوحة» منها بضع حلقات

● العارف للفنان السعودى محمد سيام
بداية مبشرة ولكنه تقليد للوحة بيكاسو

فى الشهور الماضية ، وخلصت فى النهاية إلى اننا ـ أصحاب التراث الانسانى الرائع ـ لا نحتفظ إلا بالندرة الضئيلة من هذا التراث ، فى متاحفنا الأقل ندرة وسط عالمنا العربى الفسيح ! .

وقد وصل الأمر ببعض مؤلفى الكتب عن تراثنا أو تاريخنا البعيد والقريب إلى ان يجوبوا دول الغرب أو الشرق بحثاً عن معلومة أو صورة أو وثيقة كاثر من آثارنا العربية أو الاسلامية .. التى أفرغت بلادنا منها تقريباً فى غفلة من الزمن وغفوة من الوعى ! وإذا حصل على هذه الوثيقة ، فقد تكون محرفة أو



● الموسيقى الشعبية للفنان العراقى فائق حسن ـ موازنة محسوبة بين التجريد اللونى المتحرر والموضوع الواقعى

مغرضة أو لبست ثوباً مستعاراً غير ثوبها الأصيل .. وهكذا يزيف التاريخ !

وإذا تناولنا قاعات العرض بين ظهرانينا .. وهى الملتقى الطبيعى بين القلة الباقية من المهتمين بالحركة الفنية والفنانين ، نجد أن الوضع لا يخرج فى مجال هذه الأزمة عن مدى الاهمال الشامل للفنون التشكيلية بكل جوانبها ومتطلباتها . وقد قرأت كلمة (مؤثرة) للفنان صلاح طاهر فى جريدة الأهرام قبيل عيد الفطر المبارك ، وكنت يومها فى اجازة الصيف على شاطىء «بلطيم» الوادع .. وكانت بعنوان :

الحضارة كل لا يتجزأ . تناول فيهاماساة قاعات العرض فى القاهرة عاصمة الفن وملتقى التراث العالمى ، وتكلم عن اختفاء معرض الفن الحديث وتساقط قاعات العرض واحدة بعد الأخرى ، والتآمر على أكبر قاعات الفنون الجميلة عندنا وهى «قاعة باب اللوق» واظن أنهم الآن يعدون الديكورات اللازمة لتحويلها إلى بنك دولى . وليس الحال بأحسن من ذلك فى معظم العواصم العربية الأخرى :

واستسلمنا لهذا الواقع المر وكأنه قدر لا مفر منه ! ويحدث ما يحدث على مسرح الأهمال والعبث فى ساحة الفن والتاريخ والتراث العربى الاسلامى فى بلادنا بينما تطالعنا وسائل الاعلام العالمية يوماً بعد يوم بأنباء تدل على مدى ما تلقاه المتاحف ومجمعات الفن من الاهتمام فى الدول التى تحترم تاريخها وعراقتها وأمجادها .. بل وامجادنا نحن أيضاً .. يقومون نيابة عنا بالحفاظ عليها كتراث انسانى وثقافى لشعوب الأرض كافة ، ولعلنا نتذكر ما قرأناه فى شهر اغسطس ١٩٨٠ فى الصحف عن « متحف برلين الاسلامى » حيث وجهت الدعوة للاحتفال بمرور مائة سنة على إنشائه فى ألمانيا ، وقد نذهل عندما نطالع تفاصيل تنظيمه بحيث نسقت محتوياته التى تشمل تراث العالم الاسلامى كله فى قاعات رائعة تحكى تاريخ الحضارة الاسلامية والفن الاسلامى وكأنه كتاب ميسر مفتوح الم نسائل أنفسنا : كم من المتاحف الاسلامية فى وطننا العربى على غرار متحف برلين هذا ؟ وليست هذه المتاحف الاسلامية فى ألمانيا فحسب ، ولكننا نجدها تحتل أقساماً متكاملة كمتاحف مستقلة ضمن متحف اللوفر بباريس والبريطانى بلندن وفى كثير من المتاحف الامريكية والاوروبية الشهيرة .. ! ولولا وجودمتحف الفن الاسلامى (دار الآثار العربية) الذى يضم ٧٧ الف تحفة والذى ستمر مائة سنة على إنشائه فى ديسمبر ١٩٨١ ، لكان وطننا العربى خالياً تقريباً من مجمعات آثار تراثنا العربى الاسلامى العريق ، ولكننا ـ مع ذلك ـ أبينا إلا أن يحتل محفنا هذا طابقاً واحداً من مبناه الحالى بميدان «باب الخلق» .. وسمحنا ـ ولا أدرى كيف ـ بأن تشاركه فى نفس المبنى مطابع هيئة الكتاب ومكتباتها ! .

أعود فأقول : ليست الحضارة فقط كلا لا يتجزأ ، ولكنه الوعى الفنى المفقود عندنا ... أيضاً كل لا يتجزأ .. وما المتاحف والمعارض فى مجال الفن إلا جانب واحد من مشكلة التخاذل الجارفة .. التى تجتاح مشاعرنا فى عالم اليوم حيث تتصارع قوى الفكر والثقافة والتألق الذهنى كوسيلة حاسمة للسبق والسيطرة ! وللمشكلة بقية ، سنوردها فى اللقاء القادم إن شاء الله .

جمال قطب



رءوف توفيـــق

الرعب القادم على الشاشة



● الطباخ الاسود الذى تتقمصه روح شريرة

● الممثل جاك نيكلسون فى فيلم تألق

مطلوب من مشاهد السينما فى الموسم القادم .. ان تكون اعصابه من حديد .. وان يكون مستعدا لاحتمال كل مشاهد الرعب التى يدبرها له صناع السينما فى افلامهم القادمة !!

فكل الدلائل تشير الى ان موجة افلام الرعب ، ستزحف بقوة لتفرض نفسها على الانتاج السينمائى الامريكى والاوربى !

وقد بدات ملامح هذه الموجة ، تظهر بشكل تدريجى خلال الاعوام القليلة الماضية .. ثم بدات تتضح مع هذا العام .. والمتتبع لخطط الانتاج السينمائى لعام ٨١ ، سيكتشف هذا الكم الهائل من الافلام التى تعتمد على الرعب !!

والرعب الجديد .. يقوم على الاشباح والقوى الخفية والسحر الاسود .. كما يقوم ايضا على الخيال العلمى ، واستخدامات التكنولوجيا !!

فمصاص الدماء «دراكيولا» .. سيكون موجودا داخل القصور المهجورة .. كما سيكون موجودا فى الفضاء !!

● قراءة فى عناوين الأفلام

وحتى نتصور حجم الرعب الذى يدخره لنا صناع السينما فى افلامهم .. علينا ان نتامل عناوين بعض تلك الافلام وكيف انها قراءة خاطفة من خلال حلقات الانتاج ، وطوفان الاعلانات التى تزدحم بها الصحافة السينمائية الآن .. مثلا ..

● عبارة تقول : «كثير من الافلام تعدك بالرعب .. ولكن هذا الفيلم مرعب بحق»!! .. والفيلم عنوانه «خيول الليل»

● فيلم بعنوان «شاطىء الدم» يقدمونه بهذه العبارة : «عندما تلامس المياه رمال الشاطىء .. يبدا الرعب» !

● فيلم بعنوان «الصرخة المكتومة» يقدمونه هكذا : «الرعب مفاجىء جدا .. لدرجة انه ليس هناك وقت لكى تصرخ» !

● فيلم آخر بعنوان «صرخات فى الليل» يعرض للاصوات الغامضة التى تاتى من خلف الابواب المغلقة !!

● وفيلم بعنوان «لا تدخل هذا البيت» ياتى بعد رواج فيلم «لا ترد على التليفون» .. وعنوان كلا الفيلمين يوحى بموضوعهما .. فهذا البيت مسكون بالاشباح ... اما لماذا لا ترد علـــى التليفون ، ؟! فلان الذى يطلبك قاتل يريد ان يتاكد من وجودك !!

«الشيطان يتكلم» .. فيلم تدور فكرته حول الرعب الذى يحدث فى جهاز الكومبيوتر ، عندما تتقمصه روح شيطانية !

● وفيلم بعنوان «الذين يعوون» وتدور احداثه فى الفضاء مع «الذين ينتظرون على حافة الظلام .. لايقاظ الرعب داخل كل واحد منا» !

● فيلم بعنوان «الممسوس» يدعون اليه بهذه العبارة : «اهرب من هذا الرجل» !

● حتى هدية عيد الام ، صنعوا منها فيلما مرعبا بعنوان «يوم الام» .. وليلة الزفاف .. جعلوها ليلة القتل فى فيلم



● الممثلة شيللي دوفاك فى لحظة رعب .



● الطفلة الصغيرة فى فيلم «شالو» وهى تواجه موقفا مرعبا

«الزفاف الدامى» !

● فيلم بعنوان «بحيرة الذئب» .. قدموه بقولهم : «لا توجد هناك إثارة اكثر من الصيد .. خصوصا عندما تكون انت الضحية» !

وتتلاحق الأفلام .. ويتسابقون فى اختيار عبارات الرعب التى يستفزون بها غريزة الخوف عند المشاهدين .. وتصل العبارات الى الحد الذى يقولون فيه : «انه فيلم سيسحب الرعب من حلقك» .. و «إذا لم يخفك هذا الفيلم .. فانت بلا شك انسان ميت» !!

● استوديوهات هونج كونج .. تنشـــــط

والمثير تماما .. ان موجة افلام الرعب تجد رواجا هائلا فى أسواق العرض العالمى .. مما جعل اكبر الشركات السينمائية فى امريكا ، تدخل بكل ثقلها لانتاج هذه النوعية من الافلام .. ومما جعل ايضا استوديوهات «هونج كونج» تغير من خططها لتعمل ليل نهار .. من اجل غمر الأسواق بافلام الرعب من فيلم اختاروا له عنوان : «نحن قادمون لناكلك» !!

ومن المعروف أن استوديوهات «هونج كونج» لا تقدم سوى النوعية الرديئة من السينما التجارية ، وهى افلام ذات ميزانيات ضئيلة ، ولا يبذل صناعها اى جهد فنى فى تقديمها .. وإنما كل ميزتها انها افلام رخيصة الثمن تجد من يشتريها بسهولة ويعرضها فى دور العرض من الدرجة الثالثة ، ويكسب منها بشراهة .. وهذه الافلام تعتمد على أسواق الدول النامية ، والأحياء الفقيرة فى العواصم الكبرى !

● ولكن .. لماذا يعود الرعب ؟

والسؤال شغل بال الكثيرين من المتتبعين لتطور الفن السينمائى ، والمهتمين بتحليل الظواهر المحيطة به ، والتى تحركه ..

وقيل اكثر من راى .. ولكنى اعتقد ان اكثر الآراء اقترابا من الحقيقة .. هو الراى الذى قاله المخرج الألمانى الشاب «فيرنر هيرتزوج» ، وهو احد اعمدة السينما الألمانية الجديدة ، وقد قدم لها فيلم : «اجويرا .. غضب الله» .. ثم فيلم «كاسبار هاوزر» .. وقد حقق الفيلمان نجاحا فنيا مدويا .. وكانت المفاجأة التالية انه قدم فيلما مرعبا عن دراكيولا مصاص الدماء .. وكان اسم الفيلم «نوسفيراتو» .. الذى كتب له السيناريو واخرجه وانتجه .. واختار لبطولته الممثل الألمانى الشهير «كلاوس كينسكى» .. وتحمست لتوزيعه عالميا ، إحدى كبرى الشركات السينمائية الامريكية ..

وعندما سالوه : لماذا اخترت هذا الموضوع بالذات وتحمست لانتاجه واخراجه ؟

قال «فيرنر هيرتزوج» :



الرعب القادم على الشاشة





«إن مجتمعنا أصبح يمارس القمع والقهر .. وهذا المناخ ينعكس بالضرورة على الأدب والسينما .. ولهذا فنحن نشهد ميلاد ثقافة مضادة ، كرد فعل ضد مجتمع مادى والى الى اقصى حد .

«وفى رأيى أن أفلام مصاصى الدماء غالباً ما تظهر بعد الثورات المجهضة .. وانا شخصياً لا استطيع الهروب من التاثيرات التى يمارسها علينا مجتمعنا» !

● الجمهور من المراهقين !

وسبب اقتناعي بهذا الرأى .. عاملان:

الأول ، ما اكدته الأبحاث الأخيرة من زيادة نسبة الأعمال الروائية التى تعالج موضوعات الرعب .. وزيادة معدل توزيعها ، خصوصاً بين جمهور الشباب والمراهقين .

والعامل الثانى .. ما أسفرت عنه الدراسات حول جمهور السينما الآن ، والتى أشارت الى أن النسبة الكبرى من المشاهدين ، تتراوح أعمارهم ما بين ١٣ ــ ٢٠ عاماً .. بينما كان معدل السن بالنسبة للمشاهدين فى بداية السبعينات يتراوح ما بين ١٣ ــ ٢٤ عاما واستخلاص النتيجة من الحقيقتين السابقتين .. نجد أن هناك ترابطا شديداً بين جمهور قراءة الروايات وجمهور مشاهدة السينما .. ويكاد يكون هذا الجمهور واحداً !

ودور النشر كما هو الحال فى شركات الانتاج السينمائى .. تخاطب اساسا جمهورها ، وهو هنا جمهور الشباب والمراهقين .. وهو نفس الجمهور الذى اصيب بالاحباط نتيجة كل الظروف السياسية والاقتصادية التى تحكم العالم الآن .. والتى ورطت الشباب فى حروب لا طائل منها ، واستنزفت اية محاولة للاحتجاج أو الثورة !

والاستغراق فى عالم الرعب ، واستخلاص اللذة من تلاحق الأنفاس ، والتوتر العصبى .. هو نوع من المخدرات التى لجأ اليها هذا الشباب ، فى محاولة منه لتجاوز الواقع الذى عجز عن تغييره أو إصلاحه !

وهذه المخدرات تروج لها المؤسسات التجارية الكبرى .. مهما كانت اللافتة التى ترفعها فى الثقافة أو الفن !!

● آخر نموذج للرعب !

وأشهر فيلم رعب يعرض أخيراً .. هو فيلم «تالق» للمخرج الأمريكى الكبير «ستانلى كوبريك» ، وهذا المخرج يعرفه عشاق السينما من أفلامه: «سبارتاكوس» «لوليتا» ــ ثم رائعته الخالدة «٢٠٠١ : أوديسة الفضاء» ــ ثم فيلمه المليء بالعنف والجراة «البرتقالة الميكانيكية» ثم فيلمه الرقيق «بارى ليندون» .. ها هو يراهن بكل تاريخه الفنى ، لكى ينتج فيلما مرعبا كاقصى ما يكون الرعب .. فهو يعرض لشخصية طباخ أسود اللون يعمل فى خدمة عائلة مكونة من زوجين وطفلهما الصغير .. وهذا الطباخ تتقمصه روح شريرة لأحد أكلة لحوم البشر ، وهو يستطيع التنبؤ باحداث ستقع (!!) ويأتى ببعض الأفعال التى يحاول بها التأثير على الطفل الصغير ، وانتزاع بذرة الحياة من داخله ، لتسكين روح شريرة بدلا منها (!!) .. وتجرى الأحداث المرعبة فى هذا الاطار ، حيث يتصارع الزوج والزوجة ضد هذا الخطر الداهم !

وقد قام بدور الزوج ، الممثل الأمريكى





البارع «جاك بكلسون» أما الزوجة فلعبت دورها الممثلة الامريكية «شيلى دوفاك»

ويحقق هذا الفيلم الآن .. أرقاما خيالية من الايرادات .. فى نفس الوقت الذى يجد تحفظا شديداً من النقاد !

فبالرغم من براعة الاخراج .. والدقة المتناهية فى خلق الاثارة .. والمباراة الكاملة فى التمثيل بين الشخصيات الاربعة التى يقوم عليها الفيلم .. إلا ان موضوع الرعب ، وصنع افلام من اجل الرعب فقط .. مسالة غير مقبولة .. خصوصاً من مخرج كبير له اسمه وتاريخه !

وعندما يحكى المخرج «ستانلى كوبريك» عن إعداده لهذا الفيلم .. فهو يعترف ضمناً بسبب اختياره لهذا الموضوع إذ يقول انه ظل عاماً كاملا متفرغاً للذهاب الى دور العرض المختلفة لدراسة جمهور المترددين على السينما ، وليكتشف أن غالبية المترددين من الشباب والمراهقين ، وانه احس بضرورة ان يصنع لهم شيئاً جديداً ومذهلا « ولم يروا مثله من قبل» ! .. وهكذا طلب من سكرتيرته ان تشترى له كل الروايات والكتب التى تصدر فى اوربا أو فى امريكا .. والتى حققت معدلات عالية فى التوزيع .. ونفذت السكرتيرة ما طلبه منها ووجد على مكتبه ما يعادل ثلاثة اطنان من الكتب والروايات (هكذا قال) .. وبدأ يتصفحها الواحد تلو الآخر .. ربما لا يكمل عشر صفحات من كل كتاب ، ثم يلقيه .. حتى توقف مذهولا وفرحاً امام رواية «تالق» لمؤلفها «ستيفن كنج» والتى كانت قد تصدرت قائمة اكثر الروايات مبيعاً .. وقرر أن يخرجها فى فيلم والتقى بالمؤلف .. ثم اتفق مع الممثلين .. وبعدها بدأ تحضير السيناريو ، وتنفيذ الديكورات الضخمة داخل الاستوديو .. حيث رسم وخطط لكل صغيرة وكبيرة ، ليخضعها لتصوره فى اى وقت يشاء .. وأجرى بروفات متكررة ومرهقة مع الممثلين .. واعاد تصوير كل لقطة عدة مرات ليضمن فرص اختيار افضل اللقطات .. وهكذا استمر العمل فى الفيلم ثلاثة اعوام !

ولا شك أن الجهد المبذول يدل على الرغبة فى تقديم عمل فنى محكم .. ولكن لأى هدف ؟!

● تاريخ الرعب فى السينما

وموجة افلام الرعب الجديدة تأتى فى اعقاب انحسار موجة افلام الكوارث (افلام الزلازل والفيضانات والحرائق وسقوط الطائرات وغرق السفن .. الخ)

والرعب الجديد .. ما هو إلا استمرار لنفس الخطة فى خلق جو من الاثارة والغموض .

وقد سجل تاريخ الرعب فى السينما .. بانه فى عام ١٩١٠ ظهر أول فيلم يجسد الشخصية الخرافية «فرانكشتين» .. وفى عام ١٩٣١ ظهر فيلم آخر بنفس العنوان «فرانكشتين» .. وبعدها بعامين ظهر لاول مرة «دراكيولا» فى فيلم .. وفى عام ١٩٣٥ ظهرت زوجة فرانكشتين !!

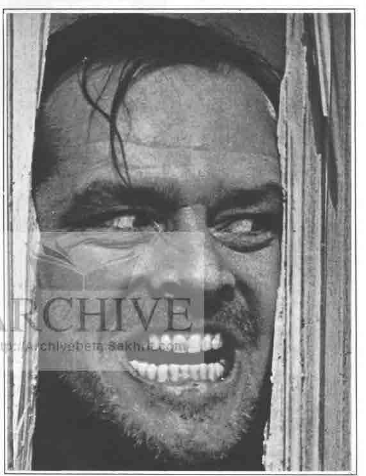
ومنذ ذلك التاريخ .. لم تكف السينما عن ايجاد صيغة لاحياء هاتين الشخصيتين الخرافيتين ، فى افلام مرعبة .. وقد شهدت فترة الاربعينات انتشاراً كبيراً لهذه النوعية من الافلام .. وتجىء بداية الخمسينات ليتوارى قليلا دراكيولا وفرانكشتين .. وليفسحا الطريق امام شخصيات اخرى خيالية ، وليمتزج بالخيال العلمى .. ولكن مع بداية السبعينات ، قدم المخرج «وليام فردكين» فيلمه «طارد الأرواح الشريرة» ليخرق حاجز التكرار ، وليفاجىء عشاق السينما بنوعية جديدة من افلام الرعب ، حيث يقدم حدوتة الشيطان الذى يتقمص جسد فتاة صغيرة !!

ويحدث هذا الفيلم دوياً فنيا وتجارياً .. مما دعى المخرج «فردبكين» ليقدم تكملة جديدة لفيلمه والتى ظهرت بعنوان : «طارد الأرواح الشريرة ـ الجزء الثانى»

وهذا النجاح شجع صناع السينما ، لكى يعيدوا إحياء افلام الرعب .. وليبتكروا اشكالا جديدة لرعب فرانكشتين ودراكيولا .. ! وظهر فيلم يمزج بين الشخصيتين !!

ومع ازدهار موجة افلام الرعب هذه الايام .. بدأت استوديوهات السينما تواصل سلسلة افلام دراكيولا .. وسمعنا عن افلام تحمل هذه العناوين : «دراكيولا .. النجم الأعظم» و «آخر طقوس دراكيولا» و «مصاص الدماء فى الفضاء» !

الرعب القادم على الشاشة



● جاك نيكلسون في أحد مشاهد فيلم تالق .

ان يحدث شيء .. ثم دققت الاجراس .. !!
إنه سباق المحترفين . !!

غياب النقد .. هو السبب !

وقد اهتمت مجلة «سايت آند ساوند» – وهى المجلة السينمائية الأولى فى انجلترا والتى تصدر عن معهد الفيلم البريطانى – بتحليل ظاهرة افلام الرعب .. ونشرت فى عدد الربيع لهذا العام، مقالا للناقد «جيمس موناكو» .. قال فيه .. إن زيادة كمية الرعب فى الأفلام ، لا يعنى اننا اصبحنا اكثر قلقا عما كنا عليه منذ عشرين عاما .. ولا يعنى ايضا اننا اصبحنا اكثر مللا .. بل هو شىء واضح السخافة .. وقد استشرت هذه الظاهرة بسبب غياب النقد عن مثل هذه الأفلام .. بالرغم من انها تمثل موجة زاحفة رهيبة .. ولم يعد السؤال : لماذا يعرضون علينا هذه الموضوعات ؟ .. بل أصبح السؤال : ماذا يفعلون بنا ؟!

ويصل الناقد الى نتيجة .. ان صناع مثل هذه الأفلام .. إنما يتلذذون بعذاب الآخرين .. وإذا كان بعض من يذهب الى السينما يضع حداً فاصلا بينه وبين ما يعرضه على الشاشة .. ويردد بينه وبين نفسه «حمداً لله انها مجرد سينما» إلا ان هذه الأفلام ما هى إلا غش وخداع لعقول المتفرجين : «وقد حان الوقت لدراسة العلاقة بين صناع السينما والجمهور .. والعمل على وقف حالة لذة التعذيب التى ظهرت فى السنوات الأخيرة .. !

سباق المحترفين

ولكن اهم ما يثير الانتباه فى هذه الموجة .. هو دخول كبار المخرجين طرفا فى السباق .. بداية من «وليليام فردكين» الى «ستانلى كوبريك» .. ومروراً بعملاق السينما الأمريكية «جون هيستون» وفيلمه «فوبيا» !

ويصبح السباق فى حرفية العمل ، واستعراض المهارات فى الأجهزة الفنية!

ولهذا عندما نتامل ما قاله المخرج «ويليام مزديكين» رداً على سؤال حول الفرق بين اسلوبه السينمائى فى فيلم «طارد الأرواح الشريرة» ، وأسلوب المخرج هيتشكوك فى فيلم «عقدة نفسية» .. نجد الاجابة تنحصر فى توقيت الاثارة وكميتها .. فهو يقول :

«لقد راقبت هيتشكوك فى فيلمه عقدة نفسية .. ووجدت انه استطاع ان يمضى بالفيلم ٤٥ دقيقة دون ان يقدم حدثاً هاماً ويصل بالمتفرجين الى الحافة .. ثم فجاة يأسرهم ويضعهم فى جيب بنطلونه .. ومن هنا حاولت فى فيلمى «طارد الأرواح» ان امضى ساعة من الفيلم دون

هذه الأفلام .. لن تعيش

ولكنى اعتقد .. ان افلام الرعب ، والتهافت على انتاجها ما هو إلا الوجه البشع من التجارة بالفن .

فالفن الحقيقى .. لا يتاجر بالغرائز .

والفن الحقيقى .. مع الانسان ضد كل الصعاب والمعاناة التى يواجهها .

ولهذا .. لن تعيش طويلا موجة افلام الرعب ، وستلاقى نفس مصير افلام الكوارث .. ولن يذكرها تاريخ السينما إلا كمجرد بثور على الوجه المضىء للفن السابع . !

«رءوف توفيق»

الدوحة

في العدد القادم



مسرحية شعرية أشار إليها النقاد ولم تنشر
في حياة أحمد شوقي ولا بعد وفاته

الدوحة تحصل على النص الكامل للمسرحية وتنشره في العدد القادم

المسابقة

حل مسابقة : من . أين . ما ؟ العدد « ٥٩ »



من : سلمان الفارسي .
أين : الحبشة .
ما : القومية .

١ ـ فارس .
٢ ـ البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود .
٣ ـ كمال اتاتورك .
٤ ـ المشمش واللوز والبرقوق . من العائلة الوردية .
٥ ـ في أرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلا متعزل
قائله الشنفري .. في لامية العرب .
٦ ـ امريكي .
٧ ـ المنذر بن ساوى .
٨ ـ ١٩٠ .
٩ ـ غورو .
١٠ ـ لا ليست صحيحة علمياً .
لأن الأبنوس شجر ينمو في الغابات الاستوائية .

من . أين . ما ؟

● من :
مهندس عربي عبقري قبل الاسلام ، كوفيء مكافاة يضرب بها المثل . اسمه من خمسة احرف :
٤ ـ ١ ـ ٢ ـ ٤ بلدة اشتهرت بزراعة العدس .
٣ ـ ٥ صمغ عطري كان مقدسا فى الوثنيات القديمة .

● أين :
بلدة بناها القائد الخالد سعد بن أبي وقاص ، اشتهرت بعلمائها فى النحو والفقه والخط إبان عظمة دولة الاسلام اسمها من ستة احرف :
١ ـ ٥ مما ينهى القرآن الكريم عن قوله للوالدين .
٣ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٦ ضعوه فى الأفواه وامضغوا .

● ما :
ضريبة التقدم العلمي والتكنولوجي والانطلاق الصناعي المعاصر الذى لا تحده القيم الاخلاقية مما سوف يؤثر بالضرر على مستقبل البشر على سطح الأرض عاجلا وآجلا . اسمها من كلمتين فى عشرة أحرف :
١ ـ ٣ ـ ٧ ـ ١٠ رجوع عن الذنب .
٥ ـ ٢ ـ ٦ ـ ٨ ـ ٤ اسم للأسد .
٧ ـ ٥ ـ ٩ حرف هجاء .

الجواب الصحيح

١ ـ فتح المسلمون الأندلس فى سنة : ٧١١ ـ ٨١١ ـ ٩١١ بعد ميلاد المسيح عليه السلام .
٢ ـ رتب البلدان العربية الآتية من الشرق الى الغرب على التوالى : نواكشوط ـ الدوحة ـ الخرطوم ـ السلوم ـ الحديدة .
٣ ـ مدحت المالكين فزدت قدراً
أكمل البيت وانسبه الى قائله وفيمن قاله ؟
٤ ـ الأسلحة التالية ، رشاشات ، وحوارق ، وشديدة الانفجار . صنف كل نوع على حدة :
البرن ـ الهاون ـ النابالم ـ الار بى جى الهاوتزر ـ الميلز ـ الاستن ـ العوزى ـ التيللر .
٥ ـ استشهد البطل احمد عبد العزيز فيما بين الفالوجة والمجدل ، فى شهر يونيو من سنة : ـ
١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ .
٦ ـ «ينمو شجر العاج فى غابات المناطق المعتدلة الشمالية» .
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟
٧ ـ ازدهرت الديناصورات الضخمة خلال العصر الجيولوجي المسمى : الأوردوفيس ـ الجوروى ـ الابوسين .
٨ ـ عنصران من العناصر التالية من مجموعة البلاتين :
النيكل ـ المنجنيز ـ الايريديوم ـ الكروم الأوزميوم .
٩ ـ أول من نظم البريد فى الاسلام هو : عمر بن الخطاب ـ عمر بن عبد العزيز ـ هارون الرشيد .
١٠ ـ شهيد الثورة الفلسطينية خلال الانتداب البريطانى البطل عز الدين القسام كان بحكم مولده عربيا : عراقيا ـ سوريا ـ مصريا ـ تونسيا .

نتيجة مسابقة شهر نوفمبر ١٩٨٠ العدد « ٥٩ »

● فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة . القارىء سعيد فهمى عبد الخالق / جمهورية مصر العربية / المنوفية / شبين الكوم / ميت خاقان .
● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة . القارىء : احمد محمد غضبان / مخيم برج البراجنة / قرب الجامع / بيروت .
● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة . القارىء : روزى ادريس / م.و.ص.ش ص.ب ٦٣١ / مراكش / المغرب .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ يحيى محمد احمد المرتضى ـ صنعاء
٢ ـ براده نجاة ـ المغرب
٣ ـ مروان عدنان محمد الديرى ـ الاردن
٤ ـ احمد قدرى الريدى ـ السعودية
٥ ـ حمدان آدم محمد الحسن ـ السودان
٦ ـ الهادى خلفه ـ تونس
٧ ـ امانى زهدى ابو عفيفة ـ الدوحة
٨ ـ هزار ديرى ـ سوريا
٩ ـ الحسين بن الطاهر مهنى ـ تونس
١٠ ـ يوسف الشبعان ـ البحرين
١١ ـ هدى زهير ـ الكويت
١٢ ـ مصدق محمد سيد نصر ـ القاهرة

كلمات لها معنى!

● لا يكفى ان يظل اسم الشهيد لامعاً ، وإنما لابد ان يظل نظيفاً .

«شسترفيلد»

● شيئان من اصعب اهداف الحياة تحقيقاً : ذيوع الصيت ، والاحتفاظ به .

«روبرت شومان»

● الصيت هو ما يعرفه الناس عنا ، اما الخلق فما يعرف الله

«توماس بين»

● النملة مواطن مثالى ، لانها تضع مصلحة الجماعة فوق مصلحة الفرد .

«كارنس داى»

● من الحلاوة ما هو امر من العلقم ، ومن العلقم ما هو اشهى من الشهد .

«ويات»

● النظام الشمسى لا يهمه حديث الناس عنه ولا يناله .

«امرسون»

● كثيراً ما تنتهى جهود الكاهن بالحرب وكثيراً ما تنتهى جهود الجندى بالسلام .

«بليك»

عبد الرؤوف علي حسن علي
السودان

الأحمق.. وحماره



كان عند احمق حمار احمق مثله ، وكان عندما يصفر له صفيراً خفيفاً يمشىء ببطه وكان عندما يصفر له عالياً ينهب الأرض نهباً وعندما يصفق له يقف فوراً .

وفى ذات يوم كان الاحمق مع حماره راكباً ومقبلاً على هوة عظيمة اذهل الاحمق فرأى الهوة امام عينيه وما بينها وبينه إلا خطوات معدودة فما كان منه إلا ان صفر صفيراً عالياً .. ترى ماذا حدث ؟

عبد الله سالم مسيبلي
جدة ـ السعودية

هؤلاء.. قالوا

● يجب على كل واحد ان يؤمن بانه موهوب فى شىء ما وهذا الشىء يجب الوصول اليه مهما كلفنا .

«مارى كورى»

● من المجتمع نتعلم كيف نعيش ومن الوحدة نتعلم كيف نموت .

«بايرون»

● إن طموحى الأعظم هو أن أتحدى المستحيل .

«ميكل سن»

● اعتبر بمن مضى قبلك ولا تكن عبداً لمن سياتى بعدك .

«ارسطو»

● اضر الاشياء بالانسان رضاه عن نفسه .

«سقراط»

● جميل ان يموت الانسان لأجل وطنه واجمل منه ان يعيش لأجله .

«كريل»

امهناوى محمد
قسطنطينة ـ الجزائر

حقائق من نور الإيمان

● القلوب :

«القلوب أوعية فاذا امتلأت من الحق اظهرت زيادة انوارها على الجوارح ، وإذا امتلأت بالباطل اظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح»

● فى الاخلاص :

قال تعالى «وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين»

وقال تعالى «الا لله الدين الخالص» صدق الله العظيم

وقال الرسول (ص) لمعاذ بن جبل : «اخلص دينك يكفيك القليل من العمل» صدق رسول الله .

وقال الفضيل بن عياض : «ترك العمل من اجل الناس رياء . والعمل من اجل الناس شرك . والاخلاص أن يعافيك الله منهما» .

وقال ابو عثمان النيسابورى : «الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر للخالق» .

وعندما سئل الجنيد عن الصدق والاخلاص قال «الصدق والاخلاص بينهما فرق : الصدق اصل .. والاخلاص فرع .. الصدق اصل كل شىء .. والاخلاص لا يكون إلا لله بعد الدخول فى الاعمال . والأعمال لا تكون مقبولة إلا بهما» .

● ثلاثة من كن فيه كن عليه :

البغى : قال تعالى «يا ايها الناس إنما بغيكم على انفسكم» .

المكر : قال تعالى «ولا يحيق المكر السيىء إلا باهله» .

النكث : قال تعالى «فمن نكث فانما ينكث على نفسه» .

اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى
ج . م . ع

حاول أن تعرف •••



● تمثال مقام فى عاصمة إحدى الدول العربية ، يرمز الى نضال شعب هذه الدولة من اجل استقلالها وحريتها التى نالتها بعد احتلال من عدة دول اوربية . ما اسم هذه الدولة وما هى عاصمتها ؟ ومتى أعلن استقلالها رسمية ؟

● إحدى جزر البحر الكاريبي ـ يشتهر خليجها بصناعة السفن منذ اكثر من قرنين من الزمان .
ما اسم هذه الجزيرة او ما اسم مجموعة الجزر التى تنتمى لها هذه الجزيرة ؟

حل مابقة حاول أن تعرف العدد «٥٩»

● الصورة الاولى :
البتراء وتقع فى الاردن .



١ ـ اكرو محمد ـ المغرب .
٢ ـ عبد الرزاق مجبل مظلوم ـ العراق .

● الصورة الثانية :
بني برج إيفل عام ١٨٨٩ . واسم المهندس الكسندر جوستاف ايفل .
١ ـ الراجي احمد ـ المغرب .
٢ ـ جابر محمد علي ـ مصر .

مواقف شعرية

وقف سائل على باب احد البخلاء وقال له اعطنى شيئا فقال له ما عندى شيء فقال له السائل هل من طعام ؟ فقال له لا . قال هل من تمر ؟ قال لا .. قال له هل من لبن ؟ قال له لا .. قال هل من زيت ؟ قال له قد سبق ان قلت لك ما عندى شيء وكان يوماً حاراً واشتد بالسائل العطش فقال له اسقنى . فقال ما عندى ماء .. فارتجل السائل هذه الابيات .

والله والله مرتين
لحفر بئر بابرتين
وكنس ارض الحجاز طرا
فى يوم ريح بريشتين
ونقل بحرين زاخرين
على الاكتاف بمنخلين
ولا وقوف على لئيم
يضيع منه حياء عين

أيمن عبد العظيم الموافى
ج ٠ م ٠ ع

اعتراض مفحم

استرسل الدكتور ماك الهانون فى الحديث فيما كان يلقى إحدى محاضراته فى التاريخ ، فى جامعة بيلور فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وجعل يركز على موضوع العقوبات التى استوجبتها سرقة الدجاج فى العهود الأولى من تاريخ بلاده .

قال العالم المحاضر : كانت سرقة الدجاج جريمة كبرى تستوجب قطع يد السارق ، حتى اذا اقترف مثل هذه الجريمة مرة ثانية قطعت يده الأخرى . اما إذا اقدم على سرقة الدجاج مرة ثالثة كان جزاؤه الاعدام .

فرفع احد الطلاب المستمعين يده واستاذن بالسؤال :

لا غرابة فى اقتراف هذه الجريمة مرة او مرتين .. أما أن يقدم احدهم على سرقة الدجاج للمرة الثالثة فهذا ما لا افهمه ؟! إذ كيف يستطيع الانسان ان يمسك دجاجة وكلتا يديه مقطوعتان ؟!

محمد نعيم الجابى
دمشق ـ سورية

لقطة الشهر



رقصة من الفن الشعبى الافريقى .
فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى
القارىء : محى الدين حسن محمد ـ سوريا .



كاريكاتير وتعليق

العدد « ٥٩ »



ـ المريض للطبيب : خلصنى من هالعلة اللى وراك يا دكتور .

فطمة المنير ـ سوريا

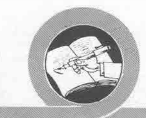
ـ الطبيب للزوجة : إن زوجك يبكى لانه علم انه شفى وانه سيذهب الى البيت اليوم .

يوسف محمد مرسى خليل ـ الأردن

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال



الورقة الأخيرة

الدكتور : محمد عماره

دين الله واحد

الذين يلبسون مسوح العلماء

فى كتاب (صلة القرآن باليهودية والمسيحية) للدكتور فلهلم رودلف صفحات يدرجها المؤلف ـ بزعمه ـ تحت ما يسمى بـ «مقارنة الأديان»، وفيها يقدم حديثا يصل إلى حد من التعصب والجهل يثير الاشمئزاز ، بل والغثيان ؟! ..

فهذا المؤلف ، الذى يلبس مسوح «العلماء» يوهم قارئه أن القرآن قد «نقل» عن اليهودية والمسيحية ، وأنه لم يفعل ، فى كثير من الاحيان ، سوى عملية «النقل» هذه .. حتى ليسود المؤلف بعضاً من صفحات كتابه «بجداول» يقارن فيها آيات القرآن الكريم «بأصولها» فى (العهد القديم) و (العهد الجديد) ؟! ..

والأمر الذى غفل عنه هذا المؤلف ـ او تغافل ـ هو واضرابه ـ أن دين الله واحد ، لم تتبدل أصوله منذ أن بدأ الوحى من الله لآدم وحتى محمد ، خاتم الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ● فالألوهية ● والعمل الصالح ● والبعث والجزاء ..هى أصول هذا الدين الالهى الواحد ، عند كل الرسل ، وفى كل الأمم التى شرفت بالرسالات .. أما «الشرائع» فانها قد تعددت بتعدد الأمم والرسالات ، ففيها التجدد والتجديد ، والاختصاص والتمايز ، وليس فى الدين وأصوله وعقائده ! ..

بل إن وجوه الشبه لم تختف من هذه «الشرائع» أيضا .. ذلك أن من هذه الشرائع ما يظل مجاريا لأطوار لاحقة ، فلا يلحقه النسخ والتجاوز ... وإذا كانت شريعتنا الاسلامية قد أقرت أعرافا جاهلية صالحة وعقوبات جاهلية على جرائم كان قد تعارف عليها العرب قبل الاسلام ، أفلا يكون أكثر منطقية أن تقر هذه الشريعة وتتبنى بعضاً من مواريث الامم السابقة على أمة محمد فى التشريع ؟! .. لقد قال علماء الأصول المسلمون : إن شرع من قبلنا هو شرع لنا ، مالم يثبت فيه النسخ ... وكان هذا الموقف تجسيداً وتعبيراً عن وحدة الدين ، واستمرارية المسيرة الانسانية على طريق الاقتراب من تطبيق تعاليم الله ومثله العليا التى ضربها للناس ! ..

وفى قضية وحدة الدين الالهى ، أزلا وأبدا ، يصل وضوح الموقف القرآنى إلى الحد الذى يجعلنا نشك فى سلامة نوايا الذين يرمونه «بالنقل» عن التوراة والانجيل .. «فالنقلة والسارقون» لا يعلنون ... لكن الذى يفعله القرآن هو تعليم للانسانية : أن الدين واحد .. بما يترتب على هذه الحقيقة من إخاء بشرى ، لا يفهمه المتعصبون ، الذين تمتلىء أفئدتهم بالروح الصليبية ، رغم تزييهم بأزياء «العلماء» ؟!

فكما قال عيسى فى بشارته : «لا تظنوا أنى جئتكم لأنقض الناموس ... بل لأكمل» .. قال عنه القرآن إنه قد قال لقومه : انني قد جئتكم (مصدقا لما بين يدى من التوراة) .. أما عن محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فان الله ، سبحانه ، يعلمنا أنه قد بعثه مصدقا لما تقدمه من ذات الدين ، فيقول : (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) .. وبالقرآن يتحدث النبى ـ باسم الله ـ إلى بنى اسرائيل قائلا : (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) .. وفى آية أخرى يقول الله سبحانه : (ولما جاءهم رسول الله من عند الله مصدقا لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) ـ ثم يتحدث الله ، سبحانه ، عن قرآنه الكريم على أنه (كتاب من عند الله مصدق لما معهم) وأنه قد نزل (باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) .. الخ ... الخ ..

فوحدة الدين الالهى حقيقة يعيها الذين يصدقون بالرسل والرسالات جميعا .. أما الذين لا يعون هذه الحقيقة ، أو يحركهم العداء فانهم هم الذين يتحدثون ـ فى الديانات ـ عن «السرقات» و «النقول» تحت ستار مقارنة الأديان ! .

الدكتور محمد عمارة